

عبد الله القصيمي

# الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم









# الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفיהם

عبدالله القصيمي



Arab Diffusion Company

**عبدالله القصيمي**

**الفصل الخامس  
بين الوهابيين ومخالفاتهم**



منب 113/5752 .

E-mail: [arabdiffusion@hotmail.com](mailto:arabdiffusion@hotmail.com)

[www.alintishar.com](http://www.alintishar.com)

بيروت - لبنان

هاتف: ٩٦١-١٣٥٩١٤٨، ٩٦١-١٦٥٩١٥٠٠، فاكس:

ISBN 9953-476-88-8

الطبعة الثانية ٢٠٠٧

## فهرس الفصل الحاسم

٩	المقدمة .....
١٣	وصية ملك العجائز لولي عهده .....
٢٥	توحيد الألوهية والربوبية ، والفرق بينهما .....
٣٥	شبهاتهم على إشراك الكافرين في الربوبية وجوابها .....
٤٣	البراهين على إيمان المشركين بالله وبأنه خالق كل شيء .....
٥٩	الفرق بين توحيد الألوهية والربوبية وجوابها .....
٦٩	الفرق بين التوحيديين وبرهانه .....
٧٥	مسائل كبرى زلت فيها مجلة الأزهر .....
٨٥	إبطال التوسل الأزهري بإبطالاً إجمالياً .....
١٠٩	من هم الخارج؟ .....
١١٥	علوه الله على عرشه ومناظرتنا الشيفي الدجري فيه .....
١٣٧	البراهين على علوه تعالى .....
١٥٩	آراء طائفة من علماء المصريين في التوسل .....
١٦٧	خطاب إلى الشيفين الدجوي والظواهري .....
١٧٢	واجب المصريين الوطني والديني نحو الأزهر والأزهريين .....
١٧٥	أمل .....



أمسف

ولكنه بین المهانة والمعسر  
وقد بنفع الكذاب في ساعة الشر  
لعدت بشر لا يضيق به صدري  
بلاء كمثل الظلم والذل والقسر  
بسود علبنا بالقضاء وبالسفر  
تنح، فما للحر حق لدى الدهر  
غلطت فما سالمت مذكنت من حر  
يقل لي بنكران الفهائل والحر  
إلى ظالمي؛ كيف الخلاص من الأمر؟  
تبقى أن العقل ضرب من الفخر

وان شئت حراً راضي العيش لم تجد  
أعلل نفسي بالأكاذيب والمنى  
فلولا رجائي والرجاء مخادعي  
تلدونت أنواع البلاء فلم أجده  
وما فاذهبني مثل أمرىء ذي فهامة  
إذا ما سألت الدهر حقي يقول لي  
 وإن قلت سالمني على الجواب قال لي  
وان قلت فيم يكسب العجاه والفنى؟  
تشك إلى ما منه أشکو ومفرع  
إذا ما نظرت الناس والرزق بينهم

عبد الله بن علي النجدي القصبي

## المقدمة

قال بعض الحكماء: لا يزال الناس بخيار ما قالوا للمخطيء: أخطأت وللمصيب أصبت، وكان أكثر ما دفعني إلى هذا النقد القارص هو تهجمهم على خلاصة المسلمين اليوم، ورميهم لياتهم بالعظام وتهبيج المسلمين عليهم لما رب لا تخفي على ناقد.

وليعلموا أننا لا نجادلهم إلا ببعض عقولنا فما جادلنا أحداً منذ تعاطينا الجدل بكل عقولنا إلا أناساً معدودين ليسوا منهم، ولنرفض القاريء بما قد يجد في أثناء الكتاب من ضعف في المأخذ أو العبارة. فإن الكمال الممحض للرحمٌ وحده. وقد حال بيدي وبين اتقانه اتقاناً أرضاه رضواناً مطلقاً - هموم في هم لو سلط أضعفها على من يجد لديه الضعف والكل مكاناً لما مسّك قلماً ولما أبدى رأياً. وقد يدعا قالوا: الهم قيد الحواس. ولا تذهبين سيناته إن كانت بحسناه فإن الحسنات يذهبن السينات. ولا يكبرن عليك ما ترى في الكتاب من بعض الشدة. فإننا ما فعلنا ذلك إلا غضباً لله وغيره على دينه، وما جازيناهم إلا ببعض ما بدأونا به. هذا وأنا أرجوك أيها القارئ أن تقرأ الكتاب متجرداً من الهوى والعصبية مؤثراً البرهان على المثابخ والأباء والعادات. غير ناظر إلا إلى الحق، وقد قال أرسسطو: أستاذي صديقي والحق صديقي فإن تنازعَا فالحق أولى بالصدق، وعليك بالإنصاف فإن خلق الإنصاف من أفضل ما وهب الإنسان، وفي نور الإسلام «وقلة الإنصاف تحدث في العلم فساداً كبيراً ذلك لأن من لا يقدر الإنصاف قدره قد يرى بعض الآراء العلمية الصحيحة قد صدرت من شخص لا يرتاح هو لأن تكون قد صدرت منه. فيقابلها بالرد والإنكار. وقد تكون له براعة بيان. فيصرفها في تشويه وجه الحق. وهو يرى أنه حق فيظهر الجهل على العلم، ولو في فئة قليلة أو دائرة صغيرة» وقالت أيضاً: «قلة الإنصاف تخذل

العلم وتطمس شيئاً من معالمه والإنصاف يزيد العلم ويجعل موارده صافية سائفة، ولو أخذ الإنصاف حظه من نفوس جميع الباحثين عن الحقائق لقللت مسائل الخلاف في كل علم فيكون حفظ العلوم أيسراً، ومدة دراستها والرسوخ فيها أقصر» وقالت أيضاً: «قلة الإنصاف تسقط احترامك من القلوب والإنصاف يزيد احترامك في القلوب مكانة ذلك لأن إنصافك للرجل يدل على صفاء سيرتك ونقاوتها من أن تكون قد حملت شيئاً من دنس الحسد أو حام بها الغلو في حب الذات».

هذا وأنا أتحدى المخالفين وأسألهم الإبطال لما كتب إن كانوا قادرين عليه بالحق لا بالتهويش والسباب. وأنا أعاهد الله وأقسم لهم به إنني راجع عن كل مسألة أروني غلطى فيها. وشاكرهم على ذلك أوف الشكران. وأنا أدعوهم أيضاً صغاراً وكباراً إلى المنازرة. شفافها أو كتابة إن شاؤوا في كل ما يخالفوننا فيه، وفي كل ما كتبنا نقضياً عليهم، بل إننا نجيئهم إلى كل ما دعونا إليه ما دام يرضاه البرهان وما دام ينصر الحق والحقيقة، ولو كان علينا فيه غضاضة فإن لم يفعلوا فليدعوا العناد وليرجعوا إلى الصواب ويعترفوا به فإن الرجوع إلى الصواب بعد وضوحه أشرف بالمرء من إصراره على الباطل وأبقى لشرفه وعرضه عند الله والناس. وفي نور الإسلام «قال الشافعي (رضي) ما ناظرت أحداً على الغلبة ورددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على بيديه» ولا يقولن قائل: أنا في غنى عن النظر إلى هذه الخلافيات فليس ثم غنى عن تصحيح عقيدته وبنائها على اليقين والصواب. والناس يحتاطون لملابسهم وماكلهم وأدويةهم ويدهبون فيها إلى اليقين والصحة ما وجدوا إلى ذلك مذهبأً. فكيف الدين؟ ولو اختلف طبيان على شيء فقال أحدهما: تناول هذا الدواء قاتل، وقال الآخر نافع لما تناوله إنسان يشفق على نفسه.

هذا ﴿ وَمَا أَبْرَئُ نَفْسَيْ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَارَةٌ بِالشَّوَّهِ إِلَّا مَا رَجَمَ رَجَمٌ إِنَّ رَقَّ غَفَرْ رَجَمٌ ﴾، ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُنَاهِيَّكُمْ إِنَّ مَا أَنَاهِيَّكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِتْلَاجَ مَا أَسْطَعْتُ وَمَا تَوَفَّفِيَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ أَتَبْشِّرُ ﴾.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْخَبِيرِ ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ يَالْحَقِّ فَانْعَبَدُ اللَّهُ  
 تَعْلَمُمَا لَهُ الَّذِينَ ﴿١﴾ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ الْمُغَالِصُونَ وَالَّذِينَ أَنْجَدُوا مِنْ دُونِهِ أَزْلَكَاهُ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا  
 لِيَقْرِئُونَا إِلَى اللَّهِ رُلْفَعَ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيهِ يَحْكِمُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ  
 كَذَّابٌ حَسَدَارٌ ﴿٢﴾ ... ﴿٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَمْرُكُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِسًا لَهُ الَّذِينَ ﴿٤﴾ وَأَمْرُكُ إِنْ  
 أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا لَهُمُ الْكَافُرُ إِنَّمَا عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ ﴿٦﴾ قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِسًا لَهُ  
 دُونِي ﴿٧﴾ فَأَعْبُدُهُ مَا يُشَاءُ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْمُغْنِيْرِينَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِلَّا ذَلِكُ  
 هُوَ الْمُخْرَجُ الْمُسْرِرُ ﴿٨﴾ لَمَّا تَنَقَّلُوا فَوْقَهُمْ ظُلْلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمَنْ عَنِيهِمْ ظُلْلَلٌ ذَلِكَ يَعْرُوفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادُهُ  
 يَعْبَادُوْنَ فَإِنَّهُمْ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ لَجَّيْتُمُ الظَّلَمَوْنَ أَنْ يَعْبُدُوهُمَا وَلَنَأْبُرُ إِلَى اللَّهِ لَمْ يُمْكِنُ الْبَشَرُ إِلَّا فَيَقُولُ عِبَادُ  
 الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ إِلَوْلَ قَيْسِيْرُونَ أَخْسَسَهُمْ أَرْجَاهُكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَرْجَاهُكَ هُمْ أَرْلَاهُ الْأَكْبَرُ  
 إِنَّمَا حَقُّهُمْ كَلْمَةُ الْعَذَابِ إِنَّمَا شَفَدَهُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ هُوَ إِنَّمَا اللَّهُ يُكَافِي عَبْدَهُ  
 وَيَخْرُقُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِيٍّ ﴿١٢﴾ وَمَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَمَا لَهُ  
 مِنْ مُعِيلٍ إِنَّمَا اللَّهُ يُعَزِّيزُ ذِي اِنْتِقَامَرِ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا سَأَلَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ  
 يَقُولُونَ إِنَّهُمْ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَذَعُونَ مِنْ دُونِ أَنَّهُ إِنَّ أَرَادَنِيَ اللَّهُ يُشَرِّهِ هَلْ هُنَّ كَاشِفُتُ صَرْرَةِ  
 أَوْ أَرَادَنِيَ يُرَحِّمَهُ هَلْ هُنَّ مُنِسِكُتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْنِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِتَوْسِيْلِ الْمُتَوَكِّلِوْنَ ﴿١٤﴾  
 قُلْ يَنْقُوْرِيْمَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِيْكُمْ إِنَّ عَنِيْلَ فَسَوْقَ تَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ مَنْ يَأْتِيْهِ عَذَابٌ يُخْزِيْهُ  
 وَيَجْلِيْهُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُفِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ أَمْ أَنْجَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شَفَعَةً قُلْ أَوْلَوْ حَسَافُوا لَا  
 يَعْلَمُونَ شَيْعًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ يَلَوْ اللَّهُ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَفَعَةٌ  
 إِلَيْهِ شَرِعُونَ ﴿١٩﴾ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَاءَنَ قُلْوَبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قَدَّا

(١) سورة الزمر، الآيات: ١ - ٣.

(٢) سورة الزمر، الآيات: ١١ - ١٩.

(٣) سورة الزمر، الآيات: ٣٦ - ٤٠.

ذِكْرُ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِّهُونَ ﴿٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَيْهِ  
الْغَنِيَّةُ وَالشَّهِدَةُ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٦﴾ ﴿١﴾ أَتَيْعُوا مَا  
أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ فَنِ رَبِّكُمْ وَلَا تَنْيِعُوا مِنْ دُونِهِ أَزْلَاهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٧﴾ ﴿٢﴾ مِثْلُ الَّذِينَ  
أَنْجَدُوا مِنْ دُونِهِ اللَّهُ أَوْلَى كَلَمَّةً كَمِثْلِ الْعَنْكَبُوتِ أَنْجَدَتْ يَتَّمًا وَإِنَّ أَوْهَنَهُ الْبَيْوَتِ لَبَيْثَ  
الْعَنْكَبُوتِ لَوْ حَكَانُوا يَتَّمُورُونَ ﴿٨﴾ .  
﴿٣﴾

أما بعد فلا ينكر أحد أن الحكومة السعودية هي الحكومة الإسلامية الناهضة المستقلة، التي نهضت بالعرب والإسلام الصحيح، وأشادت باسمهما بعدها كانت تقضي عليهما العوامل السياسية الأجنبية، ورفعتهما حتى انتعلا القمران بعد أن لم يكونا شيئاً مذكوراً، ولا أحد ينكر وثباتها القوية الدائبة إلى الرقي والكمال؛ ولا إصلاحاتها المتتجدة المشرمة التي صارت بها حديث المشرقين والمغاربيين ولا أحد ينكر أن سيد العرب العظيم الملك عبد العزيز بن سعود قد جمع خلال الرجل الكامل، والسيد المطلق؛ من حكمة وشجاعة ورفق وكرم وعقل إلى آخر خلال المدح والثناء والصلاح، وقد عرف له ذلك الناس جميعاً حتى المستشرقون من الأجانب الذين تعرضوا للكتابة عن العرب الإسلام وعن الجزيرة العربية ولا يوجد كاتب عربي ولا صحيفة عربية في مصر وغيرها إلا تصوغ كلمات المدح والإطراء بحق وجدارة على ذلك الملك الهمام في كل مناسبة، ولا سيما في الأوقات العصيبة التي تزيد هذا الملك كلما تفاقمت حباً في القلوب، وبعداً في الصيت؛ وقد امتلأت صفحات الجرائد المصرية من الثناء عليه في إبان ثورة الدويش وابن رفادة ومدحته مدحياً دونه مداعع أبي الطيب كلها في سيده سيف الدولة الحمداني ونوهت جميعاً بخطبته الرائعة التي ألقاها على عظماء الحجاج في العام المنصرف وزينت بها عمدها وسر بها كل المسلمين القربيين والبعيدين المحبين للعرب والإسلام، وشهدوا صادقين أن مثل هذه الخطبة لم يؤثر مثلها إلا عن الخلفاء الراشدين الذين ضمّنهم التاريخ، وكذلك فعلت بوصيته لولي عهده سمو الأمير سعود وقد رأيت أن أثبت هذه الوصية هنا لتكون هدياً يسير على ضوئها العرب والمسلمون.

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

## وصية جلالته لولي عهده

قد أرسل جلالته إلى ولي عهده بعد أن صدر الأمر العالى بتوليته العهد بوصيه بما يصلح الدنيا والدين قال جلالته:

«برقيتك وصلت وقد أحطنا علمًا بما جاء فيها، وهذا أملنا فيك؛ نرجو أن الله يرزقنا وإياك الهدى والتوفيق.

وقد أحببت أن أكرر عليك نصائحى. توجه فیصل وآخوانك إلى الرياض ويرفقنهم وقد من الحجاز. والحقيقة أننا رأينا في الحجاز أمراً ما كنا نظنه. كنا على يقين من إخلاصهم وولائهم. ولكن الأمر تجاوز الحد وفوق ما كنا نظن؛ فقد شاهدنا منهم محبة وشفقة على ولايتهم ونصحاً للمسلمين عظيماً. نرجو أن يوفقنا الله وإياهم للخير. أما أهل نجد فقد كتبنا لهم كتاباً وعرفناهم أننا أجبنا طلبهم فيما يتعلق بولاية العهد؛ وأما الأمر الذي أكرره عليك وأوصيك به فهو:

**الأمر الأول:** تقوى الله والمحافظة على ما يرضيه، وتفهم أن الحجج قائلة على البشر بعدما أرسل الله أفضل رسله، وأنزل أفضل كتبه، فلا يوجد بعد كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه وسلامه حجة لأحد، لأنها المبينة المبشرة بالخير بخلاف غيره؛ والمحللة والمنذرة عن الشر بخلاف غيره، فلا حجة ولا معذرة بعد ذلك. ثم تفهم أننا نحن آل سعود ما أخذنا هذا الأمر بمحولنا ولا بقوتنا إنما من

به الله علينا بسبب كلمة التوحيد.

وتفهم أن كلمة التوحيد معناها الإخلاص لله بالعبادة والانقياد له بالطاعة، أما الانقياد فهو اتباع أوامره واجتناب نواهيه، والعمل بالجميع بإخلاص ونية ومتابة. فبتحول الله وقوته ما اعتمد أحد به وقام بسنة رسوله إلا وفق وهدى والكلام بذلك يطول وزيدته ما ذكرنا.

**الأمر الثاني:** معلومك أننا في آخر زمان ولقد أصبح الشح مطاعماً والهوى متبعاً وأعجب كل ذي رأي برأيه، فبموجب هذا يخشى من التغيير والتغير. قال

الله سبحانه في محكم كتابه: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾**<sup>(١)</sup> وزبدة الحياة قائمة على قواعد (الأولى) ما ذكرنا أعلاه، (والثانية) مكارم الأخلاق كما قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «يا عائشة ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة» وقال الشاعر:

لَوْ أَنِّيْ خَبِرْتُ كُلَّ فَضْيَلَةٍ مَا اخْتَرْتُ فَيْرَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ  
كُلَّ الْأَمْرِ تَبَدِّدُ مِنْكَ وَتَنْقَضُ  
وَحْسَنُ الْخَلْقِ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ أَمْرَاتِ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا مَعَامِلَاتُ الْخَلْقِ بِالْإِنْصَافِ  
وَالْعَدْلِ وَمِنْهَا حَفْظُ سُمْتِ الْعَرَبِ وَأَخْلَاقُهُمْ كَمَا قَالَ ﷺ: «بَعْثَتْ لَأَنْتُمْ مَكَارِمُ  
الْأَخْلَاقِ» وَمِنْهَا بَذْلُ النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالنَّصْحُ فِي مَعَالِهِ وَمَرَاجِبِهِ.

**الامر الثالث:** الحزم في جميع الأمور، منها ما رواه بعض الأدباء عن انحطاط دولة بنى العباس فقال أحدهم للأخر: إنهم قربوا أعداءهم تاليفاً لهم، وأبعدوا أصدقاءهم وثوقاً بهم، خزنوا المال، وأهملوا الجندي، وتركوا حقوق الناس؛ فلما وقع الأمر، وادلهم الخطب؛ وتب عليهم عدوهم، وتباعد عنهم صديقهم؛ وصار الجندي في ضعف؛ ولم ينفع المال لفوائد الفرصة.

ويجب الحزم في مواقف أهمها تقريب المتقدمين من جميع الأصناف سواء منهم من كان قريباً أو بعيداً، وأخذ خواطرهم؛ وعدم تركهم سدى وإبعادهم بزلة بسيطة لا تلحق بالدين ولا بالولاية؛ وأن يتالف من كان من الرعية على قدر عقله؛ ويجلب خيره ويدفع شره، وأن تكون الحامية موجودة في كل محل ومن يوثق به وثبتت بالتجربة أفعاله؛ وأن يؤمر الناس جميعهم بالمعروف وينهوا عن المنكر؛ وأن يعاملوا بالعدل؛ ولا شيء أعدل من شريعة محمد، أما في الأمور التي تحيلها الشريعة إلى الولاية فهذه يتنظر فيها حسب المصلحة والأشخاص والأوقات بدون تشريع أو تغير، وعدم مداهنة أو إدخاء العنوان؛ والدليل على ذلك قوله تعالى: **﴿أَدْعُ إِلَّا سَبِيلَ رَبِّكَ يَلْكُمُهُ وَالْمَوْعِظَةُ لَمَسْنَةُ وَجَدَلَهُمْ يَأْلِقُهُمْ أَحَسَنَ﴾**<sup>(٢)</sup> وقوله: **﴿وَلَوْ كُنْتَ فَقِلاً غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَفْتَأْمُوا مِنْ حَوْلَةِ اللَّهِ﴾**<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) سورةآل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

ثم بعد ذلك تفهم أن كل شيء له حامية ومرجع؛ ومرجع المسلمين وحماتهم دينهم وعلماؤهم؛ فالعلماء كالنجوم؛ زينة للسماء، وقدوة للمسارين، ورجوم للشياطين؛ وليس العلماء في المقام على السواء، منهم من يؤخذ علمه ورأيه، ومنهم من يؤخذ علمه ولا ينافش في الرأي؛ لأن أخذ الرأي من الكبير الذي يعرف الأمور، وعدم العمل برأيه ليس بطيب، إنما يعمل مثل ما قال النبي صلوات الله وسلامه عليه: «إِلَيْنِي مَنْكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ»<sup>(١)</sup>، والعمدة على كل حال على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله والسلف الصالحة والخلفاء الراشدين ومن حدا حدودهم من الأمراء ورؤساء المسلمين سابقاً ولاحقاً.

وعليك بحفظ العهود والمواثيق كما قال سبحانه وتعالى: «وَأَذْرِقُوا بِالْعَهْدِ إِذَا  
الْعَهْدُ كَانَ كَانَ تَسْتَرُّا»<sup>(٢)</sup> سواء كان العهد مع بار أو فاجر؛ عملاً بقوله: «فَإِنْبَذْ  
إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ» لأن الغدر مذموم في الشرع وعاقبته وخيمة مع أي كان.

ثم عليك أيضاً النظر في مصالح المسلمين وولائهم في الصلح وال الحرب وفي جميع الحوادث؛ فما كان من التمادي فيه مصلحة للمسلمين أولاً كف شر هذا واجب العمل به؛ وما كان منه سعي وراء طمع أو إرهاق للنفوس فيجب التروي فيه كما قال الشاعر:

**الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المثلث الثاني**  
وكما قيل:

**واحرز الناس من لم يرتكب عملاً حتى يفكر ما نجنيه عواقبه**  
التبصر والتفكير والتعقل مذكور في كتاب الله وهو المعول عليه.

ثم بعد ذلك عليك النظر في أقوال الناس وأهوائهم وأرائهم والثبت في ذلك كما قال الله تعالى: «يَقُولُونَ أَذْنَانَ الَّذِينَ مَأْمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ فَلَا يُؤْمِنُوا فَلَمَّا  
يَجْهَلُهُمْ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوكُمْ ثَدِيرِينَ ﴿٦﴾»<sup>(٣)</sup>، فالثاني في تبيان أمور الناس والتفكير فيه وعدم العجلة به يظهر الحقيقة ويحل المشكل.

ثم بعد ذلك عليك النظر في حال النفس، وما تحتوي عليه من عز وشرف ولذات، فهذا أمر شاق وجهايد كبير، ولا علاج له إلا ثلاثة أمور:

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦.

الأول: التضرع إلى الله بقوله: اللهم ألهمني رشدي وأعذني من نفسي  
بالاستعاة به يكفي ابن آدم شر كل شيء.

الثاني: يعرض الإنسان ما بدا له وما طمع إليه على كتاب الله وسنة رسوله  
فما وافقهما عمل به وما خالفهما تركه والله سبحانه خير عوض في كل حال من  
الأحوال.

الثالث: النظر في أفعال أهل العلم والعمل والحقيقة لأن في اتباعهم خبر  
قدوة.

ثم عليك ذلك في المعاملات الداخلية من أي جهة كانت سواء في الأمور  
الاقتصادية، أو في حالة الأماء وأعمالهم مع الولاية والرعاية أو في الوزراء  
وسيرتهم، أو في حالة الناس فيما بينهم، فإذا دقق الإنسان النظر في هذا مع  
إخلاص النية وحسن القصد تبين له الأمر وكان على بصيرة وهدایة.

ثم بعد ذلك عليك النظر في الأمور الخارجية وأحوال الزمان وتقلباته وما  
تسير الدول عليها في علاقاتها الخارجية. والدول كالأفراد تتألف وتتفق طبقاً  
للامراض والمصالح؛ وأساس صلاتها قائم في تبادل المصالح وتفارض المنافع  
ودفع الأذى وحماية الشعور؛ فعليك التبصر في سياسة كل دولة ومعرفة أغراضها  
معرفة حقيقة تمكّنك من انتهاج خطة صريحة حيالها، فيما يوليكه الله من بلاد  
أنت المسؤول عن المحافظة على حرماتها؛ ودفع العداون عنها، وجلب الخيرات  
واستكمار المصالح والمنافع لها.

وعليك الحذر والثاني في تلقي ما ينفل إليك من الأخبار عن نوايا الدول،  
ونخذ ما يلقى إليك بالعقل والروية ولا تسر فيه بحكم الهوى والأمانى، واحذر من  
كلام يظهر لك في ظاهره النصح وهو كلام حق يراد به غيره، واتخذ ديدنك النظر  
فيما كان من أفعال الحكومات وموافقتها تجاهنا، واجعل سياستك قائمة على  
مصالحاتها باطنناً وظاهرها مسالمتها سراً وعلانية، واعلم أيضاً مقامك ومقام بلادك  
بين المسلمين وبين أبناء قومك العرب. ولا تنس واجبك تجاه كل مسلم وكل  
عربي، واعمل في كل ذلك كما قيل: لكل مقام مقال ولكل يوم شأن.

الحقيقة التي قد أطلت عليك الكلام وهذا شيء لم أرده ولا يمكن أن تعمله

بالعجلة. ولكن إذا أحسنت النية من جهة الله وسألته التوفيق، واستخرت وشاورت أهل الخبرة الناصحين وكل من عرفته من المختصين به في حول الله وقوته على طول الزمان تحصل التائبة.

أحببت أن أبيتن لك ذلك حتى تضعيه نصب عينيك وتفكري فيه في فراغك لأن هذا من واجبات الدين وواجبات الولاية، ومن الخواص التي لا يستغنى عنها ولاة الأمور. نرجو من الله أن يوفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه وصلى الله على محمد وآلها وصحبه وسلم.

يوم الجمعة أول صفر سنة ١٥٣٢هـ

عبد العزيز

ومع ذلك كله فقد أبىت السياسة الفاشمة على مشيخة الأزهر وعلمائه إلا محاربة هذا الملك ومحاربة حكومته ورجال دينه، وحرابها لهذا الملك ولأمته قسمان، سلبية وإيجابية، أما السلبية فهي أنها لا تذكر لها حسنة عملتها، ولا خيراً أسدتها، ولا تكتب كلمة في مصلحتها وإنفادتها، ولا تذكر شيئاً قد يعود عليها بنفع ولا تفعل أمراً تعلم أنه يرضيها وتوده؛ ولا تستاء إذا استاءت، ولا تفرح إذا فرحت، ولا تنكر كيداً يراد بها، وبالجملة لا تأتي شيئاً لها فيه منفعة وإن كان فيه منفعة الإسلام والمسلمين، وتتبع الحوادث القريبة والبعيدة تعلم ذلك: انظر مثلاً موقفهم من فتنة ابن رفادة، فالعرب والمسلمون أنكروها أشد الإنكار، واحتجوا عليها، وعدوها من المكائد الاستعمارية التي يراد بها القضاء على الإسلام وعلى استقلال بلاده، أما هؤلاء المشايغ فلم يكتبوا كلمة إنكار ل تلك الثورة المغضوب عليها لا في مجلتهم ولا غيرها، بل أخذوا يضرمونها بالطعن على الحكومة والقدح في عقائدها حين اضطرامها. وفي هذه الأيام لما علم زعماء العرب وعلماؤهم وأدباؤهم ذلك الخلاف بين الإمامين يحيى ملك اليمن، وعبد العزيز ملك العرب شقّ عليهم أمره، وخافوا عواقبه الخطيرة، فاجتهدوا في النصيحة للملكيين، وحدروهما سوء المصير، فأرسلوا برقيات وخطابات ملؤها النصائح الفائضة بالإشراق على الإسلام والعرب. أما مشايخ الأزهر فلم يكتبوا في ذلك كلمة ولم يبدوا نصيحة، وقد عابهم الناس لذلك، فكتبت إحدى الجرائد اليومية المصرية تلومشيخ الأزهر على أن لم يتدخل في الصلح وفي حل الخلاف، وطلبت منه أن

يتدخل ولكن من يسمع، بل أخذت مجلته في الوقت نفسه تقدح في الحكومة السعودية، وترميها بالخروج عن الإسلام وتكفير المسلمين، وسفك دمائهم، ولا يخفى عليك ما في هذا من التحرير والتسييج الذي يراد به ما يراد وهذا كان موقف هذه المشيخة إزاء مشكلة سكة الحديد الحجازية ومشكلة العقبة.

**وأما الثاني:** وهي الحرب الإيجابية فأروي لك منها ضرورياً:

**الضرب الأول:** نشر الدعاية العدائية ضد هذه الحكومة وملكتها بين طلبتهم ومن يسمع منهم بمناسبة وغير مناسبة، حدثني أحد طلاب الأزهر قال: ذكر جلاله الملك ابن السعود فعابه أحد مدرسينا وقال فيه كلمة بذيئة لا تخرج إلا من فم كائد للإسلام وأهله يقول الطالب فأنكرت عليه فما كان اعتذاره إلا أن قال إنه ينكر كرامات الصالحين!! قال فقلت له: إن هذا كذب عليه وافتراه يفتريه ذرو المطامع السياسية الخبيثة، وبه ينكرو ذلك أفيستحق لأجله أن يهجى ولا يستحق أن يطرى للأيادي البيضاء التي طوق بها عنق الدين الحق وملأ بها أيدي العرب، وبه يستحق ذلك أفيليق ذوقاً أو عرفاً أو ديناً أن تدم ملكاً عظيماً مسلماً بين صبية بلهاه. قال وقلت له: إذا كان ذلك من فضيلتكم حماسة للدين ولكرامات الصالحين فما لنا لا نسمع من أحد منكم يوماً كلمة في هجاء هؤلاء الذين انتصروا دماءنا وأفسدوا أخلاقنا المحمودة، ويدلوا ديننا الحق، وعملوا وعملوا قال: فاستكان ذلك المدرس ورمي الطالب بعيون الاستصغار والغصب. وروى لي طالب آخر أن مدرساً في الأزهر آخر عاب نظام الحكم في الحجاز ونجد وقسم الملكية إلى استبدادية ونيابية وعاب الأولى وقال ليس على الأرض اليوم ملكية استبدادية إلا في الحجاز ونجد (وقد كذب) يقول الطالب فقلت له إن شكل الملكية هنالك كشكل الخلافة الإسلامية وإن ملك الحجاز يمثل الخليفة الإسلامي أصدق التمثيل فهو يحكم البلاد بما يوجبه الكتاب والستة مستشيراً العلماء وأولي الرأي الصائب وهكذا تكون الخلافة وال الخليفة، ولو شئت لرويت لك في هذا الصدد روایات متعددة ومجالس هؤلاء المشايخ بالإجمال - ولا سيما كبراؤهم - تفيض بالعداوة لهذا الملك ولقومه جازاهم الله ما يستحقون.

**الضرب الثاني:** إذا أراد مدرس في الأزهر أن يؤدي فريضة الحج أحضره الشيخ الطواهرى وألح عليه أن لا يفعل، وأراه أنه إن فعل فقد عرض نفسه

لغضب الأزهر عليه غضباً قد يودي بعيشة فإن أصر المدرس على مخالفة الشيخ وعلى إجابة الله - وما أقل ذلك فيهم - أراه أنه لا حق له فيما يتلقى من معاش الأزهر ما دام مشغولاً في حجه عن دروسه؛ وأول من عامل مدرسي الأزهر هذه المعاملة التي يراد بها القضاء على شعائر الإسلام وهدم أركانه هو شيخه الحالي الشيخ الطواهري وأنت خير بما لذلك من الصد عن القيام بهذه الفريضة المقدسة التي لا يتم إسلام المرأة إلا بها، وخير أيضاً بالداعي إلى ذلك وما وراءه من غاية لا يراد بها إلا إصابة الإسلام في فواده. وتراءهم لا يحثون على الحجج في مقالة ولا خطبة ولا محاضرة، وهم يعلمون أن المسلمين - بله المصريون - مقصرون في شأن هذه الفريضة ينذر من يؤديها؛ وهم يقرأون قوله تعالى: ﴿وَأَذْنِ فِي الْتَّابِسِ يُلْحِجَ يَأْتُوكَ رِجْسَا لَا وَكَنْ كُلِّ هَنَامِرِ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجَّ عَيْنِي﴾<sup>(١)</sup> الآية، وقد شنت الجرائد المصرية الغارة على شيخ الأزهر حينما سن هذه السنة السيئة التي سوف يلحقه وزرها في الدنيا والآخرة.

**الضرب الثالث:** فتواءم وزارة الأوقاف المصرية أنه يصح ديناً إنفاق الأوقاف الحجازية على المصريين، وهذه الفتوى بظروفها الحالية مخالفة كتاب الله وسنة رسوله ومذاهب أئمة المسلمين جميعاً بل هي من أعظم الخطئات ولو لا انقياد الأزهر للسياسة لما أفتوا هذه الفتوى، ولقاموا في وجه صاحبها منكرين ومانعين ويزداد سخطك إذا علمت غضبهم للأوقاف الأهلية، ومقالاتهم التي قالوا فيها: إن شروط الواقف كنص الشارع لا يجوز تغييره ولا منه بشيء من التعديل<sup>١١</sup>

**الضرب الرابع:** حينما فتحت الجيوش السعودية العجاجز ألف في مكة المكرمة مؤتمر إسلامي عام مثله جميع المسلمين وكان رئيس الممثلين المصريين هو الشيخ الطواهري، فكان كلامه واقتراحاته كلها مشاكسة لحكومة العجاجز ومحادة لما ترمي إليه من إصلاح، حتى أنه كان يقوم بين المؤتمرين رافعاً عقيرته ويقول: الوهابيون يمنعون التوسل، ويمنعون دعاء الرسول، ودعاء الصالحين وما أنا أقول يا رسول الله أغتنى يا رسول الله انصرني، وهو لا يريد من ذلك غير إحفظ المؤتمرين على الحكومة، وإحفظ الحكومة نفسها ورمي المؤتمر بالفشل

(١) سورة الحج، الآية: ٢٧.

والخيبة، والأسف أن هذا صنيعه مع أن جلاله الملك ورجاله كانوا يتبعون رضوان جميع الوافدين ويحسنون مجامعتهم، وتوددون إليهم، والملك مجبر على كريم الأخلاق وكرم الضيافة، حتى لأشد عدواته. ولقد كان المصريون من ذلك في محل الأرفع فالملك يجاملهم مجاملة خاصة لا ينالها غيرهم وهم يعترفون بذلك.

وقد ذهب ذلك الشيخ وفي صحبته أخوه لزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام والتسلل به كما يقول سنة ١٣٤٩هـ على ما أظن فصليا في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجمعة، فسمعا الخطيب يأمر بعبادة الله وحده، وينهى عن عبادة غيره على حسب ما في القرآن فقام هذا الشيخ هو وأخوه وقاطعا الخطيب وقال له: إنك كفرت ومررت من الإسلام، وأمرا من في المسجد إلا يصلوا خلفه وأرجدا هياجاً ملا مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ووصل إلى الأمير خبره ثم إلى الملك فاستدعاهما الملك وأكرمهما غاية الإكرام جزاء على صنيعهما السبيء.

فماذا يراد من هذه المشاكسة وما الغاية التي ترمي إليها؟ نحن ندع استنباطها والحكم فيها إلى القراء.

الضرب الخامس: علمنا بالروايات الصحيحة الكثيرة أن ابن رفادة المصرري بسيف الحق كان قبل قيامه بثورته نازلاً في مصر ضيفاً على قريب للشيخ الدجوي وكان يجالسه الدجوي مجالس طويلة ليس معهما فيها إلا الشيطان وعلى عقب تلك المجالس خرج ابن رفادة من مصر وأوقد نار تلك الفتنة التي حرق بها، والتي سوف يحرق بها من دفعه إليها.

ولا تستبعدن على هذا الشيخ؛ فقد كتب في مجلة الأزهر مراراً: إن السعوديين هم الخوارج المارقون الذين قال في شأنهم رسول الله ﷺ «الذين أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» وقال في المجلة أيضاً إنهم كفار وإنهم شر من قطاع الطريق وإنهم شرار الخلق والخلية عند الله، وإنهم أضر الناس على الإسلام فإذا كان يقول هذه الأقوال في حقهم غير مستبر فأهلون شيء عليه أن يرى الثورة على حكمتهم جائزة أو واجبة.

**الضرب السادس:** أذت كل من يتسب إلى السعوديين أو يراهم مسلمين أو يقول شيئاً من أقوالهم؛ وقد فضلت منذ ثلاثة أعوام بضعة وسبعين عالماً من أفضل علماء الأزهر لا لسبب غير اتهامها إياهم بكرامتهم المخرافات وحبهم الوهابيين وركنهم إلى دعوتهم الإصلاحية السلفية، وهي الآن تمحن الطلاب في كراهية الوهابيين، فمن ظننته لا يكرههم أو رأته يحمل كتاباً من كتبهم ربما قضت عليه أو تحذته، وقد امتحن الظواهري نفسه العلماء الذين قدموا للاتصال بالبعث الأزهري الصيني فمن شم منه الرائحة السعودية لم يقبل منه صرفاً ولا عدلاً ولم يشفع له صلاح ولا علم، هذا على حين أن في الأزهر الذين يقدسون آراء طه حسين وإسماعيل مظہر وأمثالهم ويقدحون في خيرة المسلمين الأئمة الأربع وسائر المحدثين بل بين جدران الأزهر من يلعن الصحابة ويکفرهم وينسب إليهم كل كبيرة، فليعرفهم شيخ الأزهر ولیعرفهم الشیخ الدجوي إن لم يكونا يعرفانهم، بل؟ إنهم يعرفان طائفۃ الزیدیة ويعرفان عقیدتهم في الصحابة على ما أحسب بل لهؤلاء اتصال بالشيخ الدجوي ولهم مجالس معه خاصة طويلة يجمعه وإياهم بغض الوهابيين وإن كان يفرق بينهم بعد كل شيء وقد قدمت لهم شكاوى منذ أهواهم لدى المشيخة فلم تعرها إذناً، وهم يحلون منعة النساء المجمع على تحريمها بين الصحابة والأئمة المرتضىین، ويحلون أن يلبس الرجال الذهب وأن يتختموا به، فاستفتي الشيخ الدجوي في ذلك وطلبت منه الفتوى في نور الإسلام فتوثب للشتم والتفسيق فأخبر أن هؤلاء القائلين المحملين يکرھون الوهابيين ويحبون المتسللين فعفوا عنهم، ولدينا على هذه الأمور شواهد، فماذا أنت تفهم أيها المتذمرون؟ أرجوك أن تقف هنا طويلاً متفكراً متأملاً ما يريدون؟

**الضرب السابع:** في رواق العجائز طالب لا هم له غير القدح في حکومة العجائز والهجاء لسيدها، وكل الذين يعرفونه يعرفون ذلك منه لأنه لا يستتر بل يعلنه إعلاناً، وقد قدمت فيه عدة شكاوى من طلاب العجائز وغيرهم لدى المشيخة فلم تلتفت لها، بل ازداد المشكوا عندها وداً، وأخذوا يذهبون عنده يسمرون ويشربون، وقد اختاروا له أحسن غرف الرواق وأنزلوه أفضل منزلة إذا أذنب استغفروه وإذا أخططا صوبوه، وهو مع هذا يسب سادات المسلمين ويرميهم بكل نقص ولكن هجوء للوهابيين كفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر لدى مشيخة الأزهر.

الضرب الثامن: لما زار سمو الأمير سعود ولـي عهد الحكومة العربية مصر منذ سنوات أدى فريضة الجمعة في الأزهر، فأراد طالب أن يحييه بتحية شعرية نثرية فحالت المشيخة بينه وبين إلقاء التحية؛ ولكنني لا أدرى هل أسكنته بعد أن صعد المنبر وبدأ التحية أم منعه من الشروع فيها؟ على كل حال حالت بينه وبين تأدبة التحية، وهي مع ذلك لم تر بأساً في أن تحتفل بقدوم ملكي إيطاليا وتبعث الطلبة بالعمائم والجباب تاركين دروسهم وصلاتهم إلى المحطة تشريفاً لهما راكباً وهي تعرف ما فعله شعبهما بال المسلمين والإسلام في طرابلس الغرب ويرقة؛ والذي نحمد الله عليه ونغبط به - وإن كنا نُسأله من جانب آخر - أن مؤلاء الطلبة الأزهريين الموفدين للاحتفال بالملكيين قد لقوا من تفريح عامة المسلمين ونوبتهم والسخرية ما جعلهم يذوبون نادمين على ما فعلوا سابين مشيخة الأزهر على إلقائها إياهم في تلك المسبة؛ وقد حين الملكين بعض علماء الأزهر بتحية شعرية أخْرَقَ في مدحهما ونشرت هذه التحية في جريدة الأهرام باسم العالم الأزهري، وظنني أنه لو قال هذه القصيدة في الملك عبد العزيز لعاقبه الشيخة عقاباً قد يكون هو فصله من الأزهر والقضاء على مستقبله.

الضرب التاسع: قد ضمنت التاريخ الذي يدرس في الأزهر الطعن على الوهابيين والقدح في دين إمامهم الأول ووصفه بما تبرأ منه الحقيقة وما ذلك إلا لامر يراد من ورائه.

الضرب العاشر: - وهو آخرها - تلك الحملة الخاطئة التي حملتها عليهم في مجلتهم من يوم أن صدرت مجلة الأزهر إلى يومنا هذا وهي تقدفهم بالتكفير تارة والتفسيق أخرى.

غاظها وغاظ تلك الفتنة التي تصرف الأزهر وأهله حسب رضاها تلك الدعوة السلفية الإصلاحية والنهضة المباركة الإسلامية العربية، التي ثبتت أركانها أمراء آل سعود الكرام في الجزيرة العربية مهبط الوحي ومنبت النبوة، فتحايلوا للخلاص منها ومن عاقبها المحققة سوء عاقبة المستعمرين وصيانتهم وأخذوا ضدتها تدابير عديدة، وسعوا لإنفاثها مساعي كثيرة، صار مصيرها والحمد لله إلى الفضيحة والخسران ونصرة أهل الحق والإيمان ففكروا في أن ينأوتها من طريق الدين وعلى حسابه وقدرماً هدمت السياسة الدين على حساب الدين وحساب المحافظة عليه، فلم

يجدوا قواداً لهذه الحرب أكفل لنجاحها من مشايخ الدين، فدفعوا زعامة هذه الحرب وقادتها إلى مشايخ الأزهر فتقلدت مجلة الأزهر وكبار رجاله، فتظاهرؤ بالغضب والحمية لآل بيت الرسول وللأولياء والصالحين والتسل بهم، كما تظاهر الفاطميون قبلهم بالتدمر والعصبية للعلويين، فطفق مشايخ الأزهر يحرفون كلام الله وكلام نبيه، ويزيدون فيهما ويكتذبون على العلماء وعلى المسلمين بالإجماع وعلى العقل والمنطق لينصرموا دعوة الأموات والتعلق بهم ليقولوا إن الوهابيين مبغضون للأولياء ولبيت النبوة جاجدون لكرامتهم وجاههم عند الله أن أنكروا دعاءهم، وأمروا بدعاء الله وحده، أخذوا يتلمسون الشبهات الوثنية على دعاء الموتى من القرآن مصريح بروح الوثنية ومن السنة ومن كل ما كتب حتى من الأخبار الموضوعة ومن الأحلام والمنامات ومن أشعار الفساق المجان ومن كلام العامة وافعالهم ومن كل ما هب ودب كما يقولون، وضمّنوا ذلك السباب والهجاء، ففتنتوا كثيراً من البله والأغمار، وسحبواهم إلى باطلهم سجناً، فوجدت رد باطلهم لزاماً علينا نواخذ إن تركناه عند الله وعند الناس، فشخصت إلى بطل هذه الحملة الشيخ الدجوي في بيته وطلبت إليه أن يكف عن هؤلاء المصلحين وأن ي جانب طريقه المعوج، والمحنت عليه في الرجاء وقدمت بين يديه من الوعد والإيعاد، وعالجته بالقصوة واللين، فأبى إلا أن يزداد من هجائهم وقال إنه لن يتنهى أبداً، فرأيته أن لديه من هو أحق بالمناولة منهم لو كانوا يستحقونها. أريته الملحدين والمبشرين والمستعمرين وما في القطر من أنواع المحرمات التي أحلها قانون حكومته فرتع بها قومه سراً وجهرأ، فلم يقدر أن يفهم ولا أن يعترف أن في الدنيا أضل من الوهابيين ولا أحق بالإيمان منهم وقال بالنقل الحرفي: إنهم يستحقون أكثر من ذلك قالها ثلاث مرات يرفع بها صوته، فلما رأيت وسائله قد بطلت عنده وأن رقاي لم تفله تلطفت في طلب المناورة منه فيما كتب في ذلك وطلبت منه أن نضع كل ما جاء به ضدهم على بساط المناقشة الهدنة العادلة ليرى المخطئ من المصيب. وقلت: إنك تكتب دائماً: «ومن علامات الراسخين في العلم أنهم ينهمون أنفسهم ولا يقدسونها» فاتهم نفسك وسأجلنا البحث فأبى إباء شديداً وقال: إنه عليل لا يقوى على كلامنا فقام وتركنا.

ثم رجعت إلى القلم، فكتبت كتاب (البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية) فنسفت به كلّ ما صنعه قلم أدع لهم كلاماً ولا مأخذأ، فاعترف الموافق

والمخالف بإفحام هذا الكتاب لهؤلاء حتى قال أحد كبار علماء الهيئة في الأزهر: «أعجبت من الشيخ الدجوي كيف استطاع أن يعيش بعد كتاب النجد وأعجب منه أن يحاول الكلام في الوهابيين بعد أو يحاول الرد عليهم أو يحاول إثبات الوسيلة وتصححها» وقد غدا صيحة الليلة التي خرج فيها الكتاب عاصباً رأسه بعصابة سوداء متعرضاً ولم يستطع أن يلقي درسه، وأخبرني متصل به محب له أنه لا يفتاً بعد كتابي يصخب ويسب وينادي بالويل والثبور ولم يقدر أن يرد على مقدمة من مقدماته، ولا أن يشاكس في نتائجه وهو المخالف المشاكس، فعدنا ذلك منه إقراراً بالعجز واعترافاً بالغلب لنا والحمد لله وحده بل قد ترك الكتابة في الوهابيين - وهي قرة عينه - بعد صدور الكتاب ورجم وجوماً مريضاً، فحسب الناس أنه لن يعود لهذا الباب أبداً وأنه انهزم كل الانهزام، ولكن بعد مضي ثلاثة شهور أخذ يهاجمهم في أبواب أخرى في مسألة الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام بعد الأذان جهراً وغيرها من البدع والخرافات وأخذ يزيد في العادات، وفي أحكام الدين العنيف ويحرق إجماع المسلمين ويخالف صريح القرآن وصرائع السنة المطهرة ويقول إنها بدع حسنة ويستدل لذلك من نصوص الدين ويستدل على أن من البدع ما هو حسن محظوظ الله وإن خالف النصوص والمعقولات، فرجعت عليه ووضعت كتاب «شيخ الأزهر والزيادة في الإسلام» ذكرت فيه البراهين العقلية والنقلية على أن الابتداع في الدين ضلال كله، وقد ذكرت على ذلك ستة وعشرين برهاناً ما بين عقليات ونقليات كل برهان منها معجز لهذا الخصم، وردت عليه أيضاً في مسألة الصلاة على الرسول بعد الأذان جهراً كما أنشي قد ذكرت فيه جميع شبكاتهم العقلية والنقلية على القول بالبدعة الحسنة وأبطلتها أيما إبطال؛ إبطالاً لا قبل لهؤلاء بمقاومته فلم يقدروا على الرد على شيء فيه أيضاً. بل أذعنوا له كما أذعنوا لكتاب البروق قبله فتم الغلب لنا في البحثين، وصار الحق من نصيبنا في الكتابين؛ والحمد لله وحده على نصره لنا.

إلى هنا أبطلنا عليهم كلَّ ما نازعوا الوهابيين عليه وأثبتنا أن الحق من حظ الوهابيين فيه باعتراف الجميع وباعتراف الأزهريين أنفسهم، وبعجزهم عن المعارضة والمنازعة - وهم أشد الناس هياماً بالاعتراض والتزاع.

# تَوْحِيدُ الْأَلْوَهِيَّةِ وَالرِّبُوبِيَّةِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا

وبعد ما تقدم كله خرج الجزء الخامس المجلد الرابع من مجلتهم يحمل مقالاً شديد الحماسة؛ حار اللهجة؛ تحت عنوان (تَوْحِيدُ الْأَلْوَهِيَّةِ وَالرِّبُوبِيَّةِ) والمقال برمته مجازفات ومهاترات، ليس فيه شيء من علم ولا تحقيق وسوف أعرفك ذلك بالبراهين التي لا تقاوم وسوف أفك على ما أدعوه إلى أن تقول فيه ما أقول والمقال أيضاً ينم على تأثر شديد بين جنبي صاحبه؛ وعلى حرج قد ملا صدره وملك عليه شعوره وعاطفته، وأنه ليتمس في ثناياه الهمج والضيق والضعف والانهزام.

يحتوي هذا المقال على دعويين (إحداهما) أن الكفار والمشركين الذين قاتلهم الرسول ودعاهم إلى التوحيد بل وكل كافر ومشرك لم يكونوا يعترفون بالله ولا بأنه الخالق للعالم. (والثانية) أنه لا فرق بين توحيد الألوهية والربوبية، وأنه لم يفرق بينهما غير ابن تيمية وأتباعه، هاتان هما الدعويان اللتان حملتهما ذلك المقال الضخم، والأآن أذكر لك دليلاً عليهم بالاستقصاء؛ وسوف أرد عليهما وأزيفهما بالحجج القوية حتى يرحم الشيخ عدوه.

«هل كان المشركون ينكرون وجود الله أو ينكرون أنه الخالق لكل شيء» زعمت نور الإسلام بتتوقيع الدجوي صفحة ٢٥٦ من المجلد الرابع أن المشركين كانوا ينكرون وجود الله واحتجت لهذا المزعم بأيات.

**الأولى:** قوله تعالى: **﴿وَلَا يَقِيلُ لَهُمْ أَسْجُدُوا لِرَبِّنِي فَالْأُولَاءِ رَبُّهُمْ﴾**<sup>(١)</sup>.

**الثانية:** قوله تعالى: **﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّ الْأَرْضَمْ إِلَّا هُوَ﴾**<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٠.

**الثالثة:** قوله تعالى: **«وَقُمْ بِمَا كُلُُّوكَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِسَابِ»**<sup>(١)</sup>.

**الرابعة:** قوله تعالى: **«أَلَيْكَا هُوَ اللَّهُ رَبُّكَ»**<sup>(٢)</sup>.

**الخامسة:** قوله تعالى: **«وَلَا تَسْبِحُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبِبُوا اللَّهَ عَذَابًا**

**يُغَيِّرُ طَبِيرًا»**<sup>(٣)</sup>.

هذا جملة ما احتاج به على إنكارهم لذات الباري،؛ ثم تداركه الزلل وبعد عن التوفيق، فزعم أن المشركين كانوا مقررين بوجود الله ولكن كانوا يشرون معه خبره في الخلق والإيجاد والضر والنفع، واحتاج بآيات.

**الأولى:** قوله تعالى: **«أَنْفَكُذُوا أَجْبَارُهُمْ رَبُّهُنَّهُمْ أَنْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»**<sup>(٤)</sup>.

**الثانية:** قوله تعالى: **«تَأْفِهُ إِنْ كُنَّا لِنَفِي ضَلَالٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ إِذَا سَوَّيْكُمْ بَيْنَ الْعَالَمَيْنَ»**<sup>(٥)</sup>.

**الثالثة:** قوله تعالى: **«وَجَعَلُوا فَوْرَ مِئَةِ ذَرَّا مِنَ الْحَرَثِ وَالْأَنْعَمِ نَعِيشَ كَانُوا هَذَا لَهُوَ يَرْعِيهِمْ وَهَذَا لِشَرِكَائِنَا كَمَا كَانَ لِشَرِكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَعِيشُ إِلَى شَرِكَائِهِ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦﴾»<sup>(٦)</sup>.**

**الرابعة:** قوله تعالى: **«وَمَا تَرَى مَعَكُمْ شَفَاعَةً كُمْ الَّذِينَ رَعَيْتُمْ أَنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ شَرِكَوْنَا»**<sup>(٧)</sup>.

هذه الآيات التي احتاج بها على أن المشركين كانوا مقررين بوجود الله مشركين معه الأصنام في الخلق والإيجاد، وقبل الخوض في مساجلته أرجوكم تحفظ له هنا تناقضه ولتعدده أول غلطه في مقاله هذا.

(١) سورة الرعد، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٥) سورة الشعراء، الآيات: ٩٧ - ٩٨.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٣٦.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٩٩.

## جواب شبهاتهم

أبداً أولاً بإبطال هذه الشبه، ثم أثني بالبراهين على إيمان المشركين بوجود الله، وبأنه الخالق لكل شيء وأنبئهم قبل البدء أنه لا يجوز لهم الاحتجاج بالقرآن والحديث ما داموا مقلدين وما داموا يرون التقليد فرضاً عليهم، بل يجب أن يتحجوا بما قال مقلدوهم بلا تصرف ولا نظر، فاحتجاجهم هنا بهذه الآيات طفل وغفلة عما يفرضه قن الجدل وقانون المنطق، ونحن هنا نفرضهم مجتهدين يستحقون المخاطبة بالبرهان فنقول:

### الجواب عن الآية الأولى: وهي قوله وما للرحمٰن من وجوه:

الأول: ليس في الآية الكريمة إنكار للرحمٰن؛ وإنما فيها استفهام عنه (بما) التي يسأل بها عن حقيقة الشيء، والمصدق بوجود الأمر يسأل عنه لا خلاف بين اللغويين في ذلك، فهم يقولون: ما الروح؟ كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾<sup>(١)</sup> وهم يؤمنون بها. ويقولون ما الملائكة وما الجن؟ وهم يؤمنون بهم، ويقولون ما الدجوي وما شيخ الأزهر؟ وهم يؤمنون بوجودهما، وفي التفسير أن المشركين سألوا رسول الله عن ربه فأنزل الله: ﴿فَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٢)</sup> إلى آخر السورة فليعلم الدجوي - إن كان لا يعلم - أن السؤال عن الأمر ليس إنكاراً له، بل لا يكون إنكاراً إلا بقراين على أنه مجاز، والأزهريون يقولون: يجب حمل الكلام على حقيقته إلا إذا امتنعت: وما قال أحد قبل هذا الشيخ: إن السؤال عن الشيء هو إنكار لوجوده؛ فهي غلطة لغوية دينية.

الثاني: نقول: هب ذلك جحوداً، ولكن هل هو جحود للذاته تعالى؟ أم جحود لتسميتها بالرحمٰن؟ هو لم يدل على ما قال، وقد يسمع العربي لفظ عقار وخدريس وكميتس - من أسماء الخمر - فيقول ما العقار وما الخندريس وما الكميتس؟ وهو مؤمن بها. وقد يكون يشربها ولكن يجد تسميتها بهذا الاسم أو يجهلها ونحن لو قلنا للشيخ الدجوي ولشيخه الظواهري: لا تكون العبادة إلا لله

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) سورة الإخلاص، الآية: ١.

فيجب إخلاص الدين له وألا يشرك به شيئاً لقلاً لنا: ما العبادة وما التوحيد وما هو الشرك؟ وهم يؤمنان بوجود هذه المسميات ولكن ينكران ويجهلان تسميتها بهذه الأسماء، فليفهموا أن الاسم غير المسمى، والمدلول عليه غير الدال، وإن جحد أحدهما أو جهله ليس جحداً للأخر ولا جهلاً به؛ ونحن جميعاً ننكر تسمية الله باسم عاقل وذكي وفاضل ونحوه به مؤمنون سبحانه وتعالى.

الثالث: روى البخاري وغيره في خبر صلح الحديبية أن الرسول لما أمر الكاتب أن يكتب صورة الصلح قال له قل: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فقال سهيل بن عمرو النائب عن المشركين في الاتفاق على الصلح: أما الرحمن فلا نعرفه ولكن اكتب باسمك اللهم؛ فقول سهيل لا نعرف الرحمن ولكن اكتب باسمك اللهم يدل على أمرين على أنهم مؤمنون بالله وأنهم يستعينون به في أمورهم وعلى أن الذي ينكرون هو وصفه بالرحمن، ولو كانوا ينكرون ذاته كما تزعم مشيخة الأزهر لعارض باسمك اللهم ولأنكر لفظ الجلاله وللفظ الرحيم المذكورين، فهذا يفسر الآية ويوضح قولهم (وما الرحمن) فماذا ترى مجلة الأزهر في ذلك؟

الرابع: المفسرون قاطبة يفسرون الآية بإنكار المشركين لهذا الاسم لا لذاته قد أجمعوا على هذا التفسير وفيهم الصحابة والتابعون؛ وطالع ما شئت من كتب التفسير، ومن يعرف أحوال العرب وموائع كلامها غير هؤلاء؟ وهل جن المسلمين يقدموا كلام الأزهر على كلام الأئمة والصحابة والتابعين.

الخامس: المعاشرة؛ قد قال بنفسه في أثناء المقال إن المشركين مؤمنون بالله إلا أنهم يشتركون معه غيره في تصريف الكون، واستدل بقوله: ﴿تَأَلَّهُ إِنْ كُنَّا  
لَنِّي حَلَّلْ مُبِينٌ ﴾<sup>(١)</sup> إِذْ نُسَوِّيْكُمْ بَرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> وبياتي الأنعام السالفة، فإذا كان قائلاً إن المشركين كانوا يؤمنون بالله ووجد عليه أدلة من القرآن، فما كان جواباً له عن هذه الآية فهو جواب لنا، وإن كانت تدل على نفي الله - بزعمهم - بطل قوله إن المشركين كانوا يؤمنون بالله، وإن صح قوله هذا بطل استدلاله بالآية على

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٩٧ - ٩٨

إنكارهم الله؛ فهو لا محالة واقع في الخطأ.

**السادس:** هذه الآية على فهمهم مخالفة لتسمية العرب مشركين بالله والناس - قاطبة - يقولون إنهم مشركون بالله، فلو كانوا جاحديه لما كانوا مشركين به، فتسميتهم مشركين بالله يدل أنهم مؤمنون بوجوده ولكن عبدوا معه غيره.

**السابع:** الآية على فهمهم معارضة بما احتج به هو من قوله: ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ومثلها: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْبُدُونَ﴾<sup>(١)</sup> فماذا يصنعون؟

**الثامن:** إذا كان أمثال قوله: ﴿وَلَمَنْ سَأَلَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقُولُونَ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup> إلى غيرها من الآيات الكثيرة لا يدل على إيمانهم بالله وإيمانهم بأنه خالق كل شيء، فمن العجب أن تدل الآية المذكورة على جحدهم الله، وإذا كان يكذبهم في قولهم: الله خالق كل شيء، فلماذا لا يكذبهم في قولهم (وما الرحمن) وإذا كانوا يقولون للرسول الله خالق كل شيء كاذبين اضطراراً للحججة - وقلوبهم جاحدة - فكيف ينكرون الرحمن؟

فماذا تقول أيها القارئ في هذه الشبهة وأجربتنا عليها؟ أرجوك النظر في ذلك.

## الجواب عن الآية الثانية

- وهي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾<sup>(٣)</sup> - هي الأجوية عن الآية قبلها تماماً ما خلا الوجه الأول، ونزيد هذه الآية بأن نقول: الآية تقول: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ وهو لا يدل على النفي، فالناس جميعاً يقولون لمن جاء بأمر مكفر: إنه كافر بالله، ويقولون: كافر أبي الله - وإن كان مؤمناً بوجوده وبملائكته وكتبه ورسله. ومصرة الأزهر تقول: من يقل إن الله على العرش فهو كافر بالله وتقول: من قال كذا وكذا فهو كافر، فهل هي تريد أنه يكون جاحداً لذات الله؟ وإذا تكون قائلة ما لا ي قوله الصبيان. ومن لي بمن يسمعهم قوله تعالى: ﴿فَمَنْ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٠.

يَكْفُرُ بِالظَّلْمَوْتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَسْكَنَ بِالْمَرْءَةِ الْوَنِقَاءِ<sup>(١)</sup> ومن لي بمن يفهمهم أنها لا تري جحود الطاغوت والكفر بوجوده، فإن الطواغيت موجودة في كل عصر؛ والمدافعون عن القبور وعن الوسيلة هم منهم ومن لي بمن يفهمهم أيضاً أن الآية لا تري من الإيمان بالله الإيمان بوجوهه فحسب آه على الذوق والفهم. ألم يبلغ هؤلاء قوله الله تعالى: ﴿هُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكُمُوا إِلَى الظَّلْمَوْتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَن يَكْفُرُوا<sup>(٢)</sup>﴾ وكذا قوله: ﴿إِذْ قَالُوا لَرَبِّهِمْ إِنَّا بُرُّوا مِنْكُمْ وَمِنْتَ نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُلَّنَا<sup>(٣)</sup>﴾ وبذا ينتكسون وينتكم المذلة والبغض<sup>(٤)</sup>﴾ أهـ يفهمون أن الكفر في هذه الآيات يعني إنكار وجود المكفور به؟ هذا شيء ظريف جميل، ما أجدر هؤلاء أن يعلموا اللغة والنحو.

إن كتب الله وكلام أنبيائه وكلام العلماء مملوءاً وعيدهاً لمن كفر بالله أو كفر بشيء مما أنزله الله. فهل تقول لنا المشيخة: إن المراد من الكفر المععد عليه هو الجحد لله والإنكار لذاته. لا أظنها تقدر على أن تبرح لهذا، وإنني أتحدى مشيخة الأزهر على أن تأتينا بلفظ عربي واحد فيه مادة الكفر وأن المراد منه هو جحود وجود المكفور به، إني أتحداهم وانظرهم ما يشاورون زمناً، هل هم فاعلون الم يقرأ هذا يوماً في عمره مثل الرجلين المذكورين في سورة الكهف وقد قيل لأحدهما: ﴿أَكَفَرْتَ بِاللَّذِي خَلَقْتَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّلَكَ رِجْلَكَ<sup>(٥)</sup>﴾ لاجل تلك الكلمات التي قالها مع أنه كان مؤمناً بوجود الله قائلاً: ﴿وَلَئِنْ رُوَدْتُ إِلَى رَقَبَةِ الْأَيَّدِنَ حَبَّرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا<sup>(٦)</sup>﴾ و قائلاً في آخر القصة: ﴿بِنَاتِيَقَ لَمْ أَشْرِكْ لِيَقَ لَهُمْ أَحَدًا<sup>(٧)</sup>﴾ فهل هذا الكلام جاحد أم كلام معترف؟

فماذا يرى القارئ بعد هذا البيان؟ وماذا يرى الأزهريون في غرابهم الأسم؟

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٠.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٣٧.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٣٦.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٤٢.

### الجواب عن الآية الثالثة

وهي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> من وجوهه:

الأول: قدمنا لك أن المعترض نفسه اعترف أن في القرآن آيات تدل على إيمان المشركين بوجود الله، وإنما كانوا مشركين، باعترافه هناك والأيات التي اعترف بالحقيقة لأجلها تجاويه عن هذه الآية أو تفهمه معناها.

الثاني: يا ليت الشيخ يفهم أوليات اللغة فيعرف أن المجادلة في الأمر ليست جحوداً له، بل قول الناطقين جميعاً: جادل فلان فلاناً في فلان أو في كذا وجادل الوزير الملك في زيد أو عمرو، لا يدل على نفي المجادل فيه؛ بل يدل على العكس يقيناً. وقول الله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكُمْ رَبُّكُم مِّنَ بَيْتِكُم بِالْحَقِّ وَإِنَّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ هُنَّ مُغْرِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿يُجَدِّلُونَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾<sup>(٣)</sup> ليس معناه أنهم يجادلون في وجود الحق إلا لکفروا، وكذلك قول الناس كافة: تجادل العلماء في كلام الله وفي القضاء والقدر وفي أبي بكر وعمر وفي علي وعثمان وفي أمرى القيس والنابغة وفي المتتبى والبحتري لا يكون معنى ذلك الإنكار والجحود بالاتفاق، آه لو يفهم هؤلاء قول الله: ﴿فَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكُمْ فِي زَوْجِهَا وَنَسْبِكُمْ إِلَى اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup> قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِزْرَهِمَ الرُّوحُ وَجَاءَهُمْ أَبْشَرٌ يُجَادِلُنَا فِي قَوْرِئِ لُوطٍ﴾<sup>(٥)</sup> فيعرفون أن المجادلة في شيء لا تكون نفيأ له البينة. لا أظن الدجوي يجرؤ - وإن كان الجريء - أن يقول: إن المرأة كانت تجادل في وجود زوجها، وأن إبراهيم يجادل في وجود قوم لوط، وافتبيحة الأزهر يجهلون ضروريات اللغة، ويحاولون النقض على ابن تيمية ويحاولون تجاهيله، والله لقد ضاق صدرى من عجائب زمني وإننا نطلب من هؤلاء المشايخ أن يروننا استعمالاً واحداً لهذا الاستعمال والمعنى فيه نفي وجود ما تدخل عليه (في).

(١) سورة الرعد، الآية: ١٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١.

(٥) سورة هود، الآية: ٧٤.

الثالث: لا يستحي هؤلاء أن يزعموا أن هذه الآية تدل على نفيهم الله، ولا يدل مثل قوله: **﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُمَّ﴾**<sup>(١)</sup> إلى آخر الآيات التي سوف نوردها على إيمانهم بوجوده وبأنه الخالق.

الرابع: نقول أيضاً: إن الجدال في نفي الأمر ليس نفياً له ولا اعترافاً بانتفائه، فقد يجادل المزعوم في نفي شيء يؤمن به لأغراض كثيرة، منها حب الشهرة ومنها الرغبة في المشاكلة، أو الحب لأن يقول الناس: إنه جدل قوي العارضة ومنها التمرن على صناعة الجدال وإحسان أدائه، ولنكتف بهذه الأجرة عن الآية إشارةً على المشيخة ورحمة بذريتها.

### الجواب عن الآية الرابعة

وهي قوله: **﴿أَلَيْكَا هُوَ اللَّهُ رَبُّ﴾**<sup>(٢)</sup> من وجوهه:  
الأول: الخطاب بين رجلين كما قال: **﴿وَأَمْرَتُ لَمَّا مَثَلَ رَجُلَيْنِ﴾**<sup>(٣)</sup> فهو أن المخاطب كان ينكر الله، فكيف دل ذلك أن المشركين كانوا كلهم أو جلهم كذلك ينكرون؟ هذا منطق عجيب!

الثاني: ليس في الآية إلا أن قال أحدهما: الله ربى، فهل يدل هذا على أن الثاني ينكر الله؟ وهذا منطق أيضاً غريب؛ فما أجهل هؤلاء بلغة العرب فإن مثل هذا الوضع لا يدل أبداً على القصر، فإننا إذا قلنا - مخاطبين الشيخ الدجوي وشيخه - الله ربنا ومحمد نبينا، لم يفهم من ذلك عربى أننا نرمي الدجوى بإنكاره الله، أو إنكاره نبوة محمد عليه السلام؛ وإذا قلنا: محمد رسول الله، أو عيسى رسول الله، لم يدل أننا ننكر أن غيرهما من الأنبياء والمرسلين رسول الله، هذا أمر ظاهر يعرفه العامة فضلاً عن الخاصة.

الثالث: قال الذي زعم الدجوى أنه ملحد **﴿وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَكَ رَبِّي لَأَجَدَنَّ حَبْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾**<sup>(٤)</sup> وقال: **﴿فَاصْبِحْ يُقْلِبَ كَيْلَيْنَ عَلَى مَا أَنْقَقَ فِيهَا وَهُنَّ حَاوِيَّهُ عَلَى عُرُوشَهَا وَيَقُولُ**

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٣٨.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٢.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٣٦.

**يَلْتَمِسُ لَوْ أَشْرَكَ بِرَبِّ الْجَاهِمَةِ**<sup>(١)</sup> إِذَاً هُوَ مُؤْمِنٌ بِرَبِّ إِنَّمَا وَقَعَ فِي الشَّرْكِ.

**الرابع:** الرب في الآية إما أن يكون هو الخالق المتصرف، أو يكون هو المعبود، فإن كان الثاني كانت الدعوى في جهة؛ والشبهة في جهة أخرى؛ لأن يزيد أن يدل على أنه كان جاحداً لله؛ لا على أنه مشركاً بالله، ونحن نوافقه على الأخير؛ وإن كان أي إن الرب في الآية هو الخالق المتصرف كان هذا غلطًا منهم قبيحاً بل كفراً مجرداً؛ لأن المعنى حينئذ يكون الله خالق دونك فالله ليس خالقاً لك، ومن انكر أن يكون الله رب العالمين - للمؤمنين والكافرين - كما قال الحمد لله رب العالمين - فهو كافر، فانظر - يرعاك الله - كفروا ذلك الإنسان الذي شهد الله له بالإيمان، فماذا يقولون؟ وهل إذا رأينا من ينكر الله وينكر توحيده نقول إن الله ليس خالقاً له؟

ومن أراد أن يعلم أن بين هؤلاء وفهم القرآن حجبًا كثيفاً؛ فليراجع القصة في سورة الكهف، وهيأت أن يسموا إلى فهم القرآن إلا قوم خفت أبدانهم من قلة الطعام وكثرة العبادة، وكبرت عقولهم واستنارت من طول الفكر ومواصلة السهر.

### الجواب عن الآية الخامسة

وهي قوله تعالى: **هُوَ لَا تَبُوأُ الظِّيرَكَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَذْلًا يُغَيِّرُ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِمْ** وجه استدلالهم بالأية أن يقال: ما جرؤوا على سب الله إلا لأنهم يجحدونه، هذا وجه الاستدلال - على ما أظن - وهم لم يبينوه، والجواب من وجده:

**الأول:** هي نقض عليهم إذ من المعلوم أنه لا يسب أحد إلا من يؤمن بوجوده، أما من لا يؤمن بوجوده فليس بممكن أن يسبه، بل ولا أن يحكم عليه بحكم، فإذا سمعنا رجلاً يسب آخر علمنا أنه يعترض بوجوده يقيناً لا يمكن غير ذلك إلا أن يكون يفكر بعقل ظواهري دجوي، والقرآن لم ينزل بلسان هؤلاء.

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.

الثاني: رأينا كثيراً من المسلمين - الذين تدافع عنهم مجلة الأزهر إذا أصيروا في مال أو ولد - سبوا الله وأضافوا إليه النقص والظلم، وهم لا ينكرون ولا يجحدونه، ونحن نعلم أن التوسل الذي تدافع عنه مجلة الأزهر هو سب الله وإلذاء.

الثالث: لو كان سبهم الله إنكاراً لكان سب المؤمنين آلهة المشركين إنكاراً، والسبان مذكوران في آية واحدة، ومن يقول ذلك!

الرابع: ليس السب كما يفهم الدجوبي وإنخوانه؛ فهم يفهمون أن السب هو أن يقال: يا ملعون، أو يا مسرب أو لعنك الله وما شابه ذلك، بل السب في لغة العرب أوسع دائرة، فإن كل نقص سب وسبة فإذا جهلت أحداً فقد سببته، وإذا أضفت إليه نقصاً - وإن ظنت أنه كمال - فقد سببته وفي مفردات الراغب في مادة سب قال: «وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُبُوا اللَّهَ عَذْلًا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ» وسبهم له ليس على أنهم يسبونه صريحاً ولكن يخوضون في ذكره فيذكرونه بما لا يليق به ويتمادون في ذلك بالمجادلة فيزدادون في ذكره بما تنزع عنه.

وهذا مثل كلام مجلة الأزهر في الله وفي صفاته، والحاصل أن هذا الاستدلال من مهازل هذا العصر ومناقضه، في بينما يرى العلم يطير بأهله ويطوي لهم الأرض تراه يرتكس بآخرين حيث لا يصل الوهم والخيال.

هذا آخر الأجرمية على شبهاتهم أن المشركين كانوا ينكرون وجود الله، ولترحف إلى أدلةهم على أنهم ينكرون أن يكون الله خالق كل شيء.

## شبّهاتهم على إشراك الكافرين في الربوبية

الأولى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَن تَنْعِذُوا لِلْكَبِكَةِ وَالثَّيْعَنَ أَرْبَابَهُ﴾<sup>(١)</sup> قوله: ﴿أَرْبَابُهُ مُتَكَبِّرُونَ خَيْرٌ أَكْرَمُ اللَّهُ الْوَجْدُ الْفَهَارُ﴾<sup>(٢)</sup> قال الدجوي: «فقد صرخ بـتعدد الأرباب عندهم راين تيمية وابن عبد الوهاب يقولان إنهم موحدون توحيد الربوبية» وهذا غلط وقصور في اللغة، فليس في الآيتين أنهم جعلوا مع الله أرباباً بل في الأولى أنه لا يأمر بذلك، وفي الثانية السؤال أيهما خير: الأفراد أم التوحيد، وليس معنى ذلك الإثبات، وكنت - علم الله - أظن هذا الكاتب على شيء من علم اللغة فبان لي أنه ليس منها في شيء، ولو اهتدى قليلاً لكان استدلاله بقوله تعالى: ﴿أَنْعَذُوا أَنْجَارَهُمْ وَرَبِّكُنَّهُمْ أَرْبَابًا إِن دُورَتِ اللَّهُ وَالْمَسِيحَ أَبْنَتْ مَرِيسَمَ﴾<sup>(٣)</sup> وقد نبه إلى هذه الآية فذكرها في مقاله الذي بعد هذا المقال، وقبل الجواب يجب أن يفهموا أن مراد ابن تيمية ومن وافقه من توحيد الربوبية أنه لا خالق إلا الله فالنزاع في المعاني لا الألفاظ؛ والجواب حيثما من وجوه:

الأول: قد فسر الرسول عليه السلام هذه الآية. روى الترمذى وغيره أن عدي بن حاتم سمعه يقرأها. فقال: يا رسول الله، إنهم لم يعبدوهم ولم يستخدموهم أرباباً. فقال: أليس يحلون لهم الحرام فيحلونه؟ ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه؟ فقال: بلـ. فقال «أَتْلِكَ عِبَادَتَهُمْ». بين عليه السلام أن هذه الربوبية هي تقليدهم الأحبار والرهبان التقليد الأعمى - كما يريد الدجوي من المسلمين أن يكونوا وليس لأحد مع رسول الله كلام؛ وأعىذ المسلمين بالسمع

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٠.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣١.

البصير من أن يدعوا تفسير رسولهم لتفسیر مشایخ الأزهر، قال الشيخ الدجوي في الجزء الخامس (المجلد الرابع من مجلتهم) صفحة ٣٢٢ بعد أن ذكر الآية المذكورة: «وَهُلْ الْمَرَادُ مِنَ الْأَرْيَابِ فِي الْآيَةِ إِلَّا الْمَعْبُودُونَ» وكتب تحتها: «وقد قال عدي: إننا لم تتخذ الأحبار والرهبان أرباباً فإننا لم نعبد هم؛ فدل ذلك دلالة صريحة على أن كل معبد رب وقد أقره عليه السلام على هذا فماذا ترى؟». هذا كلام الدجوي في الصلب وفي الحشية وقد وقع في غلطة قبيحة وتناقض صريح فإنه قال: وهل المراد من الأرباب في الآية إلا المعبدون؛ وقال تحتها: إن الرسول أقر عدياً في أنهم لم يعبدوهم، أي فالرسول عليه السلام وعدى قالا إنهم لم يعبدوهم، والشيخ الدجوي يقول إنهم عبدوهم، أوليس هذا تكديباً للرسول لو شعر هذا المغفور، وأحسنة على العلم والدين.

الثاني: معنى الرب أوسع من معنى الخالق، فالزعيم، والصاحب، والخالق والمنعم والمالك كل أولئك أرباب في لغة العرب؛ إذاً لا يجوز تخصيص الأرباب هنا هنا بالخالقين أو المالكين دون غيرهم من معانٍ للرب؛ فلا يكون لهم في الآية شبهة إلا إذا أقام الدليل هنا على أن الأرباب هم الخالقون الم موجودون وهو لم يفعل فلا قيمة لقوله.

الثالث: الآية نازلة في اليهود والنصارى، والأحبار والرهبان هم علماؤهم وعبادهم، وهذا هم النصارى واليهود قدامنا؛ نستطيع أن نفهم هل هم يرون أحبارهم ورهبانهم وقسهم، ويطاريقهم خالقين موجودين؟ نحن نعلم بالضرورة أن عقيدتهم ليست هكذا، ولتسائلهم مشيخة الأزهر إن شئت فيما تقول.

الرابع: معنى اتخذوا صيرروا؛ فإن كان الأرباب هم الخالقين - كما تقرر معرفة الأزهر - كان نظم الآية هكذا صيرروا أحبارهم ورهبانهم خالقين من دون الله. وهل هم يقدرون أن يصيروهم خالقين وهل يقدرون على إعطائهم صفة الخلق؟! يا سبحان الله! إنهم لا يقدرون على ذلك، وإنما يقدرون على أن يعبدوهم. آه على الذوق العربي وعلى العقل الذي يعقل مما يوقع في التلف، ثم قوله من دون الله يرد شبهتهم أبلغ رد.

الخامس: في آخر الآية: «وَمَا أَمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا إِنَّهَا وَجْدًا لَا إِلَهَ

**إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**<sup>(١)</sup> فلو كان الشرك في الخلق لقال ولا خالق إلا الله سبحانه عما يشركون أو نحو ذلك، هكذا يكون وجه الكلام الصحيح.

**السادس:** هب اليهود والنصارى جاعلين مع الله خالقين، فكيف يلزم أن تكون طوائف الكفر والشرك كلها هكذا؟ ألا قاتل الله الجهالة وقاتل الهوى.

### الشبهة الثانية

قوله تعالى: **﴿تَأَلَّهُ إِن كُنَّا لَنَا لِئَنِّي مَنَّاكِلٌ مُّبِينٌ إِذْ نُسُوقُكُمْ إِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾**<sup>(٢)</sup> ويجوز أن يكون مثلها: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَيَّهُمْ يَقْدِلُونَ﴾**<sup>(٣)</sup> إن جعل بريهم متعلقاً ببعدلون ويصبح أن يكون متعلقاً بقوله: **﴿كَفَرُوا﴾** فلا تكون الآية مما معنا ويعدلون حينئذ ينصرفون عن الحق ويصرفون، والقولان جائزان لغة وتأويلاً؛ والجواب عن الشبهة من وجوهه:

**الأول:** نقول كيف صدقتم المشركين هنا ولم تصدقواهم في قولهم **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾**<sup>(٤)</sup> والتکذیب إذا جاز هنالك جاز هنا ولا فرق.

**الثاني:** الآية تقول: **﴿إِذْ نُسُوقُكُمْ﴾** أي حين نسوقكم. وهل فيه أنهم فعلوا ذلك، ومثل هذا في - كلام العرب - لا يدل على الواقع، فإذا قال المصريون ناصر الأزهر والأزهريين إذ يصلحون ويستقيمون، لم يدل على أنه يحصل منهم ذلك فضلاً عن الحصول.

**الثالث:** كلمة التسوية ومتصرفاتها لا يدل على التسوية من كل وجه، ومثله المعاشرة والمشابهة، فإذا قيل تساوى الرجال أو سوية بينهما أو سوية هذا بذلك لم يدل على التسوية المطلقة التامة؛ وهذا من أوليات اللغة وفي القرآن: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَوَجَّهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّهَا كَمْبُوتٌ لَّهُ﴾**<sup>(٥)</sup> صير حبهم

(١) سورة التوبه، الآية: ٣١.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٩٧ - ٩٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

الأنداد مثل حب الله موجباً لكونهم له تعالى أنداداً، والنـد هو المثل أي المساوي، وفي الحديث أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: «ما شاء الله وشئت فقال أجعلتني الله نـداً قـل ما شـاء الله وحـده»، قوله تعالى: ﴿فَلَا يَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> أليس معناها ألا يعبد إلا الله، وعلى رأي هؤلاء معناها النهي عن أن يجعل الله شريك في كل شيء، وفي سائر الصفات؟ ومن يجرؤ على هذا غير هؤلاء؟ ومن يقبل أن يكون جميع الذين في النار كانوا يسـون أصنامـهم بالله في جميع الأشياء الوجودية؟ وهذا أمر لا يمكن أن يقع؛ هو من المحالات، وفي القرآن والحديث وكلام العرب الشيء الكثير، مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الْوَرْقِ أَنْتُمْ فَارِسُوهُ﴾<sup>(٢)</sup> قوله: ﴿كَمَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَغْنَى وَالْأَصْنَى وَالْبَصِيرَ وَالْسَّمِيعَ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

الرابع: هـب ما ذكر يدل على تسـوية المشرـكـين الأصنـامـ بالـلهـ فيـ كلـ الأـحكـامـ، لكنـ الأخـبارـ الدـالةـ عـلـىـ آنـهـ يـؤمنـونـ بـأنـهـ خـالـقـ كـلـ شـيـءـ، وـبـأنـهـ المتـصـرفـ المـطـلـقـ كـمـاـ سـيـجيـهـ مـثـلـ قولـهـ: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا يَعْبُدُونَ إِلَّا هُنَّ لَهُ زَلْفَةٌ﴾<sup>(٤)</sup> قولهـ تعالىـ: ﴿وَرَبُّكُمْ مَنْ دُونَ اللَّهِ مَا لَا يَضْرُبُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَتْهُمْ وَنَدَ اللَّهُمَّ﴾<sup>(٥)</sup> ومـثـلـ قولـهـ: ﴿وَإِذَا مَسَكْمَ الْمُرْثَرَ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَيْاهُمْ﴾<sup>(٦)</sup> وفيـ الحديثـ أنـ الرـسـولـ عـلـيـهـ السـلامـ قالـ لـحـصـينـ: «كـمـ إـلـهـ تـعـبـدـ؟ قالـ سـبـعةـ سـتـةـ فـيـ الـأـرـضـ وـوـاحـدـاـ فـيـ السـمـاءـ، قالـ مـنـ تـعـدـ لـرـغـبـتـكـ وـرـهـبـتـكـ قالـ الـذـيـ فـيـ السـمـاءـ» نـعـمـ إـذـاـ فـرـضـنـاـ آيـةـ التـسوـيـةـ تـدـلـ عـلـىـ التـسوـيـةـ المـطـلـقـةـ - كـمـ يـدـعـيـ هـؤـلـاءـ - وـجـبـ تـخـصـيـصـهـاـ بـهـذـهـ النـصـوصـ. أوـ لـيـسـ مجلـةـ الـأـزـهـرـ تـكـتبـ بـتـوـقـيـعـ هـذـاـ الشـيـخـ تـفـوـلـ مـنـ قـالـ: إـنـ اللهـ فـيـ السـمـاءـ - تـمـشـيـاـ مـعـ نـصـوصـ الـدـينـ بلاـ تـشـيـهـ وـلـاـ تـمـثـيلـ - فـقـدـ شـبـهـ اللهـ بـخـلـقـهـ وـسـوـاهـ بـالـحوـادـثـ أـمـيـ تـرـيدـ أـنـ مـنـ آمـنـ بـعـلوـهـ فـقـدـ سـوـىـ بـيـنهـ وـبـيـنـ الـمـخـلـوقـينـ فـيـ كـلـ شـيـءـ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٣) سورة هود، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٥) سورة يومن، الآية: ١٨.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٦٧.

### الشبهة الثالثة

وهي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِهِ مَا ذَرَّا مِنَ الْحَرثِ وَالْأَنْعَمِ نَصِيبًا فَقَاتَلُوا هَذَا يَلُو بِرَغْبَتِهِ وَهَذَا لِشَرِكَائِنَّا فَمَا كَانَ لِشَرِكَائِهِمْ فَلَا يَعْمَلُ إِلَّا اللَّهُ وَمَا كَانَ لِهِ فَهُوَ يَعْمَلُ إِلَّا شَرِكَائِهِمْ مَا مَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> والأية - كما ترون - بعيدة عما يريدون أن يتهموها به كل البعد، فليس فيها إلا أن جعلوا لهم شركاء، وجعلوا لهم نصيباً مما خلق الله - كما يفعله العوام الذين تدافعون عنهم مجلة الأزهر: فجماهير المصريين يقلمون النذور للبدوي وللسيدة زينب ولكثير من الأولياء: يقدمون لهم مما ذرأ الله من الحرف أي الزرع والأنعام: البقر والغنم والإبل، كالذين حكى الله عنهم. ويقولون: هذا عجل البدوي وعجل السيدة زينب؛ فيأكل ذلك الشيخ الدجوي وشيخه الظواهري وأخوانهم. فما أشبه الليلة بالبارحة أو ما أشبه الغراب بالغراب - كما يقولون؛ وقد كثرت نذور السيد البدوي سنة تبلغ ما جمع صندوقه من الفلاحين القراء ما يقارب تسعين ألفاً من الجنيهات فقال حافظ إبراهيم:

احسأنا لا يسرزقون بـ سرهم      وبـ سالف الف ترزق الأمسوات  
للـ سيد الـ بدوي مـ لـ كـ دـ خـ لـ هـ      تـ سـ مـ وـ اـ لـ حـ ظـ وـ ظـ هـ بـ اـ تـ  
وـ اـ نـ اـ عـ لـ بـ لـ نـ يـ الـ رـ جـ وـ دـ وـ لـ بـ يـ لـ يـ      بـ اـ اـ مـ دـ فـ رـ مـ اـ بـ هـ اـ تـ اـ تـ  
مـ نـ لـ يـ بـ حـ ظـ النـ اـ نـ مـ بـ يـ بـ حـ فـ رـةـ      قـ اـ مـ تـ عـ لـ اـ حـ جـ اـ رـ هـ اـ مـ صـ لـ وـ اـ تـ

وأناأشهد بالله أن هذا الشيخ أحمق مسوف في الحمق وإنما كانت هذه الآية من حججه، لا يدرى كيف دلت على أن المشركين كانوا يجعلون مع الله خالقين، إن كان من قولهم: ﴿وَهَذَا لِشَرِكَائِنَّا﴾ فقد غار حيث لا مقر، ومن يقول إن قول القائل: هذا لفلان أو لهذا العنم معناه أنه خلقه، أما سمع هؤلاء العوام النازرين للبدوي وللشيخ فلان وفلان، وأما إن كان من قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِهِ فَهُوَ يَعْمَلُ إِلَّا شَرِكَائِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> فقد غار أيضاً، لأن القوم كانوا يقولون: إن الله غني فلا يضيره أن نصرف ما نذرناه له إلى الشركاء لأنهم فقراء، وأما نذر

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٦.

الشركاء فلا يصرفونه إلى الله للحججة نفسها. ولو كانت البلد تحكم بالقانون الإسلامي لوجبت معاقبة هذا الشيخ لتجزيفه كتاب الله وتلاعيبه به. فمثل هذا التجزيف شر من التكذيب به، فجرم المكذب راجع إلى نفسه؛ وأما المحرف فمضل مفسد. أراح الله منهم العباد والبلاد.

#### الشبيهة الرابعة

وهي قوله تعالى: **﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شَفِيعاً كُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ يُكْثِرُونَ﴾**<sup>(١)</sup> ودليله من الآية - على ما أحسب - قوله: **﴿أَنَّهُمْ يُكْثِرُونَ شَرِكُوكُمْ﴾** أي في خلقكم على أنهم شركاء الله في إيجادهم، ويكون **﴿فِي حُكْمِكُمْ﴾** متعلقاً بالشركاء. ولا يلزم ذلك لوجوه.

الأول: لا يمتنع أن يكون **﴿فِي حُكْمِكُمْ﴾** متعلقاً بمحذوف حال؛ أي الذين زعمتم أنهم شركاء الله حين كانوا بين أظهركم أي في الدنيا، لأن المشرك يوحد في الآخرة ويتبرأ من شركه، قال تعالى: **﴿وَرَبُّكُمْ تَحْسُرُهُمْ جِبِيلًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَنْتُمْ تَرْكُوكُمْ أَنَّكُمْ أَذْنَانَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْعَمُونَ ﴾**<sup>(٢)</sup> ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كَانَ  
مُشْرِكِينَ<sup>(٣)</sup> **وقال:** **﴿مَثُلُّ أَرْهَابِكُمْ إِنَّ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرُ اللَّهِ  
تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾**<sup>(٤)</sup> **بَلْ إِيمَانُهُمْ مُنْكَرٌ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسُونَ مَا  
تُشْرِكُونَ﴾**<sup>(٥)</sup> وهذا المعنى هو اللاقى بالآية، وفيه ما فيه من التنديد والزراية  
بالمشركيين. وهذا صعب فهمه على أشياخنا الكرام.

الثاني: الآية على حلف مضارف باعتراف الجميع، أي شركاء في خلقكم أو عبادتكم أو حبكم وعنایتكم أو نحو ذلك. فما الذي حكم للشيخ الدجوبي بالمضارف الأول دون ما سواه؟ وما الذي منع أن يكون التقدير في عبادتكم وتألهكم كما صرخ به في الآيات الأخرى؟ القرآن يفسر بعضه ببعض، فقد صرخ في غير ما آية أنهم يعبدون غيره. وما جاء في آية أنهم قالوا: خلقنا صنم أو اشتراك في خلقنانبي أو ولد. بل أنبأنا أنهم إذا سئلوا عن خلق كل شيء قالوا: الله.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٤.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ٢٢ - ٢٣.

(٣) سورة الأنعام، الآيات: ٤٠ - ٤١.

الثالث: يقول كل أحد لرجلين ملكا شيئاً - عبداً أو غيره - : هما شريكان فيه  
واشتراكاً فيه . ولا يراد الشركة في الخلق . هذا شيءٌ أوضح من أن يستشهد له ؛  
قال الله تعالى : ﴿ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ لَذَفَتْهُ رِبَّا  
رِزْقًا حَسَنًا فَهُرَّ بِنِفْقَتِ رِبِّهِ بِرِبِّهِ وَجَهَرًَا هَلْ يَسْتَوِنُ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا  
يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> هل تعني الآية أنهم شركاء في خلقه إلا في فهم المشايخ ؟ فإذاً لا تدل  
الأية - البة - على الشركة في الخلقة .

الرابع: في الآية ما يرد عليهم إذا تقول: **﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شَفَاعَةً لَّكُمْ﴾**<sup>(٢)</sup> تزيد  
أنهم شفاعة لهم في زعمهم لا في الحق فما لهم من شافعين؟ وإذا كانوا يعدونهم  
شفاعة لهم فكيف يعدونهم خالقين؟ اللهم إن الأمر واضح وأن الهدي هدي الله.

**الخامس:** لر أن الآية تقصد الشركة في الخلق لما اختصتهم بذلك بل  
لقالت: **﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شَفِيعاً كُمْ الَّذِينَ رَعَيْتُمْ أَنْهُمْ﴾** في الكرون أو في السماء  
والأرض أو في الخليقة **﴿شركاء﴾**، هكذا يجب أن يكون الكلام إذا كان المراد  
ما يفهمون.

الشِّهَادَةُ الْخَامِسَةُ

(١) سورة النحل، الآية: ٥٧

(٢) سورة الانعام، الآية: ٤٤

(٣) سورة هود، الآية: ٤٦

شيء. وتقول فيهم مجلة الأزهر: إنهم مؤمنون موحدون حقاً، بل أسمع أعجب من ذلك وأدنى إلى الإقناع أن الأزهريين جميعاً يقولون - كما في كتبهم المدرسة - إنه لا خالق غير الله، بل قد يقولون: لا فاعل إلا الله والعباد ليسوا فاعلين إلا صورة!! ومع عقیدتهم هذه لا يتحاشون أن يتسبوا الفعل والترك والضرر والنفع إليهم، ويقولون: أحسن فلان وأساء وقتل وأحيى، فهل نافي ذلك قولهم إنه لا خالق إلا الله؟ إنه لم يناف ذلك عندهم فإذاً لم نافي قول المشركين: ﴿إِن تَتَوَلَّ إِلَّا أَغْرِيَنَا بِعُنُثُرَاتِنَا يُسَوِّرُونَ﴾ لأن يعتقدوا ويقولوا: الله خالق كل شيء وجدير بمجلة الأزهر حيث أن تأخذ من نسبة المشركين إلى أنفسهم والتي رسليهم الأفعال أنهم خالقون أرباب، ولو لا أن أشقر على مشيخة الأزهر لقلت لها: إن الفاعل لا يلزم أن يكون خالقاً ربياً ولا لكننا جميعاً أرباباً: الحق أن هؤلاء يقولون ما لا يفهمون ويجهلون ما لا يفهم.

هذه براهينهم على أن المشركين كانوا ينكرون وجود الله، ويراهينهم على أنهم مشركون في الربوبية؛ فوازن أيها الفارئ الفطن بينها وبين أجوبتنا عليها، وبراهيننا الآتية أن المشركين موحدون توحيد الربوبية.

**البراهين على أن المشركين مؤمنون  
بأن الله خالق كل شيء**

وهو الذي فسميه توحيد الربوبية وعلى ذلك براهين نذكر بعضها:

**البرهان الأول: القرآن الكريم ودللاته على ذلك أنواع:**

## النوع الأول

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٥

(٢) سورة المزمن، الآيات: ٤٨ - ٤٩.

(٣) سرمه بولس، الآية: ٢١

**الأول:** ما أجا مشيخة الأزهر إلى هذا الزعم إلا الشبهة التي ذكرناها وذكرنا لك بطلانها، فإذا بطلت الشبهة بطل ما بني عليها.

**الثاني:** لو كانوا كاذبين مخالفين ضمائرهم - كما ادعت مجلة الأزهر - لا كذبهم الله أو لا كذبهم رسوله، ولما أقر لهم على الكذب، وقد كذب المنافقين إذ ادعوا ما لم يؤمنوا به. قال: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ قَاتِلُوا نَسْهَدْ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ رَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿قَاتَلَ الْأَغْرَابَ إِمَّا مَنْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَئِنْ كُنْ قُولُوا أَتَلَمْنَا﴾<sup>(٢)</sup> فلماذا لم يكتبهم الله ولا رسوله إذا كانوا كاذبين؟ وقد ذكر هذا الإقرار منهم في آيات متعددة، ولعل المشيخة تعلم ما في الإقرار على الكذب من النقص والقبح تعالى الله عن ذلك وتعالى عما يرميه به هؤلاء.

**الثالث:** من المحاولات التي لا تقع - عادة - أن تتفق الجماهير الكثيرة الذين لا يحصلون عدداً مختلفو المشارب والأهواء والبقاء على أن يقولوا ما لا يعتقدون وما لا يصدقون، نعم هذا من أبطل الباطلات، وظني أن هذه المشيخة لا تعرف ما المحال العادي، إننا نعلم - بداعه - أنه لا يمكن أن يتتفق المصريون كلهم على أن يقولوا يوماً ما خلاف ما يعتقدون غير مكرهين؛ وقد أخبر الله أن هذا التوحيد هو جوابهم في كل زمان ومكان عندما يسألون.

**الرابع:** ليس ثم دافع يدفعهم إلى أن يقولوا خلاف دينهم وخلاف عقيدتهم في حين أن كانت العزة والقوة لهم، والأمر بأيديهم، وهذه الآيات كلها مكية حينما كان المسلمون مستذلين مقهورين هم في حاجة إلى التكتيم لا خصومهم المشركون فهل تدرى المشيخة هذا السر؟

**الخامس:** هذا خلاف قول المفسرين قاطبة من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام، واقرأ ما شئت من التفاسير المعتمدة عند المسلمين قديمة أو حديثة مثل تفسير ابن جرير وابن كثير والرازي وأبي السعود والبغوي والبيضاوي والنوفي المقرورة في الأزهر. ومعلوم أن هذه التفاسير مقبولة عند المسلمين مشهورة وهم

(١) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

يقرأون تقريرهم هذه المسألة فلا ينكرونها، فهي مسألة إجماعية، فتاویل مشيخة الأزهر هذا في الآيات السالفة مخالف لإجماع المسلمين السالفيين واللاحقين، ومن العجب أن يقول: إنه لم يقل أحد غير ابن تيمية وأتباعه إن المشركين كانوا مؤمنين بـأن الله الخالق المتصرف في كل شيء وأنا أقول لها - بالبرهان - إنه لم يوافق مشيخة الأزهر على قولها هذا أحد من المسلمين وسوف أنقل لك النصوص فيما بعد باللفظ مع ذلك الرقم والجزء لتعلم أن هؤلاء المشايخ لا يخافون الله ولا يحترمون القراء.

السابع: لو كانوا يقولون ذلك نفاقاً وهرباً من الحجة كما يزعم هذا الشيخ لقالوا يوماً من الدهر للرسول عليه السلام أنت صادق في دعوتك الرسالة، ونزلت الرحي عليك؛ وفي البعث وما بعده وصادق في أن لا إله إلا الله وبالجملة لواافقه فيما يقول للعلة التي ذكرها هذا الشيخ؛ ولكن لم يقولوا شيئاً من ذلك بل صارحوه الخلاف والمعادة.

السابع: هذه الآيات وهذه الإقرارات لم تذكر ليان نفاق القوم وإنما ذكرت ليان عقيدتهم وما يعترفون به ليتحقق عليهم بما لم يفروا به ولن يكون دليلاً لهم وإذا رجعت للآيات بـأن لك ما أذكر جيداً.

هذه أمور سبعة تنقض على مجلة الأزهر تحريفها الآيات تقضياً لا يبرم.

## النوع الثاني

تركوا ما سوى الله في الشدائـد، وضرعوا إليه وحده، ونسوا أصنامهم وما يعبدون، وما كان هذا منهم إلا لأنهم يرونـه سبحانه هو المتصرف الذي لا يردـ ما أرادـ ولا يمكنـ ما لا يريـدـ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَصَبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ تَحْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا يَجْئُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْشَّرُّ فِي الْبَرِّ حَسَلَ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ مَلَّا يَجْئُكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَفَرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَنُ كَفُورًا﴾<sup>(٢)</sup>.

الأول: إيمان المشركين بـوجود الله عكس ما قالت مجلة الأزهر.

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٧.

الثاني: إيمانهم بأن الخلق وتصريفه بيد الله، وأنه لا أمر لأحد معه، ولو كانوا يجعلون لأحد معه شيئاً لدعوه حيناً أو أحياناً في حال الشدة ولم ينسوه أبداً.

الثالث: إن شرك أهل زماننا أغلظ من شرك الأولين، فإن الأولين - كما في الآيات - ينقطعون إلى الله ويدعون ما سواه في حال الخوف لا يعرفون ولباً ولا نبياً، وأما أهل زماننا فهم في الشدة لا يعرفون إلا الأولياء والصالحين؛ ولا يعرفون الله، أليس هكذا يا دجوي؟ وأكثر طلبة الأزهر يضرعون إلى المشايخ عند الامتحان ويبدون لديهم من التوسلات والرغبات ما يجعلك تظن أنهم من أولياء الله المقربين؛ وهذه أشياء موضع وفاق بيننا وبين مجلة الأزهر؛ فهي لا تنازع أن المشركيين لا يدعون إلا الله عندما يكررون بعد أن أطلعوا على هذه الآيات؛ ولا تخالف أن أهل زماننا يدعون المقربين ويتعلقون بهم عندما يرغبون أو يرهبون، أليس هكذا يا دجوي ويا ظواهري؟

### النوع الثالث

قال الله تعالى: «سَيَّئُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا مَا بَأْتَنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ يَنْقِلُونِي»<sup>(١)</sup> وقال: «وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدَنَا مِنْ دُرُنِيهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَا حَنْعٌ وَلَا مَا بَأْتَنَا وَلَا حَرَّمَنَا مِنْ دُرُنِيهِ مِنْ شَيْءٍ»<sup>(٢)</sup> وقال: «أَنْطِعُمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعِمُهُ»<sup>(٣)</sup> فاقواليهم هذه تدل على الجبر المحسوس، وعلى أنهم يعدون أنفسهم مصروفين بيده تصريف قهر واضطرار ليست لهم مشيئة ولا اختيار، ولبيست هذه العقيدة عقيدة المنكر، ولا قولهم هذا قول الجاحد الملحد، بل هذه أقوال من غاب في شهود الربوبية عن شهود الأمر والنهي، أليس الأمر كما أقول أيها الشيخ؟ فخذ العلم مني فما يبنفك مثل عليم.

### النوع الرابع

قال تعالى: «وَإِذَا قَاتُلُوا نَحْنُ أَنْتَمْ قَاتِلُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا مَا بَأْتُمْ وَأَنَّهُ أَنْتُمْ ذَاهِنُونَ قُلْ إِنَّ اللَّهَ

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٥.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٥.

لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْقُلُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فهم يرون ما يأتونه من الطاعات والمعاصي قد أذن الله لهم بإتيانه وحضورهم عليه، والأمر في الآية يدور بين الأمر الحقيقى بمعنى أن الله أمرهم به على لسان المسلمين وبين الأمر المجازي الذى يراد به القضاء والاضطرار، وعلى التأowيلين قولهم هذا يشهد على أنهم مصروفون تحت إرادة الله ومشيته وحده في زعمهم، وهذا غاية الإيمان بالربوبية.

### النوع الخامس

حدث القرآن عن أكفر الكافرين وأطغى الخلق أنهم مسلمون لله الربوبية، قال موسى لفرعون: «لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ هُوَ الْأَكْبَرُ إِنَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِعَصَابَرَ وَإِنَّ لَأَظْنَكَ يَكْفِرُ عَوْنَوْنَ مُشْبُرًا ﴿٢﴾» وقال الله يعنيه وقومه: «وَجَعَدُوا إِلَهًا وَأَسْتَبْقَنَهَا أَنْفُسُهُمْ ظَلَمًا وَظُلْمًا ﴿٣﴾» بل حدث عن إبليس رئيس كل كافر وفاشق؛ أنه مؤمن برربوية الله وذلك موجود في غير ما آية. فحيثنا من الجهل بالدليل وبالواقع أن يقال إن غير هؤلاء ممن لا يكافئونهم شرًا كانوا يجحدون ما اعترف به هؤلاء.

### النوع السادس

قال تعالى: «وَرَبُّكُمْ مَنْ دُرِّبَ اللَّهُ مَا لَا يَشْرُكُهُمْ وَلَا يَنْفَعُونَ هُوَ الْأَكْبَرُ شَفَعَتُنَا بِهِنَّدَ اللَّهُ ﴿٤﴾» وقال: «وَالَّذِينَ أَخْلَدُوا مِنْ دُرِّبَهُمْ أَوْلِيَّهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَقَ ﴿٥﴾» أي يقولون ما ثعبدهم، فالآياتان تبيّنان أن المرغوب إليه المرهوب عندهم حقيقة هو الله، وإنما جعلوا الأصنام وسائل تصليهم بالله كالأولياء عند شيخنا الهمام غراب الأزهر، وإنما فهم يرون الأمور حلها وإبرامها بيد الله؛ فهم مؤمنون برربوبيته أتم الإيمان وإن جهله الأزهريون.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٢.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٤.

(٤) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٥) سورة الزمر: الآية: ٣.

## النوع السابع

قال الله تعالى: **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِإِلَهٍ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُون﴾**<sup>(١)</sup> قال ابن جرير في الجزء الثاني عشر (صفحة ٥٠ من تفسيره الطبعة الأميرية): «يقول تعالى ذكره وما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف الله عز وجل صفتهم بقوله: **﴿وَكَانُوا يَنْعَذُونَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُم عَنْهَا مُعَرِّضُون﴾**<sup>(٢)</sup> بـالله أنه خالقهم ورازقهم وخالق كل شيء إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأولان والآصنام واتخاذهم من دونه أرباباً، وزعمهم أن له ولداً تعالى عما يقولون». قال: وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل؛ ثم روي عن ابن عباس قال: من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال قالوا: الله وهم مشركون؛ وعن عكرمة قال: تسألهם من خلقهم ومن خلق السموات والأرض ليقولون: الله لذلك إيمانهم بالله وهم يعبدون غيره، وعن عمرو وعكرمة قالا: يعلمون أنه ربهم وأنه خالقهم وهم مشركون به، وعن عكرمة قال هو قول الله: **﴿وَلَهُن سَائِنُهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُم﴾**<sup>(٣)</sup> فإذا سئلوا عن الله وعن صفتة وصفوه بغير صفتة وجعلوا له ولداً وأشركوا به. وعن مجاهد قال إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، وعن عكرمة ومجاهد وعامر أنهم قالوا في هذه الآية: **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِإِلَهٍ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُون﴾** قال ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والأرض؛ فهذا إيمانهم ويکفرون بما سوى ذلك، وعن قتادة أنك لست تلقى أحداً منهم إلا نباك أن الله ربها وهو الذي خلقه ورزقه وهو شرك في عبادته، وعن الضحاك قال: كانوا يشركون به في تلبية، وعن عطاء قال: يعلمون أن الله ربهم وهم يشركون به بعد، وعن ابن زيد **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِإِلَهٍ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُون﴾** قال: ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربها وأن الله خالقه ورازقه وهو يشرك به ألا ترى كيف قال إبراهيم: **﴿أَفَرَبِّهِمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾** أنت ربكم الأدنعون **﴿لَمَّا هُنَّ مُعَذَّلُونَ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾**<sup>(٤)</sup> قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون، قال فليس أحداً يشرك به إلا وهو مؤمن به ألا ترى كيف كانت العرب

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٢) سورة الشراء، الآيات: ٧٥ - ٧٧.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٥.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٥.

تليبي يقول: لـيـك اللـهـم لـيـك لـيـك لا شـرـيك لـكـ لـكـ تـمـلـكـهـ وـمـاـ مـلـكـ:ـ المـشـرـكـونـ كـانـوـاـ يـقـولـونـ هـذـاـ.ـ روـيـ هـذـهـ الرـوـاـيـاتـ كـلـهاـ اـبـنـ جـرـيرـ فـيـ تـفـسـيرـ الـآـيـةـ.ـ وـقـالـ النـيـساـبـوريـ صـفـحـةـ ٥٧ـ مـنـ الـجـزـءـ المـذـكـورـ فـيـ الـهـامـشـ بـعـدـ الـآـيـةـ المـذـكـورـةـ «ـوـذـلـكـ أـنـهـ كـانـوـاـ مـقـرـيـنـ بـالـالـهـ:ـ 『ـوـلـيـنـ سـأـلـتـهـمـ مـنـ خـلـقـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ لـيـقـولـونـ اللـهـمـ لـكـنـهـمـ كـانـوـاـ يـشـبـهـونـ لـهـ شـرـيكـاـ فـيـ الـمـعـبـودـيةـ هـوـ الـأـصـنـامـ وـيـقـولـونـ هـمـ الشـفـعـاءـ』ـ قـاـبـلـ هـذـهـ الـأـقـوـالـ لـأـعـلـامـ الـإـسـلـامـ بـقـولـ غـرـابـ الـأـزـهـرـ الشـيـخـ الدـجـوـيـ:ـ «ـإـنـ المـشـرـكـيـنـ مـاـ كـانـوـاـ يـعـتـرـفـونـ بـوـجـودـ اللـهـ فـضـلـاـ عـنـ أـنـ يـرـوـهـ هـوـ الـخـالـقـ』ـ وـمـنـ قـلـةـ حـيـانـهـ وـقـلـةـ اـحـتـرـامـهـ لـمـنـ حـوـلـهـ أـنـهـ قـالـ فـيـ الـمـقـالـ الـذـيـ نـرـدـ عـلـيـهـ،ـ وـالـمـقـالـ الـذـيـ بـعـدـهـ وـفـيـهـماـ:ـ 『ـإـنـهـ لـمـ يـقـلـ أـحـدـ غـيـرـ اـبـنـ تـيمـيـةـ وـابـنـ عـبـدـ الـوـهـابـ أـنـ المـشـرـكـيـنـ كـانـوـاـ يـوـحـدـنـ اللـهـ تـوـحـيدـ الـرـبـوبـيـةـ』ـ أـيـهـاـ الـمـصـرـيـوـنـ وـالـلـهـ لـقـدـ فـضـحـكـمـ هـذـاـ الشـيـخـ وـجـعـلـكـمـ ضـحـكـةـ فـاـدـبـوـهـ أـدـبـ الـمـفـتـرـيـ فـلـانـهـ لـاـ خـيـرـ فـيـ أـمـةـ قـمـتـهـنـ حـرـمـاتـ الـعـلـمـ عـلـىـ مـرـأـهـاـ وـمـسـعـهـاـ فـلـاـ تـغـيـرـ لـلـلـكـ.ـ

## البرهان الثاني

الأحاديث، في الصحيحين أن المشركين كانوا يلبون والرسول يسمعهم يقولون: «ـلـيـكـ اللـهـمـ لـيـكـ لـيـكـ لـكـ إـلاـ شـرـيكـ لـكـ هـوـ لـكـ تـمـلـكـهـ وـمـاـ مـلـكـ»ـ يصرحون أن الله مالك أصنامهم وما يملكون، يتفق على ذلك البخاري ومسلم وأهل السير والمؤرخون؛ وتقول معرة الأزهر: إنهم كانوا ينكرون الله: «ـإـنـمـاـ يـقـرـئـ الـكـذـبـ الـذـيـنـ لـاـ يـؤـمـنـونـ بـقـائـمـتـ اللـهـمـ』ـ<sup>(١)</sup>ـ وـلـكـ إـذـاـ كـانـ هـوـلـاءـ يـجـهـلـونـ الـقـرـآنـ الـمـحـفـوظـ فـيـ صـدـورـ الصـبـيـانـ وـالـعـجـائـزـ فـيـ الـحـارـاتـ،ـ فـكـيفـ لـاـ يـجـهـلـونـ كـتـبـ الـحـدـيـثـ وـالـتـارـيـخـ وـالـسـيـرـ،ـ وـمـعـلـومـ أـنـ الـأـزـهـرـ لـاـ شـانـ لـهـ فـيـ ذـلـكـ لـاـ رـوـاـيـةـ وـلـاـ دـرـاـيـةـ،ـ وـإـنـمـاـ شـانـهـ الـحـواـشـيـ وـالـتـقـرـيرـاتـ،ـ وـالـحـقـ أـنـ الـأـزـهـرـ وـأـهـلـهـ أـعـظـمـ مـصـيـبةـ أـصـابـتـ الـدـيـنـ وـالـعـلـمـ؛ـ وـلـاـ سـيـماـ فـيـ عـصـرـ شـيـخـهـ الـذـيـ نـبـتـ جـسـمـهـ وـجـلـدـهـ مـنـ عـجـولـ السـيـدـ وـفـتـهـ.ـ وـرـوـيـ الـبـيـهـقـيـ أـنـ الرـسـوـلـ عـلـيـهـ السـلـامـ قـالـ لـرـجـلـ:ـ 『ـكـمـ إـلـهـ أـعـبـدـ؟ـ قـالـ:ـ سـبـعـةـ،ـ سـتـةـ فـيـ الـأـرـضـ وـوـاحـدـاـ فـيـ السـمـاءـ قـالـ:ـ مـنـ لـرـغـبـتـكـ وـرـهـبـتـكـ؟ـ قـالـ:ـ الـذـيـ فـيـ السـمـاءـ قـالـ:ـ فـاتـرـكـ السـتـةـ وـاعـبـدـ الـذـيـ فـيـ السـمـاءـ』ـ وـلـاـ

رَبُّ أَنَّهُ مَا جَعَلَ اللَّهُ مَفْزِعَهُ وَمَطْعِمَهُ دُونَ مَا سَوَاهُ إِلَّا لِأَنَّهُ يَرَاهُ الْمَهِيمُونَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . وَسَلَفَ أَنَّ عَدِيًّا جَاءَ الرَّسُولَ وَسَمِعَهُ يَقُولُ : ﴿هُنَّا نَخْذُلُهُمْ وَرَهْبَتْهُمْ﴾<sup>(١)</sup> الْآيَةُ ؛ فَقَالَ : إِنَّا لَمْ نُعْبُدُهُمْ وَلَمْ نُتَخَذْهُمْ أَرْبَابًا فَأَقْرَئَهُ الرَّسُولُ بِاعْتِرَافٍ مَعْلَمَةً الْأَزْهَرِ .

### البرهان الثالث

لَا رَبُّ أَنَّ أَعْظَمَ مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسُولُ وَأَنْزَلَتْ لَهُ الْكِتَبُ هُوَ التَّوْحِيدُ ، وَلَا رَبُّ أَنَّ تَوْحِيدَ الْخَالِقِيَّةِ (الرِّبوبِيَّةِ) هُوَ الْمَصْدَرُ لِتَوْحِيدِ الْأَلْوَهِيَّةِ وَالْمَمْدُلُ لَهُ ؛ وَلَا رَبُّ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي الْحَدِيثِ لِفَظٍ يَقُولُ : آمَنُوا بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، أَوْ يَقُولُ : لَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ خَالِقَيْنَ ، أَوْ يَقُولُ قَالَ الْكَافِرُونَ أَوْ الْمُشْرِكُونَ : إِنْ شَفَعَنَا خَالِقُونَ ، وَأَمَّا الْأَلْوَهِيَّةُ فَقَدْ أَكْثَرُ الْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ بِجَعْلِهَا لَهُ وَحْدَهُ ، وَالرُّعْيَادُ لِمَنْ جَعَلَ مَعَهُ أَلْهَةً ، وَأَكْثَرُ مِنَ النَّهْيِ عَنْ دُعَاءِ غَيْرِهِ وَخَوْفِهِ وَالسُّجُودِ لَهُ . فَلَوْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَرَوْنَ أَصْنَامَهُمْ خَالِقَةً ، وَلَا يَرَوْنَ الْخَالِقَ وَاحِدًا لَكَانَ الْأَمْرُ بِإِنْفَرَادِ اللَّهِ بِالْخَالِقِيَّةِ وَالرِّبوبِيَّةِ أَوْلَى مَا يُعْنِي بِهِ الْقُرْآنُ ، وَمِنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ؛ وَقَدْ أَنْبَأَ أَنَّ أَوْلَى مَا تَدْعُوا إِلَيْهِ الرَّسُولُ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ ، قَالَ تَعَالَى :

**﴿وَلَقَدْ يَعْثَنَا فِي كُلِّ أُنْثَى رَسُولاً أَنَّ أَعْبَدُوا أَلْهَةً﴾**<sup>(٢)</sup> وَهَذَا مَذْكُورٌ فِي حَدِيثِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ قَوْمِهِمْ قَالَ : **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَكْتُمُونَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُرْ قَنْ إِلَّا اللَّهُ عَبْرُوهُ﴾**<sup>(٣)</sup> ، وَقَالَ بَعْدَهُ : **﴿وَلَكَ عَلَيْكُمْ أَنْهَمُ هُوَدًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُرْ قَنْ إِلَّا اللَّهُ عَبْرُوهُ﴾**<sup>(٤)</sup> ، ثُمَّ قَالَ : **﴿وَلَكَ نَمُوذَةً أَخَاهُمْ مَكْلِمًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَحَّكُمْ مِنْ إِلَّا اللَّهُ عَبْرُوهُ﴾**<sup>(٥)</sup> وَهَذَا شَأنُ الْقُرْآنِ . فَنَحْنُ لَوْ سُئلْنَا عَنِ السُّرِّ فِي هَذَا لَأَجِبْنَا جَوابًا صَحِيحًا وَقَلْنَا إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَكُونُوا كَافِرِينَ بِأَنَّ اللَّهَ الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ . وَلَكِنْ لَوْ سُئلْتَ مَعْلَمَةً الْأَزْهَرَ عَنْ ذَلِكَ لَا رَتَبَكْتَ وَلَمْ تَهُدِ إِلَى جَوابٍ صَحِيحٍ .

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٧٣.

## البرهان الرابع

إجماع المفسرين؛ قال الرازي في تفسيره عند قوله: **﴿وَمَن يُدِيرُ الْأَرْضَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾**<sup>(١)</sup> في سورة يونس «الما ذكر بعض تلك التفاصيل لا جرم عقبها بالكلام الكلي ليدل على الباقي، ثم بين تعالى أن الرسول إذا سألهم عن مدبر هذه الأحوال فسيقولون إنه الله؛ وهذا يدل على أن المخاطبين بهذا الكلام كانوا يعرفون الله ويقرؤن به، وهم الذين قالوا في عبادتهم للأصنام إنها تقربنا إلى الله زلفى؛ وأنهم شفعاؤنا عند الله؛ وكانوا يعلمون أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، فعند ذلك قال لرسوله: **﴿فَتَلَّ أَفَلَا لَنَفَوْنَ﴾**<sup>(٢)</sup> يعني أفلأ تتفقون أن تجعلوا هذه الأواثان شركاء لله في العبودية مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة إنما تحصل من رحمة الله زاحسانه، واعترافكم بأن هذه الأواثان لا تنفع ولا تضر البتة» والرازي عند الأزهريين هو الإمام المقدم حتى أنه إذا قيل: «الإمام» لم ينصرف عندهم إلا إليه، فهذا كلامه وتقريره فهو وهايبي تيعي على رأي مجلة الأزهر<sup>(٣)</sup> وقال أبو السعود عند قوله: **﴿فَتَلَّ لَمَّا أَلَّرْضُ وَمَن فِيهَا إِنْ كُثُرْ تَعَلَّمْتَ﴾**<sup>(٤)</sup> «جواب الشرط معدوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه، أي إن كنتم تعلمون شيئاً فأخبروني به، فإن ذلك كافي في الجواب؛ وفيه من العبالغة في وضوح الأمر وفي تجهيلهم ما لا يخفى، أو إن كنتم تعلمون ذلك فأخبروني وفيه استهانة بهم؛ وتقرير لجهلهم، ولذلك أخبر بجوابهم قبل أن يجيبوا: **﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾** «لأن بديهي العقل تضطرهم إلى الاعتراف بأن الله خالقهم» قال ابن كثير عند تفسير قوله: **﴿وَمَن يُدِيرُ الْأَرْضَ﴾** سورة يونس «يحتاج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانية ربوبته على وحدانية إلهيته؛ فقال: **﴿فَتَلَّ مَن بِرَزَقْتُمْ﴾**<sup>(٥)</sup> إلى آخره» ثم قال عند قوله: **﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾** أي هم يعلمون ذلك ويعترفون به» وعند قوله: **﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَئِنْ﴾**<sup>(٦)</sup> «أي فهذا الذي اعترفتم بأنه

(١) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٨٤.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٥) سورة يونس، الآية: ٣٢.

فاعل ذلك كله هو رياكم والحكم الذي يستحق أن يفرد بالعبادة» وعند قوله **﴿فَأَنَّ ثُرَفُونَ﴾** أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة من سواه وأنتم تعلمون أنه رب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء، وعند قوله: **﴿كَذَلِكَ حَتَّىٰ كَلَمْتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِي كُنْتُ مُسْتَوْاً إِلَيْهِ﴾**<sup>(١)</sup> كما كفر هؤلاء المشركون، واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره مع أنهم يعترفون بأنه الخالق الرزاق المستصرف في ذلك وحده، وعند قوله: **﴿مَنْ كُلَّ بِنَ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾**<sup>(٢)</sup> قال: «أي أنتم تعلمون أن شركاءكم لا تقدر على هداية ضال» وعند قوله: **﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**<sup>(٣)</sup> وهلا أفردت رب جل جلاله الحكم الهادي من الفضالة بالعبادة وحده، وأخلصتم له الدعوة والإثابة» وقف أيها القارئ عند قوله وأخلصتم له الدعوة والإثابة. قف عنده طويلاً وزنها بقول الدجوي: «إن الدعوة ليست عبادة مطلقاً وإنما لم يقل أحد أن الدعاء عبادة إلا الوهابيون» وقال البغوي في الآية المذكورة: «فسيقولون الله هو الذي يفعل هذه الأشياء **﴿فَتَلَّ أَذْلَالًا لَّئِنْفُونَ﴾**<sup>(٤)</sup> أي أفلأ تخافون عقابه في شرككم؛ وقيل أفلأ تتقون الشرك مع هذا الإقرار» وعند قوله: **﴿فَأَنَّ ثُرَفُونَ﴾**<sup>(٥)</sup> «أي فلأن تصرفون عن عبادته وأنتم مقررون به» وفي النيسابوري عند تفسير الآية المذكورة فسيقولون الله «وفي دليل على أنهم كانوا يعبدون الأصنام بناء على أنها شفعاؤهم، وأنها تقرب لهم إلى الله زلفى، ولكن كانوا مخطئين في هذا الاعتقاد فلهذا ختم الآية بقوله: **﴿فَتَلَّ أَذْلَالًا لَّئِنْفُونَ﴾** الله الذي اعترفتم بأنه سبب فيضان جميع الخيرات فكيف أشركتم بعبادته الجمادات التي لا تقدر على نفع أو ضر» وقال ابن حجر في تفسيره الجزء الأول صحفة ١٢٧ عند قوله: **﴿فَلَا يَجْعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**<sup>(٦)</sup> (اعن ابن عباس قال: نزل ذلك في الفريقيين جميراً في الكفار والمنافقين، وإنما عنى بقوله: **﴿فَلَا يَجْعَلُوا لَهُ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب

(١) سورة يونس، الآية: ٣٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٣١.

(٥) سورة يونس، الآية: ٣٢.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

لكم يرزقكم غيره. وعن قتادة في قوله: **﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** أي تعلمون أن الله خلقكم وخلق السموات والأرض ثم يجعلون أنداداً ثم قال ابن جرير: «ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عن العرب أنها كانت تقر بوحدانيته غير أنها كانت تشرك بعبادته ما كانت تشرك فيها فقال: **﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُوكُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾**<sup>(١)</sup> وقال: **﴿فَلَمَنْ يَرْزُقُكُمْ فِنَّ النَّسَاءَ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ الْسَّمَاءَ وَالْأَنْهَارَ﴾** إلى **﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾**<sup>(٢)</sup> ثم قال: (فالذي هو أولى بتاويل قوله: **﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**) إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانية الله، وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم نظير الذي كان من ذلك عند أهل الكتابين» وقال عند قوله: **﴿وَرَبَّا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَقُمْ شَرِيكُونَ ﴾**<sup>(٣)</sup> سورة يوسف «يقول تعالى ذكره وما يقر أكثر هؤلاء بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء إلا وهم به مشركون في عبادتهم الأولان والأصنام واتخاذهم من دونه أرباباً وزعمهم أن له ولداً» قال وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأویل، ثم روى عن الصحابة والتابعين ذلك. وقد ذكرناه فيما سبق، وقال البغوي في تفسير هذه الآية (قال ابن عباس من إيمانهم أنهم إذا قيل لهم من خلق السموات والأرض ومن خلق الجبال قالوا: الله، وهم مشركون به وكذا قال مجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وفتادة والفصحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وفي الصحيحين أن المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم (لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك) وقال عطاء: هذا في الدعاء، وذلك أن الكفار نسوا ربهم في الرخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا الدعاء، كما قال تعالى: **﴿وَكُلُّنَا لَهُمْ لَجِيدٌ يَهْرُ دَعَوْا اللَّهَ عَذَّلِيْمِيْنَ لَهُ الَّذِيْنَ﴾**<sup>(٤)</sup> الآية وقال: **﴿فَلَمَّا رَأَيْبُولُ فِي الْفُلُكِ دَعَوْا اللَّهَ عَذَّلِيْمِيْنَ لَهُ الَّذِيْنَ فَلَمَّا بَحَثْتُمُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشَرِّكُونَ﴾**<sup>(٥)</sup>؛ انتهى كلام البغوي وقد جعل عطاء الشرك والإخلاص في الدعاء. فماذا ترى فيه مجلة الأزهر؟ أظنها لو سنت عن قوله

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٢.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

هذا غير معزوٍ إليه أو معزولاً إلى الوهابيين لضللوها قائله وفسقه. ولقالوا: إنه خارجي يكفر المسلمين ويستبيح دماءهم؛ وقال البيضاوي في تفسير قوله: **﴿فَلَا يَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْدَاداً﴾**<sup>(١)</sup>: «وتسميتها ما يعبده المشركون من دون الله أنداداً - وما زعموا أنها تساويه في ذاته وصفاته، ولا أنها تخالفه في أفعاله - ولما تركوا عبادة الله إلى عبادتها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها واجبة الوجود قادرة على أن تدفع عنهم باسم الله، وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير، فتهكم بهم» وقال النسفي في الآية: **﴿وَأَنْتُمْ تَنْلَمُونَ﴾**<sup>(١)</sup> «إن الشركاء لا تخلق شيئاً ولا ترزق والله الخالق الرازق» وفيه عند قوله: **﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِإِلَهٍ إِلَّا وَقُمْ شَرِيكُنَّ﴾**<sup>(٢)</sup> «أي وما يؤمن أكثرهم في إفراطه بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك في عبادته الوثن». والجمهور على أنها نزلت في المشركين لأنهم مcroftون بالله خالقهم ورازقهم؛ فإذا حزبهم أمر شديد دعوا الله، ومع ذلك يشركون به غيره» وفيه (تفسير سورة يونس) **﴿لَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾** «فسيجيبونك عند سؤالك بأن القادر على هذه هو الله فقل أفلأ تتقون الشرك بالعبودية إذا اعترفتم بالربوبية» وقال النيسابوري في تفسير قوله: **﴿فَلَا يَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَنْلَمُونَ﴾**<sup>(٣)</sup> «ورابعها أنه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه أنه مستجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله اتخذوا صنماً على صورته وعبدوها على اعتقاد أن ذلك الإنسان يكون شفيعاً لهم يوم القيمة عند الله (ويقولون هؤلاء شفعاونا عند الله؛ وخامسها: لعلهم اتخذوها قبلة لصلاتهم وطاعاتهم. ويسجدون إليها لا لها كما أنها نسجد إلى القبلة لا للقبلة. ولما استمرت هذه الحال ظن جهالهم أنه يجب عبادتها» ثم قال: «لما تقربوا إليها وعظموها رسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومصادته (وهذا كحال الطائفين بالبدوي والسيدة صاحبة الشورى تماماً) فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفطر شانهم بأن جعلوا أنداداً كثيرة لمن لا يصلح أن يكون له ند. ولا يفيد في طريق عبادته إلا العنيفة والإخلاص، ورفع الوساطة من بين» وخذ قوله (ورفع الوساطة من بين) فالعلم بها وجه الدجوى ووجه شيخه ووجه كل متسل.

قابل هذه الأقوال النيرة لأئمة الإسلام وصحابة رسول الله بظلمات الدجوى قوله : «إنه لم يقل : إن المشركين موحدون الله توحيد الربوبية غير ابن تيمية وابن عبد الوهاب ومن تبعهم» وقل له : أهؤلاء كلهم - من صحابة وتابعين ومفسرين - من أتباع ابن عبد الوهاب وابن تيمية؟ قبحك الله وقبح من يقبلك . وقبح من ينشر لك هذا الهذيان السخيف والسوأات الفاضحة . إن هذا الرجل أحد رجلين : إما أن يكون جاهلاً مغفلأ . لا يعرف شيئاً ولم يطلع على شيء ولا يحب أن يعرف ولا أن يطلع ، وإما أن يكون غشاشاً خبيثاً متبعاً هواه ، يريد الإضلal والفساد ، أليس كذلك؟ والله إنك لكتلك ، وإن القراء جميعاً سوف يقولون فيك ذلك ، أليس كذلك أيها القراء؟ غير أيها الشيخ ويؤبغ ضيحة جهلك والله لتموتن غيظاً وأسفاً عندما تقرأ هذا إن كان عندك بقية من حياء وإحساس ، أذررنا فيها أيها القراء ، فإنه لم يدع للحالم موضوعاً ولا للرفق مكاناً . يأتي الحقائق المتفق عليها بين الأولين والآخرين فيقول : إنه لم يقلها أحد غير ابن تيمية وابن عبد الوهاب .

إن كان يسرى فهو أجيروة وشريعة إن كان لا يسرى  
وأسفاً على أوقاف المسلمين التي تدفع إليه ثمناً لهذا الجهل الفاسد ،  
والضلال العبين . أيها المصريون غاروا على دينكم وعلى سمعة بلدكم ، وعلى  
أوقافكم وقوموا في وجوه هولاء إلا ضعتم .

### البرهان الخامس

جاء القرآن بشيئين بالأمر بعبادة الله وحده . ويأن لا إله إلا هو؛ وجاء يذكر أنه لا رب ولا خالق سواه؛ فأنكر المشركون الأول وقالوا : «أجعل الآلهة إلهاً وَيُؤْتَى إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ بِعْجَابٍ»<sup>(١)</sup> ذكر في غير ما آية ، وأما الثاني فلم ينكروه - وهم مولعون بالرد عليه والإنكار لما جاء به - فدللتا ذلك الإنكار والسكوت على إيمانهم بالأمر الثاني .

(١) سورة ص ، الآية : ٥.

### البرهان السادس

سموا أصنامهم آلهة وشفعاء: **﴿وَرَبُّكُمْ هُوَ أَنفُسُكُمْ إِنَّمَا مُنْتَدِيُّكُمْ إِلَيْنَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**<sup>(١)</sup> وقالوا: **﴿إِنَّا نَقُولُ إِلَّا أَنْتَ رَبُّنَا بَلْ أَنَّا إِلَيْنَا يَسُورُونَا﴾**<sup>(٢)</sup> ولم يذكروا أنها خالقة قديمة. فدل على إعطائها الأول دون الثاني.

### البرهان السابع

ذكر الكتاب العزيز إشراك أعداء الرسل بالعبادة مع الله في مواضع كثيرة، ولم يذكر في موضع واحد أنهم أشركواها في الخالقية أو الرازقية. والقرآن جاء ليذكر ضلال الكافرين والغاوين فيرد عليه.

### البرهان الثامن

لا يصدق هؤلاء أن يكون الطائفون بمقامات الأولياء، السائلون لهم - برغب ورهب - يعتقدون أنهم يتصرفون أو يخلقون أو يضررون وينفعون مع وجود دلائل هذا الاعتقاد، فكيف يصدقون أن يكون المشركون ذوو الدهاء والقطنة والذكاء كفريش ومن جاورها يعتقدون أن الأحجار والأشجار التي يصنعونها بأيديهم تخلق وترزق أو تساوي الله أو تعانده هذا شيء عجيب !! كيف يهون عليهم أن يعتقدوا أن أبي بكر وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان - قبل أن يسلموا وسواهم من عظماء الصحابة وأذكياء الرجال - يرون الأحجار والأشجار والأولياء الذين يشاهدونهم يمرضون ويصرون ويظموون ويموتون ويولدون شركاء الله في المخلق والربوبية والقوة، أترى هذا الشيخ وإخوانه لا يفرقون بين العاجائز والمستحيل؟ يقال: إن الأزهر يتعاطى هذا الفن، وتلك المباحث، لو خبر الشيخ الدجوي ثقة أو ثقات أن الشيخ الظواهري يرى السيد الحسين رضي الله عنه أو السيدة زينب خالق السماء والأرض مساوياً الله في المقدرة أترونه يصدق ذلك الثقة أو يشك في صدقه أم يكذبه؟ نحن لا نقدر أن نحكم عليه بشيء لأنه فلتة من فلتات الطبيعة وإن كان يكذب ذلك الراوي الثقة لاستحالة ذلك على شيخه فما له أجازه في حق

(١) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٥٤.

الصحابة وأذكياء العرب مثل أبي جهل ذلك الرجل الدهامي فهو يرى شيخه أذكى وأعقل منه؟ نحن نعلم أن الدجوي لا يمكن أن يعتقد يوماً أن الأولياء قدماء مع الله مشاركون له في خلق العالم مع أننا نضع عقله في الدرجة الثالثة أو الرابعة إن تكن رابعة، فكيف يقال إن دهاء قريش يرون تلك الجمادات مساوية لله رب العالمين؟ ليعلموا أن ذلك محال لا يقع ولا يجوز أن يقع.

### البرهان التاسع

قد تنازعنا في عقيدة أناس موجودين يسير علينا أن نعرفها وأن نسألهم عنها، هؤلاء النصارى واليهود وخلوف الوثنين هل يرون قسيسهم وبطاريقهم وحاخاماتهم وما يعبدون من دون الله شركاء لله في إيجاد الخليقة؟ هؤلاء المجنوس في الهند عباد النار والبقر وعباد الشمس والقمر أنظنهم مجلة الأزهر يرون هذه العبوديات مثل الله؟ نعود بوجه الله من خزي الدنيا وعداب الآخرة.

### البرهان العاشر

شعر العرب ونثرهم؛ وهذا باب واسع لا يمكن الإحاطة به، وإنما أقدم بين يديك جملة تقنعك أن هذه المشيخة ليس في يديها شيء من العلم العقلي أو النطلي :

الأكل شيء ما خلا الله باطل  
أرى الناس لا يدرؤن ما تدر أمرهم  
احمد الله نسلا نداء  
حلقت فلم انرك لنفسك ريبة  
كروا لأن من رزق الإله وأيسرها  
ولكنما يبني بيته الله وحده  
اما والذي لا يعلم الغيب غيره  
نفس الله رب الناس سحا وديمة  
با عبل اين من المنية مهرب  
لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتفى

وكل نعم لا محالة زائل لبده  
بلى كل ذي رأي الى الله واسل [البده]  
بيله الخير فما شاء فعل [البده]  
وليس وراء الله للمرء مذهب [النابغة]  
فإن على الرحمن رزقكم غدا [حاتم]  
فاعط فقد أربعت في البيعة الكسبا [حاتم]  
ويحيي العظام البيض وهي رميم [حاتم]  
جنوب السرة من مآب الى زعر [حاتم]  
إن كان ربي في السماء فقضها [عنترة]  
إذا هو لم يجعل له الله واقبا [جاملي]

وفي سيرة ابن هشام أنه لما قدم أبرهة ليهدم الكعبة قام عبد المطلب ومعه نفر من قريش فأخذ بحلقة باب الكعبة وجعلوا يدعون الله ويستنصرونه وقال عبد المطلب:

لَا هُمْ أَنَّ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ نَامِنْعُ حَلَالَكَ  
لَا يَغْلِبُنَّ صَلَابَهُمْ وَمَحَالَهُمْ غَدُوا مَسْحَالَكَ  
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَقَبَ لَتَنْتَافَأَسْرَمَا بَدَالَكَ  
وَقَالَ أَحَدُهُمْ لَعَا انتَقِمْ اللَّهُ مِنْ أَبْرَهَةَ وَجَنَدَهُ :

اتينا إلى سعد ليجمع ثمننا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد  
وما سعد إلا صخرة في ثنوة من الأرض لا يدعون لغبي ولا رشد  
وأخذ حجراً ورماه. وقال: لا بارك الله فيك. وذكر ابن هشام خطبة وفديه  
تميم على الرسول قبل أن يسلموا وأولها: «الحمد لله الذي له علينا الفضل  
والمن، وهو الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف.  
وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثره عدداً وأيسره عدة» إلى آخر الخطبة.

هذه طائفة من شعر العرب ونشرهم - مادة أدبهم وأخلاقهم؛ ودينهم وعادتهم -  
تبثثك أنهم مؤمنون بالله وبأنه المتصرف المطلق الخالق. لكل شيء المفروض إليه في  
الفرز، المرجو في الطمع؛ وأن أصنامهم ما هي إلا عباد مخلوقون مصروفون  
غايتهم أن يشفعوا لهم وأن يتبركوا بهم كعقيدة إخوانهم المعاصرين.

هذه عشرة براهين تثبت أن العرب وغيرهم موحدون الله توحيد الربوبية -  
فضلاً عن الإيمان بوجوده؛ وإننا نتعهدى مشيخة الأزهر أن يرووا لنا عن مؤرخ أو  
عالم أو مفسر معتبر عند الأمة أنه قال كمجلة الأزهر: إن المشركين كانوا  
جاحدين الله غير معترفين بأنه الخالق القاهر، فهل يمكن المشيخة أن تأتي برواية  
كذلك أسلوهم إن كانوا ينطقون.

## **الفرق بين توحيد الألوهية والربوبية**

زعم الشيخ الدجوي في المقال السالف الذكر: أنه لا فرق بين التوحيدين وأنه لم يفرق بينهما إلا ابن تيمية وابن عبد الوهاب <sup>1</sup> وقال: إنما متلازمان، وإن الأول متربع على الثاني، وقد وقع في التناقض. لأن اللازم غير الملزوم، والملزوم غير المتربع عليه، وقد قال ذلك بعد أن قال: إنه لا فرق بينهما.

### **شبهاتهم على أنه لا فرق بين التوحيدين**

**الأولى:** قال: «ما كان رسول الله ولا أصحابه يذكرون ذلك، ولا يقولون لمن دخل في دين الله: إن هناك توحيدين».

**الثانية:** قال: «لا معنى لهذا التقسيم؛ لأن الإله الحق هو رب الحق والإله الباطل هو رب الباطل. ولا يستحق العبادة إلا من كان ربًا. ولا معنى لأن نعبد من لا ينفع ولا يضر».

**الثالثة:** قوله تعالى فيأخذ الميثاق: «أَسْتَ بِرِّبِّكُمْ قَاتُلُوا إِيْلَهَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>. قال: «لو كان بين الإله والرب فرق لما اكتفى بالسؤال عن الرب، بل لقال: أنت بربكم وأنت حكم».

**الرابعة:** قوله تعالى: «وَمَنْ أَذْنَى فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَّمَا أَرْضَى إِلَهٌ»<sup>(٢)</sup> قال: «معنى الإله هنا هو رب لا المعبد. إذ سوف يجيء زمان لا يكون الله فيه معبوداً في الأرض ولا في السماء».

**الخامسة:** حديث سؤال الملائكة. قال: «إن الملائكة يقولان لمن وضع في

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

فبره: من ربك؟ وليس فيه أنهم يقولان من إلهك؟ ولو كان بين الإله والرب فرق لما انتصروا على السؤال عن أحدهما!!

هذه شبهاً لهم على هذه المسألة. وهي شبهاً مضحكة لا ينقضي منها العجب، وسوف أجعل البرهان على ذلك في يمينك وشمالك. ولو لا أنها مكتوبة في مجلة هي لسان لأعظم جامعة إسلامية - كما يقولون - لما جدنا عليها بالتفات ولما وهبناها منا أقل عناية.

لا يدرى ما يقصدون من أنه لا فرق بينهما، يقصدون أن التوحيد هو توحيد الربوبية - أي أن يؤمن أن الله الخالق لكل شيء فقط - وأنه ليس ثم شيء غيره يسمى توحيداً ولا عبادة فمن سلم الله ذلك فقد صار مؤمناً حقاً، وجاء بالتوحيد الخالص كله، ومن لا فلا، أو يقصدون أنهم شيئاً متغايران، ولكنهم مقتربان. أي لا يمكن أن يجيء أحد بأحد هما دون الآخر؛ إن أرادوا الأول فقد جاءوا وكفراً مجرداً، إذ يقضى بأن من آمن بـأن الله الرب، فقد آمن ونجا وإن صلى للأصنام وركع لها وسجد وأعطها أبلغ التعظيم وإن أرادوا الثاني كان أكذب من الأول، من يقول إن من اعتقاد الله الخالق فسوف يفرده بالعبادة ولن يشرك به أحداً من يجرؤ أن يكتب ذلك؟ اللهم إني أسألك العفو والعافية.

### الجواب عن الشبهة الأولى:

وهي قوله: إن الرسول وأصحابه لم يذكروا التفرقة! نقول إما أن يريد أنهم لم يذكروه باللفظ المذكر؛ وإما أن يريد أنهم لم يذكروه ولا بالمعنى، ولم يفهموا من دخل في الدين أن هناك توحيديين؛ إن أراد الأول فلا يضرنا ولا ينفعه؛ لأننا لا نزعم أن الرسول يتكلم بلسان الأزهر وأصطلاحاته وإن أراد الثاني نازعناه: وقلنا، إنك لم تقم دليلاً عليه بل نقول: إن الرسول وأصحابه أعلموا الداخلين في الدين أن هناك توحيد ألوهية وربوبية بقولهم لهم قولوا لا إله إلا الله ولا تعبدوا إلا الله ولا تدعوا إلا إياه مع قولهم لا خالق ولا رازق إلا الله، وهو لا يريدون أن يكون كلام رسول الله - أفعص البشر - آتياً على اصطلاح الأزهر بأن يقول: ينقسم التوحيد قسمين إلى آخر العبارة، ولو كان كلام الرسول ككلام الأزهريين لما قبل الإسلام.

### الجواب الثاني:

لنا أن نقابل قولهم هذا ونقول: لم يقل الرسول ﷺ ولا صحابته: إن التوحيد توحيد واحد فهو توحيدان وهذا كقولهم؛ بل نحن أسعد لأن أمامنا لفظين والأصل أن يكون لكل لفظ معنى يخصه؛ ومن أدعى ترافق اللفظين على معنى فعليه البيان.

### الجواب الثالث:

هذه الشبهة مثل أن يقول جاهل: إن الإيمان هو الإيمان بالله وليس منقسمًا إلى الإيمان به والإيمان بملائكته وكتبه ورسله؛ فإذا قيل له ما هذا؟ قال لأن الرسول لم يذكر ذلك الانقسام وكمن انكر أن تكون الأعمال واجبات ونرافل محتاجاً بأن القرآن والرسول لم يذكر ذلك الانقسام، وكمن قيل له: لا يكون المرء مؤمناً بالله حتى يسلم ذلك قلبه ويقوله بلسانه ويعمل كما يقضي بأعضائه فقال ليس ذلك شرطاً ودليلي أن كتاب الله لم يذكر ذلك. هذه الأقوال والاحتجاجات كشبهة إخواننا الأزهريين.

### الجواب الرابع:

قدمنا البراهين أن الكافرين مؤمنون بأن الله الخالق لكل شيء. والرسول يدعوهم إلى التوحيد ويقول إنكم غير مؤمنين ولا موحدين؛ فإذا دخلوا فيما دعاهم إليه صاروا موحدين؛ فهذا بمثابة أن يقول لهم: إن التوحيد قسمان بل أصرح وأبين، لأنها دلالة فعلية، فلو قال لهم بعد ذلك: التوحيد قسمان لكان عيناً؛ وأيضاً قوله لهم: لا إله إلا الله، ولا تعبدوا إلا الله؛ ولا تخافوا إلا الله، وهل من خالق غير الله؟ بيده الخير بيده الملك يعلمهم ذلك. وأيضاً لفظة الربوبية غير لفظة الألوهية مادة واشتقاقاً والعرب يفهمون الألفاظ ويفهمون تغايرها، فلا يحتاج إلى أن يقول لهم: إن الربوبية غير الألوهية كما لا يحتاج أن يقول: إن السماء غير الأرض، وإن القديم غير العادث، وإن الماء غير اللبن والعسل غير العمر وأشباه ذلك، أليس كذلك أيها الديجوي إنه ل كذلك فهل فهمت.

### الشبهة الثانية:

الجواب عنها أن يقال: حاصل الشبهة أن عبادة غير الخالق حمق وضلاله.

فلا يمكن أن يقع ذلك الحمق والضلال البين من المشركين، فيجب أن نقول: كانوا يرون أصنامهم هي الخالقة ليكون لعبادتهم إياها وجه معقول. هذا حاصل الشبهة، وظني أن نفس تصويرها يكفي لإبطالها. فالمسلمون يعرفون جميعاً أن المشركين كلهم حمقى وضلال؛ ومغفولون أيضاً، ولم يعتذر لهم أحد قبل مجلة الأزهر ولم يوجه عبادتهم قبل الدجوي عالم، ولم يبرئهم من الحماقة قبل علماء الأزهر مهرباً؛ وقد قال المشركون في أنفسهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْعَ أَرْ تَعْقِلُ مَا كُنَّا  
نَعْصِي السَّعِيرِ﴾<sup>(١)</sup> فاعترفوا بذريتهم فسخقاً لاصحاح السعير<sup>(٢)</sup> ونادوا على أنفسهم بالضلال المبين وقالوا: ﴿تَأْتِهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup> إِذْ شُوِّكُمْ بِرَبِّ  
الْعَالَمِينَ<sup>(٤)</sup> فهم يبرئون من الحماقة قوماً قال الله لهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَانَا لِجَهَنَّمَ  
كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسَنِ لَمْ يَنْفُثْ لَا يَقْهَرُونَ إِلَيْهَا وَلَمْ يَعْبُرُونَ إِلَيْهَا وَلَمْ يَأْذَنْ لَا  
يَسْمَعُونَ إِلَيْهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْفُسِ إِلَّا هُمْ أَنْفُلُ﴾<sup>(٥)</sup> ومن الهوان أن يعتذروا لعباد الأصنام  
ولا يعتذرون لإخوانهم الموسومين عندهم بالوهابيين، فكثيراً ما رموهم الحماقة  
والضلالة وجهل المنطق والدليل، ليعلم الشيخ وإخوانه أنه لا ينزع المشركين إلا  
مشرك أحمق مكذب الله وأنبياءه والمسلمين، وليت الشيخ يفطن أنه أراد أن  
يقدس المشركين من أن يعبدوا من لا يطونه يضر ولا ينفع، فجعلهم يعبدون  
من لا يضر ولا ينفع ويرونه الخالق المصرف، أي أنف أن يعبدوا الأحجار  
والأشجار ولم يأنف أن يروها خالقة رازفة وأن يعبدوها، وهبنا يصدق المثل  
القائل: (عدو عاقل خير من صديق جاهل) ولو سلم للشيخ ما قال لما كانت  
شبهته دليلاً على ألا فرق بين التوحيدين؛ فالدليل في واد والمدلل عليه في واد  
آخر سحيق، إذ غاية الدليل أن المشركين عقلاء لا يتصور أن يعبدوا من لا يرونـه  
نافعاً، والعاقل يرى أن العبادة تابعة لاعتقاد الريوية، فلا بد أن تكون عبادة  
الأصنام تابعة لاعتقادها أرباباً. هذا غاية الدليل فهل يدل على أن اعتقاد  
الخالقية في الشيء هي عبادته؟ اللهم لا. ثم ألا يشعر بتهافتـه؟ فإن قوله:  
أحدهما تابع والآخر متبع، يدل على أنهما أمران متغايران.

(١) سورة الملك، الآيات: ١٠ - ١١.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ٩٧ - ٩٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

وإن لسان المرء مالم تكون له حمامة على عوراته لدليل قوله هنا: والإله الباطل هو الرب الباطل غلط كبير؛ فإن الإله الباطل ليس ربا فاللات إله باطل، ومن يقدر أن يقول: إنها رب؟ والأهواء المطاعة آلة باطلة ومن يقول: إنها أرباب؟ في القاموس: «ورب كل شيء مالكه ومستحقه» فالإله الباطل هو المعبد الذي لا يستحق العبادة؛ وهل من عبد بلا حق يكون رباً باطلًا أي مالكاً لا يستحق الملك؛ الله يعلم وأهل اللغة أن مثل هذا الاستعمال باطل.

### الشبهة الثالثة:

#### وجوبها من وجوه:

الأول: في الآية تفسيران - أحدهما - أن ذلك في عالم الوجود والمراد شهادتهم بأن الله خالقهم وربهم. والمراد من إشهادهم على أنفسهم هو فطرهم على ذلك قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ جاءت بلسان الحال. وقولهم: ﴿كُلُّ﴾ على الحقيقة، أي يقولون: أنت ربنا. ويرجع هذا التفسير إلى اعتراف المؤمن والكافر بتوحيد الربوبية، والتفسير الثاني أن يكون ذلك كله وقع في عالم الدر، أي إن الله مسع ظهر آدم فأنخرج جميع ذريته من صلبه، وأشهدهم الإشهاد المذكور وشهادوا له به، هذان تفسيران مشهوران، للسلف والمخلف وعلى الأول تكون الآية نقضًا عليهم. وتدل على أن الناس - حتى المشركين - يقرؤن بأن الله خالقهم، والشبهة مبنية على التفسير الأخير، وهو لم يذكر أنه الحق المتعين؛ وعندى أن الأول هو اللازم المصير إليه؛ لأن الآية تقول أخرجهم من ظهوربني آدم، واللاقى بالثاني أن تقول من ظهر آدم، وأيضاً لا فائدة بهذا الإشهاد والشهادة على الثاني ولا أحد يذكره وينتفع به، ولا يصلح أن يكون حجة فاطعة لمعاذيرهم، وعلى الأول يكون لذلك كله فائدة، فإن القوم إذا اعترفوا أنه القاهر ثم عبدوا غيره كانوا محجوحين باطلي العذر؛ ثم على الثاني كيف يحسن قوله: ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمةَ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾<sup>(١)</sup> فإن ذلك على الرأي الثاني - لا يكون مانعاً من الغفلة، فالناس جميراً غافلون عنه، وكيف يكون ذلك الإشهاد مانعاً من تقليد الآباء واتباعهم إذا ضلوا على الرأي الآخر، وأيضاً عليه يكون الله يخاطب الناس جميراً

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

وأمامتهم ثلاث موتات وأحياهم كذلك، هذه أشياء تناهى بها التفسير عن القبول.

### الجواب الثاني:

لو تدبرت المجلة قليلاً لرأيت أن الله سألهم عن التوحيددين فقوله: ﴿أَلستُ يَرَيْكُمْ﴾ سؤال عن الربوبية والرب، وقوله: ﴿أَوْ لَقُولُوا إِنَّا شَرَكَهُمْ بِاَبَاوْنَا مِنْ قَبْلِ وَكُنَّا ذُرَيْئَةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> نهي عن اتباع الآباء في الشرك وأمر بعبادته وحده، فالتوحيدان متغايران بصرىحة الآية.

### الجواب الثالث:

هذا الإيراد لا يرد علينا إلا إذا ذكروا: أن السؤال كان عن جميع الدين، أو عن جميع ما هو شرط في قبول الإيمان؛ وإلا فلا يرد علينا يقيناً، فإن لنا أن نقول: سألهم الله عن الربوبية وقرارهم عليها وإقرارهم بها يهدىهم إلى الألوهية لو عقلوا ولم ينقادوا للشيطان، فإن من يعقل لا يعبد إلا من له الأمر والنهي والنفع والضرر، ولو خلى الناس وفطرهم لما عبدوا إلا الله، ولو لا مشيخة الأزهر وضلال المسترزقين لما وجدت من يستغث الأولياء ويطوف بهم، لهذا يقول الله: ﴿فَأَفَرَأَيْتَ رَبَّهُمْ لِلَّذِينَ حَنِيفُونَ فَطَرَّتِ الْأَنْفُسُ الَّتِي فَطَرَّتِ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَتَبَدَّلُ لِعَلْقَبِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِي شَرِّعَ لَنَا الْقِرْآنَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وفي البخاري وغيره عن رسول الله عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة فآبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» وفي كتاب مسلم عنه عليه السلام عن الله سبحانه: «قال خلقت عبادي حنفاء»، وفي رواية: (حنفاء مسلمين فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم) الحديث إلا ترى المجلة أن هذه الشبه تفتح عليها أن يقال: الآية لم تذكر غير توحيد الله ولم تذكر الإيمان بالكتب، والرسل والملائكة والبعث وسائر أركان الإيمان، فليست هذه الأشياء مما يلزم الإيمان به لأن الآية لم تذكره المجلة تقول لنا إذا كان توحيد الربوبية غير توحيد الألوهية فلماذا لم تذكر الآية توحيد الألوهية فإذا أردنا أن نسألها كسؤالها تلنا: الآية أيضاً لم تذكر كل ما يجب الإيمان به فيجب أن

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

نقول إنه لا يجُب الإيمان إلا بالله، أما ملائكته وكتبه إلى آخره فلا يلزم الإيمان بهم؛ هذا سؤال لا محيسن لهم عنه، وتحrir هذا الجواب أن يقال: الآية لم تلتزم أن تذكر جميع أبواب الإيمان فلا يصلح أن تسألونا السؤال المذكور، هذا أمر واضح.

**الرابع:** نقول ليس تنازعنا على الألفاظ فهبا الرب يطلق على الإله لغة فهل يدل هذا أن توحيد الألوهية - الذي يراد منه إفراد منه بالعبادة - هو توحيد الربوبية - الذي يراد منه الإيمان بأن الله خالق كل شيء، بيده كل شيء يا لبيت هولاء يهدون إلى محل النزاع.

**الخامس:** لو لا رفقنا بالشيخ لقلنا من أنبأك أن القرآن ذكر جميع ما سألهم عنه وما أشهدهم عليه ومن أخبرك أنه لم يشهدهم على توحيد الألوهية؟ ما معك من شبهة على ذلك غير أن القرآن لم يذكره على ما تفهم، ومن قال إن القرآن حدث بكل ما حصل وما كان في الأزمان الذاهبة.

#### الشبهة الرابعة:

وهي قوله: **﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾**<sup>(١)</sup> ليس لهذه الشبهة وجه يصح، والإله هنا هو المعبد بلا شك؛ أي هو معبد في الأرض وفي السماء وهو لاء أبوها أن يكون ذلك هو المعنى، لأنه سوف يجيء زمان - كما يقولون - لا يعبد الله في الأرض أحد، فلا يكون فيها إلهًا أي معبدًا. وفاتهم أن الآية لم تقل وفي الأرض إله في كل وقت، ومثل هذا الاستعمال يصدق بأقل مدة يعبد الله فيها، وأيضاً الاعتراض لازم على كل حال إن كان صحيحاً، فهم يقولون الإله والرب معنיהם واحد. فالرب هو الإله، والإله هو الرب. لأنهم لا يفرقون بينهما فقوله: **﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾** أي رب ومعبد باعترافهم سوف يجيء زمان - كما قالوا - لا يكون الله في الأرض معبداً. فما المخلص ما أكثر ما يزلون، وأيضاً من قال لهم: إن زماناً من الأزمان لا يعبد الله فيه أحد؟ ألا يذكرون قوله **﴿لَا تزال طائفةٌ مِّنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ حَتَّىٰ تَفُونُوا﴾**

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

الساعة وهم على ذلك، وهبوا أنه لا يعبد الله من الناس أحد في ذلك الزمان فالكائنات الأخرى تعبده. والقرآن أخبر بأنها تسجد له وتسبحه، ولا يجسرون أن يقولوا: إن الكائنات كلها تكفر وترتد في الزمن الأخير، أو ليس هؤلاء يقولون: إن الأنبياء والأولياء أحيا في قبورهم؛ يعبدون الله ويعطون سائلهم، فالله معبود في الأرض إلى يوم القيمة ولو من الأموات على زعمكم فالشبهة مثل الضعف.

### **الشبهة الخامسة:**

#### **الجواب عنها من وجوه:**

**الأول:** هؤلاء يحسبون ملائكة العذاب لجنة أزهريّة تمتّعن العيّتين في العقائد السنّوية والنّسفيّة <sup>١١</sup> ويسألونهم عن كل شيء فيها، ولهذا يقولون: ما تركوا السؤال عن الإله إلا لأنّ معناه الرب. وإلا لسألوا عنه كما سألوا عن الرب، وجديرون بهم إذاً أن يقولوا: إنّهم لم يسألوا عن العشرين الصفة لله، وعن أضدادها، ولم يسألوا عن تنزيه الله عن علوه وعن أن يكون له رحمة أو أن ينزل ويدنو، وعن كثير من الصفات التي يرى الأزهريون إثباتها لله ردّة، معنى هذا أن نقول لهم: هل ملائكة القبر يسألون عن كل شيء مما هو شرط للإيمان أو لا يسألون عن ذلك كله؟ فإن قالوا: الأمر هو الأول. فلنا إن السؤال لم يكن إلا عن الإسلام وعن الرسول وعن الرب. فإذاً كل ما سوى ذلك ليس من الإيمان، فلا يلزم الإيمان بالرسول ولا بالكتب ولا بشيء فإذا قالوا: إن السؤال عن الرب وعن الرسول وعن الإسلام هو سؤال عن جميع الدين، فلنا كذلك نقول: إن السؤال عن ذلك هو سؤال عن الإله وعن الألوهية، وإن قالوا: الأمر هو الثاني، فالاعتراض حيثئلاً لا قيمة له. واستدلالهم على أن الرب هو الإله لأجل الاقتصار على الأول استدلال مردود.

**الثاني:** إن الملايكه تسأله العيّت عن ثلاثة أشياء: عن الرب والرسول والدين؛ ولا شك أن السؤال عن الرسول والتصديق له هو سؤال عن كل شيء جاء به وتصديق به، ومنه توحيد الألوهية، وإن السؤال عن الدين والإقرار بالإسلام يشمل السؤال عن كل ما هو دين، ومنه أن لا إله غير الرب كما سيجيء، فالإيمان بذلك هو إيمان بذلك، فقولهم: إذ السؤال كان عن الرب فقط

. غلط .

الثالث: قد قدمنا أننا لا ننزع في الألفاظ، فهب الرب بطلق على الإله لغة، فهل يقضى ذلك بأن يكون توحيد الربوبية الذي هو الإيمان بأن الله خالق كل شيء هو توحيد الألوهية الذي هو إفراد الله بالعبادة.

الرابع: قد ورد في أحاديث سؤال العيت أنه يجيب ملائكة العذاب ويقول لا إله إلا الله ويشهد بذلك فلم يقتصر على الرب فقط - كما زعم هؤلاء لقصورهم في علم الحديث .

الخامس: من أنبأ هؤلاء أن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر عن كل ما تقوله الملائكة لمن يسألون؟ وما المانع من أن يكونوا يسألون عن الإله وعن الرب وعن أشياء كثيرة، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام انتصر لنا على ذلك واختصره اختصاراً. ليس ثم مانع يمنع من هذا فإن كان لديهم مانع فليبيئوه، وهذا فرغنا من إبطال الشبهات ولنتنقل إلى براهين الفرق بين التوحيديين .



# **الفرق بين توحيد الألوهية والربوبية**

**وعلى ذلك براهين:**

**البرهان الأول:** لا ريب أن الألوهية - أي العبودية من الصلاة وسائر الطاعات - غير الربوبية - أي ملكية الله للعالم - ولا ريب أن توحيد أحد الأمرين المتباينين غير توحيد الأمر الآخر المعاين، فلا يُدرى ماذا ينكرون ولا بين ماذا يسرون. وما كنا نظن أن مثل هذا يمتد إليه خلاف.

**البرهان الثاني:** متى قيل لا فرق بين هذا وذاك كان المعنى لا فرق بين حقيقتيهما لا اسميهما. فقولهم هنا: لا فرق بين الألوهية والربوبية، يريدون لا فرق بين معناهما وهذا يتناول ثلاثة معانٍ، أحدها أن يكون الشيئان شيئاً واحداً. والثاني: أن يكونا شيئاً لكتهما متلازمان. والثالث: إنه ليس هناك توحيد عبادة وألوهية، ولا شيء يسمى بهذا الاسم، وإنما التوحيد هو توحيد الربوبية وهو الإيمان بأن الله هو خالق العالم؛ والاحتمالات الثلاثة باطلة. أما الأول فما نأخذ من قول النصارى وعقيدتهم في التشليث، وأما الثاني فمن يقول: إن عبادة الله وطاعته هي الإيمان بأن الله خالق العالم؟ وأما الثالث فباطل بالضرورة واتفاق المسلمين؛ فإنه لم يقل أحد من المسلمين: إن الإيمان بأن الله الخالق ينجي العبد من العذاب ويجعله مؤمناً.

**البرهان الثالث:** الألوهية من عمل العباد لأنها (من إله إذا عبد) والعبادة للعبد، والربوبية من فعل الحق سبحانه وهي ملكيته للوجود وزعامته عليه. فكيف يكون فعل الرب فعلاً للعبد وفعل العبد عملاً للرب؟ هذا قول أهل الاتحاد ووحدة الوجود؛ فهل هم منهم ١٩

**البرهان الرابع:** قال في القاموس «أَلْهٌ إِلَاهٌ وأَلْوَهٌ وأَلْوَهِيَّةٌ عَبْدٌ عَبْدَةٌ وَمِنْهُ

لفظ الجلالة وأصله إله أي مالوه، وفي مادة رب منه «الرب باللام لا يطلق لغير الله، والاسم الربابة بالكسر والربوبية بالضم ورب كل شيء مالكه ومستحقه وصاحبه ورب الشيء ملكه ورب الطفل أي رباء» ومثل ما ذكر القاموس ذكرت جميع كتب اللغة وجميع كتب التفسير، انظر تفسير النيسابوري والزمخشري وابن جرير والرازي وغيرهم في تفسير الفاتحة وغيرها، فقول مجلة الأزهر مخالف إجماع المفسرين واللغويين والأدباء، فعلى أي شيء يعتمدون وبأي لسان يتكلمون؟

**البرهان الخامس:** قال تعالى: ﴿وَجَزَوْنَا بِمَا بَيْقَ إِنَّهُمْ بِالْبَخْرِ فَأَنْوَأُ عَلَى قَوْمٍ  
يَنْكُفُونَ عَلَى أَضْنَاءِهِمْ قَالُوا يَتَوَسَّى أَجْعَلَ لَنَا إِنَّهُمْ مَا لَهُمْ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ  
يَنْهَاوْنَ﴾<sup>(١)</sup> تفسير الآية - على قول هؤلاء - أجعل لنا رياً خالقاً كما لهم  
أرباب خالقون يا سبحان الله يخفى على المشيخة أنه لن يظن أجهل الجاهلين أن  
مخلوقاً - وإن جل - يستطيع أن يجعل رياً خالقاً؛ لأن جعل هنا معناها أوجد،  
وكيف يطلبون ذلك منه؟ فهم إن كانوا يعلمون أن الله الخالق لكل شيء كان  
طلبهم أن يكون غيره خالقاً محالاً لا يخفى على أحد، وإن كانوا يعلمون أن غيره  
رب خالق رجب عليهم أن يؤمنوا بذلك أجعل لهم موسى أم لم يجعل، أوافقهم  
أم خالقهم. وهذا مثل أن يطلبوا منه أن يجعل للسماء خالقاً غير الله وللشمس  
والقمر خالقاً غيره سبحانه وهذا لا يخفى على أحد امتناعه مهما كبر نصبيه من  
الجهل والغباء، ثم الآلة في الآية إما أن يكونوا هم العبودين أو الخالقين،  
الأخير لا يجوز لأن القوم لا يرون أن يجعل لهم موسى خالقاً كما لغيرهم  
خالقون؛ وهذا باطل بالضرورة لم يبق إلا المعنى الأول؛ وهو ما نريده فثبتت ما  
قلنا وزهق باطلهم. ونظير الآية ما جاء أن أصحاب رسول الله مرروا على قوم لهم  
شجرة يدعونها ذات أنواع يعلقون عليها أسلحتهم للبركة. فقالوا يا رسول الله  
اجعل لنا ذات أنواع كما لهم ذات أنواع فقال: الله أكبر إنها السنن قلتم والذي  
نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِنَّهُمْ كَمَا لَهُمْ مَا لَهُمْ﴾ فالصحابة على  
قول هؤلاء يسألون أن يجعل لهم خالقاً وافضليحة العلم.

**البرهان السادس:** قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ⑤ مَلِكِ النَّاسِ

**إِلَهُ النَّاسِ**<sup>(١)</sup> ذكر الرب ثم المالك ثم الإله؛ فلو كان الرب والإله شيئاً واحداً لكان في الآية تكرار يتبين بها عن حد البلاغة؛ فلا بد أن يكون مدلول الإله غير مدلول الرب؛ وضع بدل الإله هنا الرب وقل: «أَعُوذ بِرَبِّ النَّاسِ». ملك الناس. رب الناس» تعلم أن ذلك ركرة لا يناسب بلغة القول. والتكرار يحسن في مواضع فمثلاً يجوز في جيد الكلام جاء زيد الكريم الكريم، ولا يجوز جاء زيد الكريم الشجاع الكريم، بل ولو غيرت الكريم الأخير بلفظ مراده وقلت الكريم الشجاع الجoward. ومثل الآية على رأي هؤلاء قول القائل: (فلان ناصر إخوانه خاذل أعدائه ناصر إخوانه) وهذا لا يجوز أبداً فمن للقوم بالبلاغة وعلم البيان.

**البرهان السابع:** باتفاق أهل اللغة أن إلهها بمعنى مالوه كفراش أي مفروش؛ وكتاب أي مكتوب، وبساط أي مبسوط، وأن ربأ بمعنى رب أي اسم فاعل، لأنه يقال رب الناس أي ملكهم؛ ورب شيء رباه؛ فرب يراد أنه رب كمالك وفاعل؛ وتفسير اسم الفاعل باسم المفعول من بدع كتاب مجلة الأزهر التي ابتدعوها في اللغة كما ابتدعوا في الدين والمعقولات.

**البرهان الثامن:** في الصحيحين أن رسول الله قال: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قيل له: وإن ذنى وإن سرق قال: « وإن ذنى وإن سرق» ورويا أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار» فإن كان معنى الإله هو الرب كان بمقتضى هذه الأحاديث من آمن بأنه تعالى خالق العالمين نال الثواب المذكور وإن لم يفرده بالعبادة. وفي الصحيحين أنه عليه السلام قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكوة» معنى هذا - عند المشيخة - حتى يقروا بأن الله تعالى الرب. وإن ظلوا يعبدون الآلات والعزى ويستشفون بهما وينادونهما! وفي البخاري عن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله من أحق الناس بشفاعتك يوم القيمة قال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» وفيه أيضاً أنه عليه السلام

قال لعمه أبي طالب: «قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» وجاء عنه عليه السلام أنه قال: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلِي لا إله إلا الله» معنى هذا كله عند سادتنا هو الإقرار لله بالخالقية والرازقية، وهذا جهل لا ينادي ولدده.

**البرهان التاسع:** نحن ذكرنا البراهين على أن المشركين كانوا يعترون بالله وربوبيته، وكانوا يقررون بذلك إذا سئلوا عنه، كما في الآيات السابقة وكانوا مع هذا الاعتراف والإقرار يأبون أن يعترفوا أن لا إله إلا الله ويقولون: «لَجَعَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا وَيَوْمًا إِنَّ هَذَا لَشَفَعٌ بِعَجَابٍ»<sup>(١)</sup> فلا بد أن يكون الذي اعترفوا به غير الذي أنكروه.

**البرهان العاشر:** لو كان التوحيدان توحيداً واحداً لكان من جاء بتوحيد الربوبية مؤمناً ناجياً مهما عمل ومهما أتى بالمكفرات، ومعلوم بطلان هذا لكل أحد.

**البرهان الحادي عشر:** الألوهية والربوبية والإله والرب ألفاظ متغيرة - مادةً واشتقاقةً، والمستقرة في كلام العرب أن يكون لكل كلمة معنى يخصها، والترادف - أي أن يكون الألفاظ واردة على معنى واحد - قليل، ولقلته ذهب كثير من العلماء إلى أنه ليس موجوداً، فمن زعم أن لفظين - أو أكثر - مترادافان وجب أن يذكر البرهان الذي لا يرد على قوله. وإنما كان مبطلاً وقد أبطلنا براغبيهم على الترادف في هاتين المادتين.

**البرهان الثاني عشر:** قال مخالفنا في أول مقالة: «إن التفريق بين التوحيدين باطل لأنه لم يؤثر عن رسول الله ولا عن صحابته» فنحن حيثيل نقول: إذا كان ذلك النفي اللغوي حجة عندك على الإثبات فلتتعلم أن رسول الله وصحابته لم يقل أحد منهم: إن الألوهية والربوبية لفظان مترادافان ومعناهما واحد، فلا بد أن يكونا مختلفي المعنى.

**البرهان الثالث عشر:** قرر مخالفنا أن القرآن جعل توحيد الألوهية مترتبةً

(١) سورة ص، الآية: ٥.

على توحيد الربوبية، وقال إن أحدهما لازم للأخر؛ فهذا اعتراف منه بأنهما شيئاً متغايران فلماذا ينazuنا في شيء هو معترف به؟ الحق أن مخالفنا طيب القلب سليم.

**البرهان الرابع عشر:** أخبر القرآن أن الكفار كانوا يسمون أصنامهم آلهة قالوا: **﴿وَمَا نَخْنُ بِتَارِكٍ عَلَيْهِنَا عَنْ قَوْلَكَ﴾**<sup>(١)</sup> ولم يخبر في آية أنهم قالوا لها: أرباب. فلو كان لا فرق بين اللفظتين لسموها أرباباً كما سموها آلهة، ولما انتصروا على إطلاق آلهة اطراداً.

**البرهان الخامس عشر:** الذي يحقن دم المشرك أن ينطق بكلمة الإخلاص على - إلا يأتي بما ينقضها - وهذه الكلمة التي تحقن الدم هي لا إله إلا الله أو ما يفيد معناها باتفاق المسلمين ولا يعصمه أن يقول: لا خالق إلا الله بإجماع المذاهب، ولو كان معنى الإله والرب واحداً لما عصم دم أحد اللفظين دون الآخر.

**البرهان السادس عشر:** يقال: رب الدار لصاحبها، ورب الإبل لمالكها، ورب القبيلة لسيدها؛ فإن كان معنى الإله هو الرب - سواء - جاز أن يقال إله الدار لصاحبها، وإله الإبل لمالكها، وإله القبيلة لسيدها، وهذا منكر باتفاق الأولين والآخرين؛ إذاً بين الكلمتين اختلاف ولا شك.

**البرهان السابع عشر:** يقال للهوى المطاع: إله؛ - كما قال: **﴿أَفَرَبَّتْ مَنْ أَنْجَدَ إِلَهُهُ هَرَثَهُ﴾**<sup>(٢)</sup> - ويقال لللات صنم قريش - وكذا للمعزى - إله نهل يقال للهوى رب وللات أو العزى أنها ربا قريش؟ إن كان لا فرق بين الإله والرب - كما يزعم هؤلاء - جاز ذلك، وهو لا يجوز.

هذه سبعة عشر برهاناً تبيّن أن الألوهية والربوبية، والإله والرب متخالفات في المعنى ولتعلم: أنه لم يقل بالتسوية بينهما أحد من العلماء قبل مشيخة الأزهر ومجلتها.

(١) سورة هود، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.



## **خاتمة الفضائح**

وبعد أن كتبنا ما كتبنا طلعا علينا الجزء الخامس (من المجلد الرابع نور الإسلام) يحمل مقالاً طويلاً بتوقيع صاحبنا الهمام الشيخ الدجوي عنوانه (توحيد الألوهية والربوبية) وهو مخالف لما يدل عليه العنوان، فالعنوان في جانب والمقال في آخر - كما أريك ذلك؛ إذ المقال هو تدليل أو محاولة تدليل على جواز التسلل الأزهري العامي الذي أبطلناه بكتابنا البروق، فالأدلة هي الأدلة، والدعوى هي الدعوى من غير زيادات في المجازفات؛ ومخالفة للضروريات؛ وغلو في الأولياء والتعلق بالمخلوقين. ولنشر إلى جملة من تلك المجازفات:

### **الفضيحة الأولى:**

قالوا: عبادة غير الله لا تكون عبادة ما لم يعتقد عابد غيره أن معبوده رب خالق وهذا نص العبارة: «فإنهم إذا فهموا أن كل تعظيم عبادة أو كل طلب عبادة؛ فقد برهنوا على جهلهم»، فإنما رأينا إخوة يوسف قد سجدوا ليوسف، والملائكة سجدوا للأدم. وليس هناك شيء أبلغ في التعظيم من السجود، فإذاً ليس التعظيم شركاً لذاته مهما بلغ أمره، ولو كان ذلك وصفاً ذاتياً له لوجب إلا يفارقها، فالتعظيم لا يكون عبادة (وقد سبق في كلامه أن السجود أبلغه) إلا إذا كان معه اعتقاد الربوبية، وقد ذكر أصرح من هذه العبارة في أحد أعداد مجلة (الإسلام) والعدد لدىينا. إذاً على كلام هذا الشيخ الجليل من سجد لسيدنا الحسين أو للبدوي أو اللات والعزي؛ بل أو للكنائس والبيع لم يكن مشركاً ما لم يعتقد لهم الربوبية؛ فلو رأينا شيخه الأجل الشيخ الظواهري يسجد لحجر أو شجر أو ملك أو وزير لم نقل: إنه أشرك لأننا مستيقنون أنه لا يمكن أن يعتقد في هؤلاء الربوبية أبداً، فماذا ترون في هذا؟ إننا لا نحتاج أن نذكر قول الله

تعالى : ﴿لَا سَجَدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾<sup>(١)</sup> ولا قوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(٢)</sup> ولا قوله : ﴿فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَأَخْسَرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿إِنَّ كُثُرَ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ولا أن نذكره بالحديث الذي مر، وهو أن صحابة رسول الله لما رأوا المشركين يعلقون أسلحتهم بشجرة للبركة، قالوا يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواع كما لهم ذات إله؟ كما لهم آلهة» ولا أن تنبه أن الصحابة الذين قالت بنو إسرائيل أجعل لنا إلهنا كما لهم آلهة» قال لهم الرسول ذلك لم يكونوا يعتقدون في تلك الشجرة أنها خالقة أو قديمة أو رب مع الله؛ ولا نذكره أيضاً بقول عدي لما سمع الرسول عليه الصلاة والسلام يقرأ : «اتخذوا أحبارهم ورہبانهم أرباباً من دون الله إنا لم نعبد هم ولم نتخدلهم أرباباً» فأقره الرسول على قوله هذا - باعتراف الشيخ الدجوي، نعم لا يحتاج أن نذكرهم بذلك ولا بما هو أبلغ منه، وقد دخل حديفة على رجل فوجده قد ربط على عضده حلقة فنزعها وتلا قوله تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَنْتَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ شَرِكُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وروى أبو داود عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» وروى أحمد عن امرأة عبد الله بن مسعود قالت : (كان عبد الله إذا جاء من حاجة فاتته إلى الباب تنزعج كراهة أن يهجم علينا أمر يكرهه وإنه جاء يوماً وعندي عجوز ترقبني فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطاً فقال ما هذا؟ قالت رقى لي فيه فقطعه ثم قال : إن آل عبد الله لا غنياء عن الشرك. سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الرقى والتمائم والتولة شرك». وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عكيم، والنمساني عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «من تعلق شيئاً وكل إليه»؛ وروى أحمد عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : «من علق تميمة فقد أشرك» وروى أيضاً عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : «من حلف بغير الله فقد أشرك» وقال ابن جرير

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٥) سورة يوم النزف، الآية: ١٠٦.

في تفسير قوله تعالى: **﴿فَلَا يَجْعَلُوا فِي أَنْدَادَهُ﴾**<sup>(١)</sup> عن عكرمة: **﴿فَلَا يَجْعَلُوا لَهُ أَنْدَادَهُ﴾** «أي تقولوا لولا كلبنا لدخل علينا اللص الدار ولو لا كلبنا صاح في الدار ونحو ذلك فنهاهم الله تعالى أن يشركوا به شيئاً وأن يعبدوا غيره» نعم، لا نريد أن نذكر لمولانا الشيخ ذلك، ولا أن نذكر له أن المسلمين مجتمعون على أن من سجد لغير الله أو رکع له أو عظمه كتعظيم الله، أو أحبه كحبه الله أو خافه كخوفه الله أو رجاه كرجائه الله فهو كافر مخلد في النار أبداً - سواء اعتقد في ذلك أنه رب أم اعتقد أنه عبد مربوب، فالشيخ، يستطيع أن يخالف الإجماع وأن يرمي أهله بالجهل، أو يقول: إنهم وهابيون خارجيون يكفرون المسلمين ويستبيحون دماءهم لا تحتاج عليه شيء من ذلك كله؛ وإنما نعرض قوله هذا على علماء مصر ورجالها ونستفتهم فيه وفيما يستحق، وقد قرئ قوله الشيخ هذا في محفل حاشد فيه بعض تلامذته فأكبر الحاضرون ذلك، وهاجوا ورموا بالمجلة، وكادوا يحرقونها ويحرقون ما عندهم من أجزائها؛ أما تلامذته أو قائله فقد وافقه؛ وقالوا - كما يقول: من سجد لولي من الأولياء أو حجر من الأحجار أو حيوان من الحيوانات لم يكن مشركاً ولا مذنباً إلا إذا اعتقد بأنه إله!! فصالح بهم الحاضرون وأخرجوهم من المجلس، نعم، هذه نتائج مقالات هذا الشيخ، وهذه ثمرتها وهذا ما يستفيده منه الطلاب! فماذا يقول علماء الأزهر في ذلك كله؟ إننا نتظر منهم الجواب.

### الفضيحة الثانية

زعم أن البشر قادرُون على كل شيء حتى على أن يقلبوه فرساً أو سبعاً أو ما شاء من أنواع المخلوقات! وهكذا عبارته بحروفها «على أن لنا أن نقول إن كل شيء مقدر للبشر بالدعاء فما لا يقدر عليه البشر بالذات يستطيعه بالدعاء»! الله أكبر هل رأيتم أغرب من ذلك؟ هل رأيتم أغرب من قوله: إن البشر على كل شيء قادرُون؟! نعود بوجه الله أليست هذه صفة الرب الخالق القاهر؟ ألا تظنين الشيخ ممن يتالهون؟ أمو يستطيع أن يقلب السماء أرضًا والأرض سماء؟! أمر يدعى لنفسه أنه يقدر أن يعييي ميتاً أو يعيي حيَا؟! أترونه يظن أنه قادر على

إخراج الإنجليز من مصر! وفرنسا وسوريا، وإنقاذ جميع البلاد الإسلامية من ورطة الاستعمار لأن البشر على كل شيء قادرون وهو من البشر ولا شك. نعم من البشر على رغم أنف المخالفين، أبشروا أيها المسلمون. أبشروا أيها المظلومون. فمولانا الشيخ الدجوي على كل شيء قادر. قادر على أن ينجيكم وأن ينصفكم فاطمئنوا إلى ذلك! نعوذ بالله، ما سمعنا أعجب من هذا وما سمعت القرون المظلمة أعجب منه، أنحن في القرن العشرين قرن العلم والنور والتفكير - كما يقولون؟ بل قرن القدرة على كل شيء فالبشر على كل شيء قادرون؛ أين (أوروبا) وأين مخترعوها؟ وأين قدرتها؟ فتحن عندها عشر الشريين من يقدر على كل شيء - من يقدر على تخريبكم وتخريب مخترعاتكم وألاتكم الحرية شيء بسيط. بكلامه. بأن يدعوكم فقط!

ما أشد الله أن يخزي خلبيته ولا يصدق فسما في الذي زهموا رضي الله عنك (يا سيدنا الشيخ) وبارك لنا فيك؛ فماذا يرى علماؤنا الكرام فيما قال شيخهم الأكبر؟ أي وافقونه على أذ كل شيء مقدور للبشر؟ نرجو منهم الجواب ونستفتهم فيمن اعتقد في مخلوق: البدوي أو غيره أنه على كل شيء قادر أم لا.

### الفضيحة الثالثة

زعم أن من ظن مخلوقاً قادراً على أمر من الأمور - وإن كان بإعدام العالمين - وطلب ذلك الأمر منه - بناء على ظنه المخطئ - لم يكن ذلك السائل ضالاً؛ وهاك عبارته: «إإن كان طالباً من الولي نفسه فإنما يطلب منه على اعتقاد أن الله أعطاه قرة روحانية تشبه قوة الملائكة فهو يفعل بها بإذن الله، فهل في ذلك تاليه له؟ ولو فرضنا - جدلاً - أننا مخطئون في ذلك لم يكن فيه شرك ولا كفر بل تكون كمن طلب من المقعد المعنونة معتقداً أنه صحيح غير مقعد» وقال أيضاً في نفس المقال: «أما قولكم إنهم يطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله فكلام لا تحقيق فيه، فإننا نقول أولاً: هب أن الأمر كذلك، وقد أخطأ ذلك السائل فظن غير الممكن ممكناً، وغير المقدور للبشر مقدوراً له أفيكفر بذلك أم يعذر بجهله وخطئه» هذا ما قاله في مقاله الطويل الذي كفر به أفضل المسلمين، فعلى

قوله هذا لو اعتقاد المصريون في جبل (الهرم) أو (المقطم) أن بيدهما حيائهما وموتهما وكل ما يرجون، وما يخافون، فسألوهما ذلك - ضارعين خاشعين لكانوا معدورين غير ملومين!! بل لو ظنوا أن جئت الفراعنة في دار الآثار (الانتيك خانه) بيدها الفسر والنعم فتوسلوا بها وسائلوها - كما يتسللون بالأولباء لكانوا معدورين على رأي مولانا الشيخ، ولو ظنوا أن الله قد أعطى السيد البدوي تصريف العالمين يعز من يشاء ويميل من يشاء، ويحيي ويميت لم يلاموا!! والعجب أن هذا الشيخ يكفر المعتزلة لأنهم اعتقادوا أن العباد الأحياء الفاعلين موجودون لأفعالهم، فلم يعذرهم إن اعتقادوا غير الموجد موجداً - خطأ - وعذر من اعتقاد في حجو أو ميت أنه يستطيع كل شيء - حتى تخريب العالمين وإذاً لما لا يعذر الروهابيين - إذ أخطأوا فظنوا المسلم كافراً - كما يدعى الشيخ - حقه أن يعذرهم بجهلهم وخطئهم على قاعدته هذه.

#### الفضيحة الرابعة

زعم أن قدرة الأموات وتصرفهم أوسع من قدرة الأحياء وتصريفهم !! قال: «فإذا استغاث بهم (أي بالأموات) كان كمن يستغيث بالحبي - سواء بسواء - لأنهم عندنا أحياها بل أعظم نفوذاً وأوسع تصرفاً من الأحياء» ولا زال يكرر هذا المعنى في نور الإسلام منذ خرجت، نحن لا نعلم أمة - وإن كانت مثال الضعف والهون - سوت أحياها بأمواتها. ولا رضيت بالتسوية غير مولانا الشيخ الدجوي، فأين أنتم عشر المصريين؟ يرى أن تلك الرميم البالية التي تمثون عليها هي أقدر منكم وأوسع تصرفاً وأقوم بالواجبات وأكثر إعطاء لما يسأل!! فهل ترضون بهذا؟ وهل ترضون من مجلة الأزهر أن تفضل الأموات عليكم وتجعلهم أقوم منكم بأعباء الدولة ومصالحها؟ أليس هذا إغراء منها بأن تقطع العامة إلى الأموات وتحملها الرغبات والرهبات وتدعكم؟ أين علماء الأزهر المثقفون النبهاء؟ أليس من العار ومن الفضيحة التي لا يساويها فضيحة أن ينشر في مجلتكم - عنوان نهضتكم ومجمع عصارة أفكاركم - مثل هذا الكلام ينشر فيها عالم من علماء الأزهر المعدودين: أن الأموات أقدر من الأحياء فيقول مثلاً: إن الشيخ أبا الفضل الجيزاوي شيخ الأزهر السابق هو أقدر وأوسع تصرفاً، وأقوم

بالمهمات من مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ الطواهري. نعود باهـ، كيف يرضى بذلك مولانا، وكيف ترضونه منه؟ غاروا أيها العلماء على سمعتكم، فالحر غيور، ولا تنسوا أنكم في القرن العشرين، ثم عبارته هذه تبرا منها اللغة؛ فقوله: (سواء بسواء) ليس من كلام العرب، بل من كلام العامة، وقوله فيها: «كان كمن يستغث بالآحياء لأنهم عندنا آحياء» تركيب لا يصح، لأنهم إذا كانوا عندـ آحياء لم يكن الطالب منهم كالطالب من الآحياء، بل يكون من طلب الآحياء، وصحة العبارة أن يقال: «إذا استغاث بهم كان معـ استغاث بالآحياء - سواء - لأنـ عندـ آحياء» فهل يعترف مولانا الشيخ بغلطـ؟ وهو يقول: «من علامات الراسخين في العلم ألا يصرـوا على غلطـ قالـوه» وأسلوبـ الشيخ زائفـ، فهو يقولـ في أساليـبهـ: (أصـالـيلـ) وهذا الجمع لا يوجدـ في كلامـ العربـ، ويـقولـ: (نـفـكـهـ تـفـكـهـةـ) وتفـكـهـةـ لا تـصـحـ ويـثـبـتـ اليـاءـ إـذـاـ نـسـبـ إـلـىـ (طـبـيـعـةـ) وـالـصـوـابـ حـذـفـهاـ، ويـقـولـ: (احـسـ بـهـذـاـ الشـيءـ) وـالـصـوـابـ اـحـسـ هـذـاـ الشـيءـ، وـأـمـثالـ هـذـاـ فـيـ كـلـامـهـ كـثـيرـ، وـلـاـ سـيـماـ (حـتـىـ) فإـنـهـ يـؤـذـيـهاـ كـثـيرـاـ فـيـ اـسـتـعـمالـاتـهـ.

### الفضيحة الخامسة

زعمـ أنـ مـلـكـ الـمـوتـ وـاـحـدـ مـالـيـ الدـنـيـاـ فـهـوـ فـيـ المـشـرـقـ يـقـبـضـ أـرـواـحـاـ وـفـيـ المـغـرـبـ يـقـبـضـ أـخـرـىـ، لـاـ يـشـفـلـهـ قـبـضـ عنـ قـبـضـ. وـيـبـدـوـ لـيـ أـنـ الشـيـخـ لـاـ يـحـفـظـ الـقـرـآنـ، فـمـنـ ذـاـ يـحـسـنـ فـيـقـرـأـ عـلـيـهـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿وَحْقٌ إِذَا جَاءَ أَهْدَكُمُ الْمَوْتُ تَوْقِتُهُ رُشِّلَنَا وَهُمْ لَا يَقْرِئُونَ﴾<sup>(١)</sup> وـيـفـهـمـهـ أـنـ الرـسـلـ فـيـ الـآـيـةـ هـمـ الـمـلـاـنـكـةـ، وـأـنـ جـمـعـ لـاـ مـفـرـدـ وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿وَلَوْ تَرَكَ إِذْ الظَّالِمُونَ فـيـ غـمـرـتـ الـمـوـتـ وـالـمـلـائـكـةـ بـأـسـطـلـوـاـ أـيـدـيـهـمـ أـخـرـجـوـاـ أـنـسـكـمـ﴾<sup>(٢)</sup> وـقـوـلـهـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوْقَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمُونَ أَنفُسُهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> رـيـبـيـنـ لـهـ أـنـ الـمـلـائـكـةـ جـمـعـ لـيـسـ مـفـرـداـ. وـظـنـيـ أـنـ الـذـيـ رـمـيـ شـيـخـنـاـ فـيـ هـذـاـ الغـلـطـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿فَلَمْ يَتَوَقَّفْنَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وَقَلَّ يُكَمِّلُ﴾<sup>(٤)</sup> لـاـنـهـ - فـيـمـاـ يـظـهـرـ - لـمـ يـعـلـمـ

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١١.

أن مثل هذا الاستعمال للعوم كقوله: **﴿وَإِن تُعْذِرُوا يُعَذِّرَ اللَّهُ لَا يُغَصُّونَهَا﴾**<sup>(١)</sup> المراد نعمه وقوله: **﴿أَيْلَمْ لَكُمْ يَئِلَّةً أَصِيَامُ الْرَّفِثِ إِلَى يَسَابِكُمْ﴾**<sup>(٢)</sup> أي ليالي الصيام. وكقول فضيلته قبضنا جرايتنا أو جراية الأزهر، والمراد جرایات الأزهر، وهذا أمر لا يخفى على تلامذة الشيخ، فهل يعلن رجوعه إلى الصواب؟ فيعرف فراءه أنه من الراسخين في العلم الذين لا يتکبرون على الحق، ولا يقدسون أنفسهم - كما يرجو منا أن تكون - هذا هو حسبانتنا بفضيلته؛ ونحن لرجوعه مرتفبون، وكيف سهل على عقله الذي وسع العالمين أن يصدق مثل هذا. أن يصدق أن مخلوقاً مت Hwyز في كل مكان، والله في خلقه شؤون.

### الفضيحة الساسة

زعم الآيات الناهية عن دعاء غير الله، الأمرة بدعائه وحده خاصة بالمشركين الذاهبين مثل قوله: **﴿وَلَمَّا أَتَاهُمْ مَا أَنْهَى اللَّهُ أَهْدَى﴾**<sup>(٣)</sup> وقوله: **﴿فَلَمَّا أَنْدَعُوا إِنْ دُونَ اللَّهِ مَا لَا يَنْقُنُنَا وَلَا يَعْرِنُنَا﴾**<sup>(٤)</sup> وقوله: **﴿وَمَنْ أَنْجَلَ مِنْ بَدْعُورًا إِنْ دُونَ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِبُ لَهُ إِنْ يَوْمَ الْقِيَمَة﴾**<sup>(٥)</sup> الا بعد الله الهرى ومن تبع الهرى أين أنت يا علماء الأزهر؟ وأين كتب الأصول التي تدرسون؟ أوليس تقول - بالإجماع - : (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) تقرأون هذه المسألة الأصولية قروناً لا تجدون فيها مخالفة ولا خطأ، ما هكذا يا نومنا يكون الإنصاف، ولا هكذا تكون حال العلماء إذا قولوا: إن قوله: **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَنْوِيْلُوا الزَّكُوْنَ﴾**<sup>(٦)</sup> خاص بالصحابة؛ وأن قوله: **﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَلُوْا أَيْدِيهِمَا﴾**<sup>(٧)</sup> وقوله: **﴿الْزَّانِيَةُ وَالْزَّانِي فَلْيَجْلِدُو ثُمَّ لَوْجِرْ يَنْهَا مِائَةً جَلَدَوْنَ﴾**<sup>(٨)</sup> خاص

(١) سورة النحل، الآية: ١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٣) سورة الجن، الآية: ١٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

(٥) سورة الأحقاف، الآية: ٥.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٨) سورة التور، الآية: ٢.

بالمعاصرین نزول القرآن. بل قولوا: إن جميع الأوامر والنواهي في القرآن والسنة خاص بالذين ذهبوا لا ينالنا منه أمر ولا نهي، وانخرجو من ذلك سالمن، ولا تناقضوا، هذا لازم قولكم يا قومنا، ليقل لنا علامتنا لماذا نهى الله المشركين عن دعاء غيره لأنه قبيح أم لأنه حسن، فإن كان للأول وجوب أن يكون منهياً عنه أبداً، وأما الثاني فلا ينهى الله عن الحسن أبداً، وليرقل لنا لماذا نهى المشركين عن دعاء المخلوق وأجاز لك أن تدعوه، هل فرق الله بينك وبينهم؟ يا ضيعة الدين.

### الفضيحة السابعة

زعم أن الولي العيت في كل مكان، واحتاج بقول المتنبي يمدح إنساناً: وكالبدر من حيث التفت رأيته بهدي إلى عينيك نوراً ثاقباً هكذا أنشد البيت، وقد أفسد وزنه - لأنه فيما أظن جاهل بعلم العروض - وصححة البيت حذف الواو من أوله. أليس كذلك (يا سيدنا الشيخ) أي والله إنه لكذلك، ولا يحتاج بكلام المتنبي على إيمانه إلا من يصدقه في ادعائه أنه رسول الله؛ وإلا فما يجيء إنسان يستدل بقول شاعر فاسق متهاور متناقض على عقيداته، اعتبروا يا قوم وانصافونا؛ هذا يكفرنا إذا احتججنا بكتاب الله، وبكلام رسوله على إلا يدعى إلا الله؛ وهو يحتاج بشعر رجل يتصلصل الإلحاد والفسق في شعره تصلصلاً، يكفرنا إذا آمنا بكتاب ربنا واحتاججنا به على صفاتاته، وهو يستدل بكلام الشعراة، اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون، ولماذا يحتاج بقوله هذا ولا يحتاج ب قوله:

من يهن يسهل الهوان عليه مالجروح بسمبست إسلام  
يذكر أن يكون العيت يتالم أو يشعر ضد قول الشيخ، ولماذا لا يحتاج بقوله أيضاً:

نوبية لم تدر أن بنينا الله - ويسري دون الله يعبد في مصر  
لما جاء إلى مصر ورأهم يعظمون كافوراً؛ ويختضعون لأوامره جعلهم عابدين له؛ وهم لا يعتقدون أنه رب ولا إله بالضرورة؛ فالمتنبي - في بيته هذا - لم

يشترط في العبادة أن تقتربن باعتقاد الألوهية في المعبد، والشيخ لا يرضى ذلك ويشارقه فيه ونحن نعلم والناس أجمعون أن الأستاذ وشيخه الأكبر يعظمون رؤسائهم تعظيمًا لو جعلوا بعضه لله لطاروا مع الملائكة المقربين بأجنبة من نور، وينقادون لأوامرهم انتقام الحادثات للأقدار، يركعون وينحنون أمامهم خاشعين خاضعين - لا يرفعون طرفاً ولا يحركون عضواً ولا يرجعون لهم قولًا، وهذا لا يكون بعضه منهم إذا وقفوا بين يدي الله. وشيخه الأكبر يحدث عن الله وعن رسوله وعن ساداتنا أئمة الإسلام - غير حافل ولا مبال؛ فإذا حدث عن رئيسه انتصب قائماً ورفع صوته كما يستطيع، حتى أنه أنكر عليه ذلك مراراً، فهم على رأي المتتبلي عابدون لهم ولا شك، كما جعل أسلافهم عابدين لكافور. فماذا يرون؟

### الفضيحة السابعة

زعم أن المنكر لا يجب إنكاره إلا إذا أجمع المسلمون على أنه منكراً وقد كرر هذا في مقاله هذا، ولكن الله يقول: ﴿رَأَتُكُنْ وَنَكُنْ أَنَّهُ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَرْءَةِ وَرَتَهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ولم يشرط ذلك بالإجماع - كما يقول؛ ويقول رسوله: «من رأى منكم منكراً فليغیره بيده فإن لم يستطع فليسنهه فإن لم يستطع فبقلبه قال وذلك أضعف الإيمان» ولم يقييد ذلك بأن يكون مجمعاً عليه، والمنكر ينكر لأنه شيء منكر أي قبيح، لا لأنه أجمع الناس على نكارة، وزعمه هذا خلاف إجماع المسلمين - إن كان يقيم للإجماع وزناً، فإن كل مسلم ينكر كل عمل يراه منكراً، وما كانوا يتوقفون في النهي عنه: يقولون لعل فيه خلافاً، والخلاف آتى على كل شيء؛ ألا يعلم هذا أن المعتزلة يخالفون أهل السنة - عنده - في أشياء كثيرة. يقولون: العباد خالقون أفعالهم، ويقولون: القرآن مخلوق. ويقولون: إن الله لا يرى بالأبصار. ويقولون واجب على الله أن يفعل ما هو الأصلح لعباده. ويقولون: العقل يحسن ويقبح. ويقولون أشياء كثيرة يخالفون بها أهل السنة الذين منهم الشيخ - كما يدعى، فهو يرى أنه لا يجب الإنكار - ولا يجوز - على المعتزلة أهل هذه المخالفات لأن المسلمين لم

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

يجمعوا على أنها منكر؟ إذاً يخالف كتب الأزهر فإنها تؤذن المعتزلة لذلك، وتفسقهم وقد تكفرهم فماذا يرى في ذلك؟ وما رأيه في كتب الأزهر؟

### الفضيحة الثامنة

زعم أنه لم يقل أحد غير ابن تيمية وابن عبد الوهاب: إن المشركين كانوا موحدين الله توحيد الربوبية <sup>١١١</sup>

**فإن كنت لا ندرى بذلك مصيبة وإن كنت ندرى فال المصيبة أعظم**  
 نحن والله لا نعرف أمر هذا الشيخ أمهو يتعمد التلبيس والكلب وهضم  
 الحقائق المائلة في كل كتاب، لأنه لا يحتفل بقرائه؛ ولا يخشى أن يعلموا ذلك  
 فيه. أم هو لم يطلع ولم يقرأ ما يعصمه من أن يتردى في هذه المخالفات  
 والمجازفات هو أحد الرجلين بلا شك، نحن قد قدمنا لك في البراهين على  
 إيمان المشركين أن المسلمين جميعاً موافقون ابن تيمية وابن عبد الوهاب بلا  
 شذوذ. وذكرنا لك أقوال المفسرين من صحابة وتابعين ومتاخرين. فارجع إلى  
 ذلك أو اقرأ ما تشاء من كتب التفسير: الرazi أو النسابوري أو ابن جرير أو ابن  
 كثير أو ما تشاء كما أسلفنا بعد الآيات التي تذكر عقيدة المشركين.

هذه ثمان فضائح نسجلها على الشيخ، ونبسطها أمام رجال مصر، الذين  
 يغارون على سمعتها، ليقولوا فيها ما يشاؤون، وقد تركنا الرد عليها ليتولوه هم؛  
 ولأنها لا تستحق الرد في نظرنا، وللعلم علماء مصر أن التاريخ من ورائهم،  
 فليحافظوا على تاريخهم، ولبيطهروه من هذه السينات، وللعلموا أنهم في القرن  
 العشرين - قرن الانتقاد والإنكار.

## إبطال التوسل الأزهري إبطالاً إجمالياً

قد أبطلنا في كتابنا البروق شبهاتهم عليه إبطالاً تفصيلاً، وما نحن الآن نأتي بأمور عامة تبطله أيما إبطال، يشترك في فهمها العالم والجاهل.

### البرهان الأول

إما أن يقولوا: من دعاء المخلوق ما هو شرك وحرام؟ أو يقولوا: ليس في دعائه ما هو كذلك، لا محيسن لهم من أحد التقديرين؛ فإن قالوا: الأول، قبل لهم قد بطل اعترافكم على مخالفبكم أن قالوا: من دعاء المخلوق ما يكون شركاً، وبطل اعترافكم أيضاً بدعة الأحياء، وصار هذا الاعتراض مشتركاً بينكم وبينهم ويذهب الخلاف حينئذ إلى تعين ذلك الدعاء، ولا بد أن يتحقق في الخارج، ولا نزاع بينكم وبينهم إن سؤال الأحياء ما يقدرون عليه - عادة - ليس محظياً بل جائز مباح، فلم يبق إلا دعاء الأموات؛ وهو المطلوب، فدعوه الأموات محرمة؛ وهذا قول مخالفبكم، وإن قالوا: الثاني، قيل لهم إذاً فدعوه اللات والعزى ومنة الثالثة الأخرى - وكذا سائر أصنام الجاهلية - ليس شركاً ولا حراماً !! وإذاً لو قال إنسان يا عيسى ابن مريم أعطني كذا، ويا مريم أعطيني كذا ويا لات اشفيني واقضي كيت وكيت لم يشرك ولم يجرم !! بل لو دعا فرعون وجندوه وجعلهم له وسائط - كما يفعل هؤلاء - لم يكن مخطئاً هذا ما يلزم هذا القول وهو خلاف قول المسلمين والعلماء عامة، وهذا - وإن كان الشيخ يستحله ويقوله - فلن يوافقه عليه إنسان ونحن نكتب لغيره؛ وقد سمعت بعض تلامذته يقول: جائز أن ندعوا اللات والعزى وسائر أصنام الجاهلية توسلًا بهم على شرط أن نعتقد أنهم وسائل بيننا وبين الله وأنهم ليسوا آلهة ولا أرباباً. وهل بعد هذا زيف ومرور من الدين؟

## البرهان الثاني

هم يزعمون أن الأموات يعطون ما يسألون!! فيدعونهم - بناء على ذلك الزعم - ويستدللون عليه بالظنون والأحلام. وبالأشعار والروايات المكذوبة أو الضعيفة، على عدول بها عن وجهها الواضح؛ والناس يخالفونهم في ذلك، ويستدللون بالمشاهدة والاستقراء، فإنهم يرون الشيخ وإنحواه ما زالوا ينادون الموتى وينزلون بأبوابهم حاجاتهم ما رأوه أجابوا لهم طلباً ولا قضوا لهم سؤلاً. والخصوم لا يناظرونهم في هذا، فإن نازعوا فليثبتوا ما يقولون وليدعوا من شاؤوا من الأولياء والصالحين وليسألوهم ما أرادوا من حاجة، فإن قصوها لهم الصادقون إلا فهم عكسهم؛ وهذا شيء واضح؛ هبوا أننا رأينا في البخاري حديثاً يقول: هذا الحجر أو هذه الشجرة تعطي ما نسأل، فهل نصدق هذا الحديث؟ إننا - لا شك - سوف نكتبه أو نزوله لمعانده المشاهدة والضرورة. القرآن قد أخبرنا أن كل شيء يسجد له ويسبحه ويدعوه، فلو قال لنا قائل: إن هذه الأشياء لا تصدر إلا من حي فالجمادات وسائر المخلوقات حية؛ والأشياء يسألون ويقضون ما يسألون، فأخذ يسألهم ويتسلل بهم، فهل نصوبه في هذا أو نصدقه؟ أم نجهله ونكذبه؟ فنقول هذا القائل واستنباطه من تلك الآيات كفعل أستاذنا الدجوي ولا فرق، هو أن حكماء هذا العصر أجمعوا على أن دواء معيناً يشفي من داء عينه، فتناول هذا الدواء كل من أصابه ذلك الداء قرورناً كثيرة فلم يشف منهم أحد؛ إلا نستيقن غلط الأطباء؟ إننا سوف نستيقنه، فكذلك قول هؤلاء: إن الأموات يقدرون على قضاء الحاجات خطأ لأن الناس دعوه قرورناً فلم يقضوا لهم حاجة، أليس كذلك يا مولانا الشيخ؟

## البرهان الثالث

القرآن مملوء - وكذا السنة - من النهي عن دعاء غير الله، والوعيد لمن دعا مخلوقاً، قال في سورة الجن: ﴿وَرَأَنَّ الْمَسْكِنَةَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١) وَأَنَّمَا لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكْتُفُونَ مَكْتُوبَ لِيَدِهِ ﴿فَلَمَّا أَذْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكْتُ بِهِ أَحَدًا﴾ (١)

(١) سورة الجن، الآيات: ٢٠ - ١٨.

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَذْعُوا رَبِّي﴾ بمعنیه لا أدعوا إلا ربّي: لا نبياً ولا ولباً، وقال في سورة فاطر: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ﴾ إن تدعوه هم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما أستجحابوا لكم يوم القيمة يكثرون يشريككم ولا ينتبه مثل خيره ﴿يَكْفُرُونَ بِشَرِيكِكُمْ﴾ بعد أن ذكر الدعاء ليبدل على أن دعاء غيره شرك وقال في السورة: ﴿فَلَمَّا أَرَيْتُمْ شُرَكَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونَى مَاذَا حَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَمْ يَرَوْا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ الآية وهذا نهاية الزرارة بمن دعا مخلوقاً، وقد علمت من الأنف أن المشركين لم يكونوا يرون لأصنامهم شركاً في السماء ولا غيرها؛ وقال في سورة سباء: ﴿فَلَمَّا أَذْعُوا الَّذِينَ زَعَمُوا فِي دُونِ اللَّهِ لَا يَسْتَكْنُونَ يَشْكُنُونَ ذَرَقَ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهَا مِنْ شُرُكَوْ وَمَا لَهُمْ بِهِمْ بِنَ ظَاهِرٍ﴾ رلا تتفق الشفاعة عند إله إلا لمن أذن له ﴿وَفِي الْأَحْقَافِ﴾ ﴿وَمَنْ أَنْسَلَ يَمْنَ يَدْعُوا يَمْنَ دُونَ أَهْلِهِ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَّا يَوْمَ الْيَقْيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِيهِمْ غَافِلُونَ﴾ فإذا خسر الناس كانوا لهم أئمه و كانوا يعياد بهم كفرين ﴿وَالنَّاسُ جَمِيعًا يَشْهَدُونَ - بِحَقِّ - أَنَّ الْأَمْوَاتَ لَا يَسْتَجِيبُونَ لِمَنْ دَعَاهُمْ، فَلَا أَصْلَ مِنْ دُعَاهُمْ بِصَرِيعِ الْآيَةِ﴾ وهذا الشيخ يقول: «لو فرضنا أن أحداً ظن من لا يستجيب مستجيباً فدعاه بناء على ظنه الخاطئ، لم يكن ضالاً ولا مجرماً بل يكون معدوراً كمن يدعوه مقعداً يظنه سليماً» والمقدد هو مثاله في هذه المسألة وقد كرره، وهو يظهر لا يذكر غيره، ومن ذا يحسن إلى الشيخ فيدلله على مثال أطرف من هذا وأحسن في الذوق؛ وأنا والله لم أرأسيج من هذا المثال، فلعل الشيخ يتركه، ولعل محسناً يرشده إلى أجمل منه؛ ومن يدرى؟ لعل في بيته مقعداً! وما أقطع قوله: ﴿وَكَانُوا يَعِادُونَهُمْ كُفَّارِ﴾ لقول هؤلاء المخالفين، فإن الآية لم يذكر في صدرها غير الدعاء، وقد ذكر في آخرها أنهم عبدوا غيره - أي بدعائهم، وفي سورة المؤمنون: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَّا هُوَ لَا يُرْهِنُ لَهُ يَوْمٌ فَلَئِنْمَا يَحْسَبُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّمَا لَا يُفْلِحُ الْكُفَّارُ﴾ أي فالداعي كافر ولا يفلح الكافرون، وكل من دعا مع الله إلهاً فلا برهان له به

(١) سورة فاطر، الآياتان: ١٣ - ١٤.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٠.

(٣) سورة سباء، الآياتان: ٢٢ - ٢٣.

(٤) سورة الأحقاف، الآياتان: ٦ - ٥.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

بلا ريب . وهؤلاء المشايخ لا يخالفون أن المسيح إله ، وأن اللات والعزى ومناء الثالثة الأخرى آلهة ، لأنهم معبدون ، وكل معبد فهو إله لدى عابده ، فإذاً من دعا أحد هؤلاء فقد وقع في الكفر الصريح بنص الآية ، وإذا كانت دعوة المسيح كفراً فدعوة غيره كذلك ولا جرم ؛ وخلائق بالقارئ أن يتذكر هذا جيداً ، وأن يقف عنده برهة ، وفي سورة الأنعام : ﴿ قُلْ أَنْدَعْرُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَمْهُلُنَا وَرَدَ عَلَّقْ أَعْقَلَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَنَا اللَّهُ كَالَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَبَرَانَ ﴾<sup>(١)</sup> وأيات هذا الباب فائمة الحصر ، وما نهى الله في كتابه العزيز عن شيء محرم مثل ما نهى عن دعاء غيره - على ما أحسب ، وقد أربناك من ذلك جملة . وقل أن توجد سورة من القرآن ليس فيها النهي عن دعاء غيره في مواضع ، ومثل هذا لا يصلح المنازعة في منعه بعد هذه الآيات الصريحة لولا الهوى ، فبماذا يعتذر عن هذه النصوص من ظل عمره يدعى المخلوقين ويرغب في دعائهم ! وياي شيء يحتاج إذ خالف هذه الآيات بين يدي الله ؟ وهي قاطعة كل منازعة وحججة . فمخالفونا يقولون - كما أريتك - إنها خاصة بالشركين الذين انقرضوا ، أي إن ز منها قد انقضى ولافائدة فيها الآن إلا تلاوتها فهذا اعتذارهم في مجلتهم عن الآيات ، وقد ذكرت لك سابقاً أن هذا القول ينطوي إلى جميع الأوامر والنواهي ، وأنه يمكن أن يقول قائل - كما قالوا - إن كل أمر ونهي في القرآن خاص بالذين عاصروا نزوله ؛ فلا يتوجه إلينا أمر ولا نهي وذكرت لك أيضاً أن علماء الأصول - بل جميع العلماء - يقولون : (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) وعرفتكم أن الله لم ينه الشركين عن دعوة غيره لأمر قام بهم ، بل لأمر قام بالدعاء نفسه ، فلا نجد لهؤلاء المخالفين عذرآ نقول لعله ينفعهم عند الله ، وهناك اعتذار ثان لهم قالوا : إن ظاهر الآيات يمنع دعوة الأحياء أيضاً وهذا لا يقول به أحد . ونحن نشهد الله وملائكته أن الأمر ليس كما قالوا ؛ وإنه لا يمكن أن يسمع إنسان الآيات النافية عن دعاء المخلوقين فيظن أنها تمنع دعاء الحي القادر مهما جمدت طبيعته وفسد مزاجه . فلو أنها قمنا أمام عوام به وقلنا لا تدعوا إلا الله وادعوا الله وحده . ولا أضل من يدعوه من لا يقدر على إيجابته لما فهموا أننا ننهاهم عن دعاء الأحياء القادرين على أن يجيبوا ؛ فكيف يعترض عالم على آيات الكتاب

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٧٦.

العزيز بأن ظاهرها الفساد والباطل، ويمكتنا أن نخاطب هؤلاء بلسانهم لأنه أدنى إلى الإقناع، فنقول لهم أما نهى القرآن عن دعاء غير الله؟ فهم قائلون ولا بد: بلـ. فنقول: ألستم مخاطبين بالقرآن فلا بد من: بلـ، فنقول ما لكم إذاً تدعون غيره؟ فإن ذكرـوا اعترافـهم بـدـعـوةـ الـأـحـيـاءـ، وـقـالـواـ لـوـ أـخـذـنـاـ الـظـواـهـرـ لـمـنـعـاـ دـعـوـةـ الـأـحـيـاءـ قـلـناـ: إـمـاـ أـنـ تـقـولـواـ: ظـاهـرـ الـقـرـآنـ النـهـيـ عـنـ دـعـوـةـ الـأـحـيـاءـ أـمـ تـقـولـواـ لـبـسـ كـذـكـ. فـإـنـ قـالـواـ: الثـانـيـ. فـقـدـ بـطـلـ الـاعـتـراـضـ، وـإـنـ قـالـواـ الـأـوـلـ قـلـناـ: الـأـشـكـالـ. إـنـ كـانـ صـحـيـحاـ. فـهـوـ وـارـدـ عـلـيـنـاـ وـعـلـيـكـمـ؛ وـالـجـوابـ حـيـثـيـ يـكـونـ مـشـرـكـاـ وـنـحـنـ عـلـىـ إـجـمـاعـ أـنـ دـعـوـةـ الـحـيـ جـائـزـ فـيـماـ يـقـدـرـ عـلـيـهـ؛ فـإـنـ وـفـقـهـمـ اللـهـ فـفـهـمـواـ هـذـاـ رـجـعـرـاـ عـنـ جـمـيعـ خـرـافـاتـهـمـ إـنـ لـمـ يـكـونـواـ مـعـانـدـيـنـ؛ وـتـجـرـيـزـ هـؤـلـاءـ دـعـوـةـ الـأـمـوـاتـ وـالـأـحـجـارـ وـالـأـشـجـارـ يـجـرـدـ الـأـيـاتـ الـمـذـكـورـةـ مـنـ أـنـ تـفـيدـ شـيـئـاـ بـلـ تـكـونـ عـلـىـ قـوـلـهـمـ - لـغـوـاـ، لـأـنـهـمـ جـوـزـواـ دـعـوـةـ كـلـ شـيـءـ، فـعـلـىـ مـاـذـاـ إـذـاـ تـدـلـ لـوـ تـدـبـرـواـ؟ـ وـهـنـالـكـ اـعـتـراـضـ لـهـمـ آخـرـ عـلـىـ الـأـيـاتـ، وـهـوـ: (لـوـ كـانـ الدـعـاءـ عـبـادـةـ لـمـ جـازـ أـنـ يـدـعـيـ الـأـحـيـاءـ؛ لـأـنـ الـعـبـادـةـ لـاـ تـكـونـ لـغـيرـ اللـهـ حـيـاـ كـانـ أـمـ مـيـتاـ)ـ وـقـدـ جـاـوـيـنـاـ الشـيـخـ عـنـ هـذـاـ الـاعـتـراـضـ فـيـ كـتـابـ الـبـرـوقـ مـنـ وـجـوهـهـ؛ وـمـنـ عـجـيبـ أـمـرـهـ أـنـهـ أـعـادـ هـذـاـ الـاعـتـراـضـ مـرـاتـ - كـانـاـ لـمـ نـنـقـضـهـ - لـبـسـاـ عـلـىـ الـعـامـةـ وـتـحـيـرـاـ فـيـ الـخـلاـصـ مـنـهـ، وـهـذـاـ شـائـهـ فـيـ كـلـ مـاـ كـتـبـ وـرـدـدـنـاـ عـلـيـهـ. وـلـكـنـ ذـلـكـ لـاـ يـمـنـعـ مـنـ أـنـ نـجـاـوـبـ هـذـهـ الشـبـهـ هـنـاـ فـنـقـولـ: إـنـ الـقـرـآنـ قـدـ أـخـبـرـ أـنـ يـعـقـوبـ وـأـوـلـادـهـ قـدـ سـجـدـواـ لـيـوسـفـ، وـأـنـ الـمـلـائـكـةـ سـجـدـرـاـ لـأـدـمـ؛ وـقـدـ اـعـتـرـفـ هـوـ بـأـنـ ذـلـكـ سـجـودـ حـقـيـقيـ، فـهـلـ يـقـولـ إـنـ السـجـودـ لـبـسـ عـبـادـةـ لـأـنـهـ جـعـلـ لـغـيرـ اللـهـ؛ فـمـنـ سـجـدـ لـغـيرـ اللـهـ لـمـ يـكـنـ عـابـداـ لـهـ وـلـاـ مـشـرـكـاـ بـالـلـهـ، هـوـ يـمـكـنـهـ أـنـ يـلـتـزـمـ هـذـاـ وـلـكـنـ ذـلـكـ لـاـ يـهـمـنـاـ، وـإـنـمـاـ يـهـمـنـاـ أـنـ نـحـمـيـ الـمـسـلـمـينـ مـنـهـ. وـلـنـ يـوـافـقـهـ عـلـىـ ذـلـكـ مـسـلـمـ إـنـ شـاءـ اللـهـ؛ وـكـذـلـكـ يـقـضـيـ بـالـأـ يـكـونـ التـعـظـيمـ، وـالـقـيـامـ فـيـ الـصـلـاـةـ، وـالـسـيـرـ لـلـحـجـ، وـالـطـاعـةـ وـالـرـغـبةـ وـالـرـهـبةـ وـالـحـبـ عـبـادـةـ؛ لـأـنـ ذـلـكـ كـلـهـ يـجـوزـ لـغـيرـ اللـهـ أـحـيـانـاـ.

وثـانـيـاـ: هـذـاـ الـاعـتـراـضـ يـقـضـيـ بـالـأـ يـكـونـ هـنـالـكـ دـعـاءـ حـرـامـ، لـجـواـزـ أـنـ يـدـعـيـ غـيرـ اللـهـ فـيـ بـعـضـ الـحـالـاتـ، فـلـاـ يـكـونـ دـعـاءـ الـلـاتـ وـالـعـزـىـ وـسـائـرـ الـأـصـنـامـ، وـلـاـ دـعـاءـ الـأـحـجـارـ وـالـأـشـجـارـ وـسـائـرـ الـجـمـادـاتـ حـرـاماـ، فـمـنـ اـسـتـغـاثـ بـالـكـنـائـسـ رـالـصـورـ وـالـتـمـاثـيلـ لـمـ يـكـنـ آتـيـاـ حـرـاماـ وـلـاـ شـرـكـاـ، وـنـحـنـ نـسـأـلـهـ هـنـاـ - بـصـرـاحـةـ: هـلـ

يجوز التوسل بهؤلاء واستغاثتهم والسجود لهم إذا ما اعتقاد الساجد أو المستغث أنهم مخلوقون؟ نرجو منه أن يجاوبنا على ذلك - صراحة؛ فقد عهdenاه في مثل هذا صريحاً.

وثالثاً: ومن يسوى دعوة الأحياء بدعوة الأموات، فدعوه الأموات يستتبعها الذل والخضوع، ولن يست كذلك دعوه الأحياء، وإن لزمهها شيء من ذلك فشيء ظاهر، ونفاق غالباً؛ وأما الخشوع اللازم للدعاء للأموات فظاهر وباطن بأكمل معانيه. وأفضل معانى العبادة هو الخضوع، بل هو أعظم مظاهرها، ونحن رأينا الموتى عبدوا باعتراف الشيخ ولكن الأحياء لم يعبدوا إلا أن يكونوا دجالين ضالين، فلا يسوى بين الأحياء والأموات إلا ضعيف التمييز.

ورابعاً: دعوه الأحياء من ضرورات الحياة لا يمكن منها، فلو أنها كانت في الأصل شركاً وحراماً لأباحتها الضرورة؛ ولعل الشيخ يعرف أن الضرورات تبيح الحرام بل تبيح الشرك، ولا أظن هؤلاء ينزعونا في أنه ليس ثم ضرورة تضطرنا إلى دعوه الأموات.

وخامساً: هذا يقضي بأن دعاء الله ليس عبادة له، وهو باطل بإجماع اللغويين والشرعيين؛ فإن من دعا الله فقد عبده؛ ولا خلاف.

وسادساً: قول هؤلاء كمن قال ليست دعوه الجمادات والحيوانات واستعانتها والتسلل بها حراماً ولا غلطأ، لأن الدعوه قد أجيزة، والحرام لا يجاز مطلقاً، هذا القول كقول هذا الشيخ، فإن صح صح وإلا فلا، وهو لا يصح عند أحد.

وسابعاً: هذا خارج عن قواعدهم؛ لأن العاكم عند الأشعرية - وهم منهم - هو الله، والعقل لا يحسن ولا يقبح!! فيجوز أن يجعل الله أحد الأمرين المتماثلين شركاً؛ والآخر إيماناً ولا شيء في ذلك لدى العقل!! أليس هكذا يا مولانا الشيخ؟ هذه سبعة أجوبة عن الشبهة.

## البرهان الرابع

معلوم من أوليات الدين أن الدعاء داخل في مادة (عبد) و (دان) وأن من

دعا الله فقد عبده ودان له؛ وفي الحديث الصحيح أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «الدعاء هو العبادة» وفي رواية: (الدعاء مخ العبادة)، وفي حديث آخر صحيح أن رسول الله عليه السلام قال: «الدعاء هو العبادة ثم ثلا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُوكُمْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَائِرِينَ﴾<sup>(١)</sup> ففسر عليه السلام العبادة بالدعاء، ولا أخال أحداً يمانع أن دعاء الله عبادة له، ومعلوم بعد ذلك من أوليات الدين أن العبادة كلها لله؛ وأن الدين كله لله، وأن صرف شيء منهما لغير الله مفارقة للإسلام، وهذا شيء لا يحتاج أن نذكر له قوله تعالى: ﴿وَقَنَطُلُوهُمْ حَقْنَ لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَحْكُمُونَ الَّذِينَ كَلَمْ بَلَوْهُ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿فَأَغْبَيْدُ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الَّذِينَ ﴿أَلَا يَلْوُ الَّذِينَ الْخَالِصُ﴾<sup>(٣)</sup> ولقوله: ﴿أَمَّرَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيمَانَ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ﴾<sup>(٤)</sup> وبعد هذين الأمرين لا يبقى شك في أن من دعا غير الله فقد عبده، ومن عبد غيره فهو من المشركين، ولا يقولن قائل: الدعاء إذا كان لله كان عبادة، وإن كان لمخلوق لم يكن عبادة، فإنه يقضي بـالـأـلا يكون السجود والركوع والصلوة والصيام والحج عبادة، إذا كانت لغير الله، فمن صرف هذه الأمور لمخلوق لم يكن عابداً له ولا مشركاً بالله، فما رأى مولانا في هذا البرهان.

### البرهان الخامس

هؤلاء يدعون الأموات بناء على أنهم يسمعون دعاءهم؛ ولكن القرآن أكذب ذلك في آيات كثيرة؛ قال في سورة الروم: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُشْبِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُشْبِعُ الصُّمَّ الْدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُذْرِينَ﴾<sup>(٥)</sup> وما أنت بهدوك العمي عن ضللائهم إن شبع إلا من يؤمن بنايتنا فهم مسلمون<sup>(٦)</sup> والأولياء يموتون، والقرآن مملوء من الدلائل على موتهم، والمخالفون يسلمون لنا ذلك. فإن قال لنا قائل: الموتى في الآية هم الكفار؛ فلنا هذا باطل بثلاثة أمور:

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

(٣) سورة الزمر، الآيات: ٢ - ٣.

(٤) سورة يرسوت، الآية: ٤٠.

(٥) سورة الروم، الآيات: ٥٢ - ٥٣.

**الأول:** قد ذكر في الآية الكفار. وذلك قوله: «وَمَا أَنْ يَهْدِي الْعُنْيَ عن حَلَالَتِهِمْ»<sup>(١)</sup> ولو كان الموتى في الآية هم الكافرون لكان في الآية تكرار.

**الثاني:** الشأن في لسان العرب أن الميت هو فاقد الحياة، ودلالته على فاقد الإيمان غير المطرد.

**الثالث:** روى البخاري وغيره عن عائشة أنها قالت - لما قيل: إن الميت يسمع - وهل القائل، فإن الله يقول: «إِنَّكَ لَا تُشْعِنُ الْمَوْتَى» فسرت عائشة الموتى بناقدي الحياة، ولم ينكر الصحابة عليها ذلك التفسير. ومن ذا يسمى على الصحابة في فهم كلام الله وما يراد منه؛ ولا سيما من الوجهة اللغوية، فإنهم هم أهل اللسان. ولو حملنا الموتى على الكفار لكان الآية دالة على ما نقول من وجه آخر. وذلك أن المعنى يكون حينئذ (فإنك يا محمد لا تسمع الكفرة كما لا تسمع الأموات؛ فالآيات والكفار سواء لا يسمعونك ولا يجيبونك إلى خير تدعوههم إليه) وعلى هذا تكون دلالة الآية على ما نريد أظهر. وقال في سورة فاطر «وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاةُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُشْعِنُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْ يُشْعِنَ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنَّ أَنَّتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿١﴾»<sup>(٢)</sup> والقول في الآية كالقول في الآية قبلها. وفي سورة الأعراف: «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَعْبُدُونَ أَنَّا لَكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَنْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُثُرُ صَدَقِينَ ﴿٢﴾ أَلَّهُمَّ ازْبَلْ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ يَنْبُرْ يَمْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ مَا ذَاتٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاهُمْ ثُمَّ كَيْدُونَ فَلَا يُنْظَرُونَ ﴿٣﴾»<sup>(٣)</sup> أي قد انقطعت أعمالهم، وبطلت وظائف أعضائهم، كما في صحيح مسلم أنه عليه السلام قال: «إِذَا ماتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَ: صَدَقَةً جَارِيَةً وَعِلْمًا يَنْتَفِعُ بِهِ وَوَلَدًا صَالِحًا يَدْعُو لَهُ» فكيف يؤمنون أن يقضوا حاجة وهم لا يقدرون على التحرك. فلا يستطيعون أن يمشوا ولا أن يبطشوا ولا أن يصرروا ولا أن يسمعوا «وَمَنْ أَمْهَلَ مِنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ أَهْلِهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ»<sup>(٤)</sup> والأية غاية في توبتهم وتجهيزهم وليت المخالفين يتذمرون قوله: «فَادْعُوهُمْ فَلَنْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُثُرُ صَدَقِينَ»<sup>(٥)</sup> فيعلمون أن من ظن الموتى يستجيبون ودعاهم ولم

(١) سورة الروم، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١٩٤ - ١٩٥.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٥.

(٤) سورة فاطر، الآيات: ٢٢ - ٢٣.

يستجيبوا له فليس بصادق، والأية مكذبة ظنه، ولا ندري أين يعزب هؤلاء عن القرآن وعن عقولهم ولا كيف يصرفون عنه؟ قوله: ﴿فَلَيَسْتَجِيبُوا لَحَكْمَنَا﴾ دال على أن المشركين كانوا يدعون أصنامهم حاسبين أنها تسمع دعاءهم. فأكذب الله ذلك الحسبان ببرهانين واضحين:

الأول: أنهم قد فقدوا حركاتهم وأعمالهم - من بطن ومشي ، فإذا فقدوا ذلك فكيف يدعون لقضاء حاجة؟

الثاني: المشاهدة. فهو يقول أنتم تزعمون أنهم يستجيبون لكم ولكنكم غالطون في ذلك، وإن ادعتم أنكم صادقون فادعوهم واسألوهم ما تشاورون، فإن أجابوكم فقد صدقتم وإلا فما أنتم صادقين؟ وهذا تحدي لهم وتعجيز؛ وكذلك نقول الآن لداعي السيدة والسيد: ادعوهם فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين، وأين هم من الاستجابة؟ الله يشهد أن الأمر واضح، وأن الهادي هو الله. لا يقولون قائل: إن الآية تعني الجمادات، لا الأولياء، فإنه يقال: كان المشركون يعبدون مع الله الأنبياء والصالحين والجماد، فرددت الآية على هذه المعبودات، غير مفرقة بينها، ولا خاصة معبوداً دون معبود، فحق التعميم. قوله: ﴿وَأَنَّا لَكُمْ﴾ - وكذا الضمائر المذكورة في الآية والاسم الموصول - صرائع في إرادة العقلاء، وأيضاً لو كانت تعني الجمادات لافتصرت على أن تقول: (ألهم أرجل أم لهم أيد أم لهم أعين أم لهم آذان) ولم تذكر ما بعده لأن ذلك أبلغ في الرد والتوبیخ. قوله: ﴿فَلَمَّا آذَعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ برهان على أن من دعا غير الله يظنه قادرًا من الموتى وهو عاجز - ولا بد - يكون مشركاً برب العالمين، فهل يتذكر ذلك سيدنا الشيخ صاحب المقعد، أو مثال المقعد؟! وقال في سورة فاطر: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِنِي مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْعَيْرٍ﴾<sup>(١)</sup> إن تدعوه لا يسمعوا دعاءك ولو سمعوا ما استجحابوا لك يوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينتبه مثل خير<sup>(٢)</sup> ما اقطع الآية لقول هؤلاء المفترين، أنبأت (أولاً) أن الموتى لا يملكون شيئاً مطلقاً، لأن أموالهم بعد موتهم تقسم؛ ثم أخبرت أنهم سلبوا حواسهم، ثم أخبرت أنهم لا يقدرون على شيء فلا يستطيعون إجابة أحد، ثم أخبرت إنهم يوم يحييهم الله

ويجمعهم وعابديهم يتبرأون من عابديهم، ثم أخبرت أن داعيهم مشركون. حقاً إن القرآن صالح لكل زمان ومكان. المتسللون يدعون الصالحين؛ ويذعنون أنهم يرضون ذلك منهم، فيشفعون لهم عند الله؛ ويدافعون عنهم فاكذبهم الله، وقال **﴿وَيَوْمَ الْقِيَمةَ يَكُفُّرُونَ بِشَرِيكِكُمْ﴾** وفي الآية الأخرى: **﴿فَوَمَا تَبَرَّا الَّذِينَ أَتَيْمُوا إِنَّ الَّذِينَ أَتَيْمُوا﴾**<sup>(١)</sup> فain ذهب هؤلاء عن عقولهم وعن كتاب ربهم؛ اللهم دلهم على صوابهم. هذه الآيات بعض ما في القرآن من الدلائل على أن الأموات منقطعو الأعمال فاقدو الحواس، والستة مملوقة من ذلك، والروابط عن العلماء كثيرة، والضرورة المشاهدة بعد ذلك، وما كنا نحسب أن يصل الخلاف إلى هذا وما ظننا أن مجلة الأزهر تكتب بصراحة: تقول: إن الأموات كالاحياء، ولا فرق، بل الأموات أوفر قدرة وأوسع تصرفًا. ومن زعم أن للأموات ذلك، أو زعم أنه لا مانع منه فله أن يزعم مثله في الجمادات. فيزعم مثلاً أن الحجر والشجر والأرض والسماء تسمع الداعين؛ وتجيب الطالبين؛ ولا يوجد هؤلاء بين الزعيمين فرقاً. وقد قلنا لهذا الشيخ في كتاب البروق: أنت تزعم أن الأموات يعملون ويعطون ما يسألون استدلاً بما جاء أن الأعمال تعرض عليهم وأنهم يردون السلام وأن الملائكة تتحننهم في قبورهم، وأنهم يشعرون بالآلام القبر ونعيمه؛ فلك أن تستدل على فهم الأرض والسماء والجمادات وحياتها. وصحة الترسن بها بقوله تعالى: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبْتَدَتْ أَنْ يَخْيِلُنَّا وَأَشْفَقَنَّا مِنْهَا﴾**<sup>(٢)</sup> وقوله: **﴿فَمَمْ أَنْسَوْتَ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ أَنِّي مُؤْمِنًا أَوْ كُفُّرًا فَأَنْتَ أَنْتَ مَطَّافِعُنَّ﴾**<sup>(٣)</sup> وقوله: **﴿وَلَمَّا تَرَى شَفَعًا إِلَّا يُسْبِحُ بِهِمْ وَلَكِنْ لَا تَفْهَمُنَّ تَسْبِيحَهُمْ﴾**<sup>(٤)</sup> وبإخباره عن سجود كل شيء له، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله عليه السلام قال: (إنما لا يُعرف حجراً في مكة كان يسلم عليه) رواه مسلم؛ وفي البخاري وغيره أن الجذع الذي كان يخطب عليه عليه السلام حتى ضمه عليه السلام وأسكنه، وكذا في البخاري أنه قال عليه السلام لجبل أحد

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٣) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

لما اضطرب (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) وقال في أحد (إنه جبل يحبنا ونحبه) والروايات في الباب كثيرة، نعم قلنا له: هناك استدل بهذه النصوص على حياة الجمادات، وجواز التوسل بها والدعاء لها، فلم يجب على قولنا هذا، ولم يذكره بمدح ولا قدح. ولا ندري هل يمشي على نسق مطرد فيجوز الوسيلة بكل شيء، أم يتناقض فيخصص الأموات بها؟! ونحن نسأل - ملحين ملحفين - أن يجاوبنا على هذا، ولا يجد أبداً فرقاً بين دعوة الأموات ودعوه الكواكب والأفلاك والشمس والقمر فهل يجوزه بها؟ وقد ألف منذ أيام كتاب زعم مؤلفه أن للأرض وغيرها من الأفلاك آلهة، لكل فلك إله يخصه ولكتها آلهة مخلوقة كلها الله. ولعل صاحب هذا الكتاب استقى من شرب مولانا الدجوسي، فإني لا أجد فرقاً بين القولين إلا بالاسماء. ثم قول صاحب الكتاب لا شيء فيه على رأي الشيخ؛ لأن الشيخ لا يخاف إلا من اعتقاد الريبوية في غير الله، وصاحب الكتاب يرى الله سبحانه هو رب المالك لكل شيء، فما رأى الشيخ في ذلك. وإذا علمت أن الأموات لا يجيرون ولا يسمعون فاسمع ما يقول الله فيمن يدعوه غير مستجيب **﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَتَبَعِّبُ لَهُ إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ مَنْ دُعَاهُمْ غَيْرُهُمْ ﴾** ① **﴿وَإِذَا حَسِرَ النَّاسُ كَثُرًا لَمْ يَمْأُدُهُمْ وَكَثُرُوا بِيَمَادِيَّهُمْ كُفَّارٍ﴾** ②) ولا رب أن أضل الناس يكون أشدهم عذاباً. وقال في سورة يونس: **﴿وَلَا تَنْدُغْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا قِنَّ الظَّالِمِينَ ﴾** ③) وفي سورة الأنعام: **﴿قُلْ أَنْدَعُوا مِنْ دُونِنِّي مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَعْرِثُنَا وَنَرِدُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَنَا اللَّهُ كَذَلِّي أَسْتَهْوِنُهُ السَّيِّطِلِيُّنُ فِي الْأَرْضِ حَرَكَنَ لَهُ أَسْبَحْتُ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَئْتَنَا قُلْ إِنَّكَ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَإِنَّنَا لِلْسَّلِيمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** ④) وليس في وسع الناطقين أن يأتوا بعبارة وعيد لمن دعا مخلوقاً - لا ينفعه - مثل هذه الآية، فقد بالغت في الإيصاد، وعظمت الجريمة أي تعظيم. وعلى رغم ذلك كله يقول مولانا الشيخ الدجوسي: «من ظن عاجزاً قادرًا فدعاه لم يكن مجرماً ولا آثماً؛ بل يكون كمن دعا مقعداً» اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت.

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٦.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

## البرهان السادس

قد نهى القرآن كثيراً عن اتخاذ الأولياء، وبالغ في الزراية بمن فعل ذلك، قال في سورة الأعراف: ﴿أَتَيْمُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ إِنْ رَيْكُرُ وَلَا تَنْتَهُوا مِنْ دُونِهِ أَفَلَيْهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup> وفي سورة العنكبوت: ﴿مِثْلُ الَّذِينَ أَخْدُوا مِنْ دُونِهِ اللَّهُ أَوْلَى كَمَشْلِ الْعَنْكَبُونَ أَخْدَتْ يَتَّمًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبَيْوَنَ لَيْسَ الْعَنْكَبُونَ لَوْ حَكَّا ثُمَّ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وهذه الآية عجيبة في الرد على الالاجئين إلى الأولياء. وعجب أن ينخدل من كتاب منه هذه الآية الشبهات على دعوة الصالحين! وعجب أن يقرأها مؤمن بالله وبكتابه ثم ينادي الأولياء ويستغيث!! وعجب أن تكون هذه الآية في كتاب الله ثم يقبل مسلم ناصح لنفسه قول هؤلاء الامرين باتخاذ الأولياء؛ الحاضرين على دعائهم والاستنجاد بهم، ما أفصح كلام الله وما أبلغه وما أظهر حجته! وما أقطعه للمعاذير! بمثل هذه الآيات كان أبو بكر الصديق عليه راحواه من خيار الصحابة يخافون على أنفسهم الشرك؛ والواقع فيه، من حيث لا يشعرون لا كما يؤمن هؤلاء المخالفون على كل من قال لا إله إلا الله بلسانه من الفلاحين والعمالين الذين لا يعرفون من كلمة لا إله إلا الله إلا النطق بها! وفي سورة الانعام: ﴿قُلْ أَفَبِرَبِّكُمْ أَتَيْدُ وَلِيَا فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يَطْعَمُهُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنَّهُ أَمِيرُ أَنْ أَحْكُمُ أَوْلَى مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونُتْ يَنِّ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١﴾<sup>(٣)</sup> قوله أيها المسلمين لهؤلاء غير الله نتخد ولينا فاطر السموات والأرض. قولوا لهم ذلك ولا تكونوا مغرورين، فإن الأمر جلل، وإن حجة الله واضحة، وإن المعاذير لديه باطلة، وهذا كتاب الله ينطق عليكم بالحق، فهل أنتم متبعوه؟

## البرهان السابع

لا خلاف بين العرب أن أصل معنى العبادة هو الذل والتمسك والطاعة قال ابن جرير في تفسير ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ «وتاويل قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لك اللهم تخشع ونذل ونستكين، لأن العبودية - عند جميع العرب - أصلها الذلة، وإنها

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

تسمى الطريق المذلل؛ الذي وطنته الأقدام وذلته السابقة معبداً، ومن ذلك قول طرفة :

تباري هناتاً ناجيات وأنبعت وظيفاً وظيفاً فسوق سور مبد  
يعنى بالمور الطريق؛ وبالعبد المذل الموهود، ومن ذلك قيل للبعير المذلل بالركوب في الحوانج معبد، سمي العبد عبداً لذاته لمولاً؛ والشاهد من أشعار العرب وكلامهم على ذلك أكثر من أن تحصي» قال الراغب في غريب القرآن «العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله» ثم قال: «والثالث عبد بالخدمة والناس في هذا ضربان عبد الله مخلصاً، وهو المقصود بقوله: ﴿وَإِذْ كُرْتَ عَبْدَنَا أَئْوَبَ﴾<sup>(١)</sup> عبد للدنيا وأغراضها، وهو المعنكف على خدمتها ومرعاها، وإيماء قصد النبي ﷺ بقوله: «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار» وعلى هذا يصح أن يقال ليس كل إنسان عبداً لله» ثم قال: «ويقال طريق معبد أي مذلل بالوطء ويعبر معبد أي مذلل بالقطران وعبدت فلاناً إذا ذلتة وإذا اتخذته عبداً قال أن عبدت بنى إسرائيل» ومثل ما قال ابن جرير والراغب قال جميع المفسرين واللغويين، وعلى هذا فأكثر هؤلاء هم عباد للماهيات والوظائف، لأنهم لا يخدمون إلا إيماناً؛ ولا يراعون غيرها، فيها ينطقون، ولها يصمتون فهم عباد الدنيا بشهادة حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ وبشهادة الراغب وشهادة كل لغو؛ فإذا كان أن العبادة تدور على الدل والخشوع، فلا شك أن دعوة الأولياء الميتين منطقية على أكمل الذل والاستكانة، فهو لا المتسلون بالبدوي والسيد الحسين، وغيرهم يهبونهم من التعظيم والإكبار ما لا يسمحون ببعضه الله في عباداتهم وصلواتهم، فهم لا يجرأون أن يرفعوا طرفهم أمامهم إجلالاً لهم، ولا يعصون ولا يكتبون، ويقفون أمامهم - باكين متمسكين ملحفين بالدعوة، صادقين في النية، وهذا لا يقع منهم بين يدي الله؛ أليس هكذا يا مولانا الشيخ؟ وتراهم يقسمون بالله الإيمان المغلقة فاجرين، ولا يستطيعون أن يقسموا بأحد هؤلاء الأولياء كاذبين. فإذاً من دعا إلى التوسل فقد دعا إلى عبادة غير الله وإنطاكه حق الله، أليس كذلك أيها الهمام الفاضل؟

## البرهان الثامن

علينا أن ننظر هل هنالك فرق بين عبادة المشركين أصنامهم . وبين توصل هؤلاء بالأموات الصالحين ، فإن وجدنا التوصل هو ما كان يصنعه المشركون ، أو وجدناه سبياً إليه ، فلا معنى للنزاع في متنه ، قال ابن هشام في سيرته المشهورة تحت عنوان : (قصة عمرو بن لحي ، وذكر أصنام العرب) : «حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام فلما قدم مأب من أرض البلقاء رأى بها قوماً يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأصنام التي تعبدون؟ قالوا هذه أصنام نعبد لها فنستمطرها فتمطرنا ؛ ونستنصرها فتنصرنا ؛ قال أفلأ تعطونني صنماً فأسir به إلى أرض العرب فيعبدونه ؛ فأعطوه صنماً يقال له : «هبل» ، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه ؛ قال ابن إسحاق : ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يضعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم ، والتمسوا الفسح في البلاد إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم ؛ فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطواوهم بالکعبه ، حتى سلخ بهم ذلك إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة ؛ حتى خلفت الخلوف ، ونسوا ما كانوا عليه ؛ واستبدلوا بدین إبراهيم وإسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم ، من الضلالات ، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها : من تعظيم البيت والبطواف ؛ والحج ؛ والعمرة ، والوقوف على عرفة ؛ والمزدلفة ، وهدي البدن ؛ والإهلال بالحج والعمرة ؛ مع إدخالهم فيه ما ليس منه ، فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملكك» فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملوكها بيده ، يقول الله : ﴿وَوَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِإِلَهٖ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُون﴾ أي ما يوحدونني لمعرفة حقي ، إلا جعلوا معي شريكاً من خلقي ، وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها ، قص الله خبرهم : ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرْنَا [الْهَتَّاكُمْ]﴾<sup>(١)</sup> الآية ، فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم وسموا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل ، قال ابن إسحاق راتخذ بطن من همدان يعوق في أرض اليمن ؛ وقال أحدهم فيه :

(١) سورة نوح ، الآية : ٢٣.

يريش الله فسي الدفينا وبرى ولا يبرى يسحوق ولا يرى  
 ثم قال ابن إسحاق واتخذ أهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد  
 الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى  
 سفره. وإذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله،  
 فلما بعث الله رسوله بالتوحيد قالت قريش: ﴿أَجْعَلَ الْآلِمَةَ إِلَّا لَهَا وَجِدَّا إِنَّ هَذَا لَكُنُونٌ عَجَابٌ﴾<sup>(١)</sup> وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم  
 الكعبة، لها سدنة وحجاب، وتهدي إليها كما تهدي إلى الكعبة؛ وتتغافل بها كتطوافها  
 بها، وتشعر عندها؛ وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها تعرف أنها بيت إبراهيم  
 ومسجده، وكانت لقريش وبني كنانة (العزى) وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان،  
 واللات لثقيف، وكانت سدنتها وحجابها بني معتب من ثقيف، وكانت مناة للأوس  
 والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل الشرب، فبعث رسول الله ﷺ إليها من هدمها.  
 وكان ذو الخلصة لدومن، قتل رجل من العرب، فأراد ابنه الطلب بشارة، فأتى ذا  
 الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام، فخرج السهم بنبيه عن ذلك فقال:

لو كنت بما ذا الخلص الموردا مثلـي وكان شيفـك المـفـبـورـا  
 لم تـنـهـ عن قـتـلـ العـدـاةـ زـورـا

فبعث إليه رسول الله فهدم، وكان لخولان صنم يقسمون له من أنعامهم  
 وحرثتهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم، مما دخل في حق صنهم من حق الله  
 الذي سموه له تركوه، وما دخل في حق الله من حق صنهم ردوه عليه، وفيهم  
 أنزل الله: ﴿وَرَجَمُلُوا لَهُ مِئَةً ذرَّا مِنَ الْحَرْثَ وَالْأَشْكَمَ نَصِيبَـا﴾<sup>(٢)</sup> الآية وقال  
 أيضاً ابن هشام (في غزوة حنين) (عن أبي واقد الليثي أن الحارث بن مالك قال:  
 خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديث عهد بالجاهلية، فسرنا معه وكانت  
 لكفار قريش وغيرهم من العرب شجرة عظيمة؛ يقال لها ذات أنواط؛ يأتونها كل  
 سنة فيعلقون أسلحتهم عليها؛ ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً، فرأينا ونحن  
 نسير مع رسول الله شجرة؛ فقلنا يا رسول الله أجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات  
 أنواط فقال: «قلتم والذى نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا

(١) سورة ص، الآية: ٥.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٦.

إِنَّهَا كَمَا لَمْنَا إِلَهٌ لَّهُمْ<sup>(١)</sup> وَقَالَ أَيْضًا تَحْتَ عَنْوَانَ (مَسِيرَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لِيَهْدِمُ الْعَزِيزِ): «ثُمَّ بَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدَ لِلْعَزِيزِ»؛ وَكَانَتْ بَيْتًا يَعْظِمُهُ هَذَا الْعَيْرَى مِنْ قَرِيشٍ وَكَنَانَةً وَمَضْرَرًا؛ وَكَانَتْ سَدِّنَتْهَا وَحْجَابَهَا بْنَيْ شَبَيْبَانَ، فَلَمَّا سَمِعْ صَاحِبَهَا بِمَسِيرِ خَالِدٍ عَلَقَ عَلَيْهَا سَيْفَهُ وَتَشَحَّى عَنْهَا وَهُوَ يَقُولُ:

أَبَا عَزِيزِ شَدِيِّ شَدَّةِ لَا شَوِيْ لَهَا  
أَبَا عَزِيزِ إِنْ لَمْ تَقْتَلِ السَّمْرَءَ خَالِدًا  
فَبِسُوْنِي بِهِائِمَ عَاجِلَ وَتَنْصُرِي  
فَهَدَمَهَا خَالِدٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

هَذَا بَعْضُ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ هَشَامَ فِي سِيرَتِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْمُشْرِكِينَ لِأَصْنَامِهِمْ؛ وَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى أَشْيَاءَ: الطَّوَافُ بِهَا، وَالتَّمَسُّخُ، وَاللَّبَعُ عَنْهَا، وَتَعْظِيمُهَا؛ وَالْعَكْوفُ عَلَيْهَا، وَإِرْصَادُ الْحِجَابِ وَالسَّدَّنَةِ لِدِيهَا؛ وَتَقْرِيبُ الْقَرَابِينَ إِلَيْهَا، وَقَسْمَةُ مَا ذَرَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، وَشَدُ الرَّحَالِ إِلَيْهَا؛ وَالْغَضْبُ لَهَا، وَالتَّعْظِيمُ. وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ قَدْ اشْتَمَلَتْ التَّوْسِلَ عَلَيْهَا كُلُّهَا. فَإِنَّ الْمُتَوَسِّلِينَ يَطْوِفُونَ بِالْقُبُورِ؛ وَيَعْكِفُونَ عَلَيْهَا، وَيَسْافِرُونَ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، وَيَعْظُمُونَهَا؛ وَبَيْنُونَ فَوْقَهَا، وَيَرْصُدُونَ لَهَا الْحِجَابَ وَالسَّدَّنَةَ، وَيَقْسِمُونَ لَهَا مَا خَلَقَ اللَّهُ، وَيَكْبِرُونَهَا غَايَةَ الإِكْبَارِ، وَيَسْتَقْبِلُونَهَا؛ وَيَلْبِحُونَ لِدِيهَا الْجِوَامِيسُ وَالْبَقَرُ؛ وَيَقْسِمُونَ بَيْهَا، وَيَسْتَقْبِلُونَهَا فِي صَلَواتِهِمْ وَعَبَادَاتِهِمْ. كُلُّ ذَلِكَ وَاقِعٌ مُشَهُودٌ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ قَالُوا «نَّا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَجَ»<sup>(٣)</sup> «وَيَقُولُونَ هَكُلَّاهُ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ»<sup>(٤)</sup> كَمَا يَقُولُ الْمُتَوَسِّلُونَ سَوَاءً، ثُمَّ انْظُرْ إِلَى كَلَامِ ابْنِ هَشَامَ فِي عِقِيدَةِ الْمُشْرِكِينَ وَإِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَاعْتِرَافِهِمْ بِتَوْحِيدِهِ تَوْحِيدِ الرَّبُوبِيَّةِ، وَإِيمَانِهِمْ أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ انْظُرْ إِلَى قَوْلِ الشَّيْخِ الدَّجْوِيِّ فِي مَجَلَّةِ الْأَزْهَرِ «إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ غَيْرُ ابْنِ تِيمِيَّةِ وَابْنِ عَبْدِ الرَّحَمَنِ: إِنَّ الْمُشْرِكِينَ مُوَحِّدُونَ اللَّهُ تَوْحِيدُ الرَّبُوبِيَّةِ» ثُمَّ اسْأَلِ اللَّهَ السَّلَامَةَ.

فَإِذَا بَانَ أَنَّهُ لَا تَرْقَ بَيْنَ التَّوْسِلَ، وَبَيْنَ عِبَادَةِ الْمُشْرِكِينَ أَصْنَامِهِمْ إِلَّا فِي تَسْعِيَتِهِ، فَلَا مَعْنَى لِلنِّزَاعِ فِي تَحْرِيمِ التَّوْسِلِ، وَالْحَالُقَهُ بِعِقِيدَةِ الْمُشْرِكِينَ، فَإِنَّ الْحُكْمَ لِلْمَعْنَى لَا لِلْأَلْفَاظِ.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٨.

## البرهان التاسع

لا بد أن يكون للعبادة التي طالب الله بها عباده معنى غير أن يؤمنوا أنه خالق كل شيء، فإن ذلك ليس هو معنى العبادة بلا خلاف بين أهل اللغة والشرع، وهذا القدر لا يكفي أن يكون المroe عابداً الله؛ فإن من آمن بأن الله خالق العالمين ولم يزد على ذلك لم يكن مسلماً؛ وما مثل ذلك إلا كمملوك علم أن مالكه هو القائم بأمره. الراهب له جميع النعم البدنية والروحية، ثم هو مع ذلك يعظم عباده مالكه ويستغفِّر لهم، ويخشى لهم ويسألهُم تلك النعم التي لا يقدر عليها إلا مالكه، ولا يهبهها له إلا مالكه! إلا يستحق ذلك العبد الطرد والحرمان والعذاب، هذا مثل التوحيد الذي تدعو إليه نور الإسلام. وهذا مثل المسلمين الموحدين على فهم الفيلسوف الدجوي ولا خلاف بين أهل القبلة من أن لم يزد على إيمانه بأن الله الخالق لم يكن مسلماً، فإذاً لا بد أن تكون العبادة غير ذلك. فترجع إلى لسان الشرع؛ وإلى كلام أهل اللسان، فنجد أن العبادة هي اسم جامع للتعظيم والتذلل والانقياد؛ وما ينبع عن ذلك من قريب أو بعيد، وقد أمر الدين إلا يخاف ولا يرجى ولا يدعى ولا يستعان ولا يعظم إلا الله، والنصوص على ذلك متظاهرة؛ وقد أحل لغير الله من ذلك جزء قليل لأجل الضرورة وبقدارها، والأصل في ذلك كله أن يكون الله، وألا يجعل شيء منه لغيره. إذاً فالعبادة أن نخص الله بتعظيمنا، ودعائنا، وخوفنا ورجائنا، وطاعتنا، وخشوونا؛ وكل ما يضمن الذلة والمسكنة. وألا يجعل شيئاً من ذلك لغير الله إلا بمقدار الحاجة بلا تجاوز لها، ولا شك أن أولئك المتصوّلين قد جاؤوا بذلك الحد وفارقوه، وأنهم منحروا الأولياء أكثر ذلك وأشرفه؛ وذلك لازم لدعوة الموتى كما كان بلا تخلف، ولبيت هؤلاء يحسنون إلى أنفسهم، وإلى فرائهم فيقرأون ما كتب اللغويون والشرعيون في حروف العبادة، فيعلمون أن ذلك التوسل الذي يعاملون عنه هو خلاصة العبادة التي ساد أولئك الذين خصوا الله بها. إننا إذا قرأتنا ما أمامنا من معاجم اللغة وكتب الأدب العربي، وجدنا العبادة؛ وما تصرف من حروفها يدور على ما ذكرنا. وهذا أمر من ضروريات اللغة التي يحسب المخالف فيها من المكابر أو الجاهلين، ولا ريب أن نصوص الدين متضادة الأوامر بـألا يعبد إلا الله، وأن من عبد مخلوقاً فهو من المشركين. ولا ريب بعد ذلك أن عند

المتوسلين قسماً كبيراً من تاليه الأولياء؛ وإن لم يسموه باسمه العربي فهم إنما نازعوا في الأسماء، ولن يست العبرة بها، بل الشأن للحقائق.

### البرهان العاشر

الناس يعلمون جميعاً أن الصحابة والتابعين وأئمة الهدى ومن بعدهم اتقى الله، وأحرص على الطاعات؛ واعلم بما يحسن وما يتبع من هؤلاء المخالفين؛ ويعلمون مع ذلك أن التوسل الذي يريد هؤلاء - من توسل الصبيان والعوام والنسوة العجاهلات - لم يكن في عصر الصحابة، ولا عصر التابعين، ولا عصر الأئمة الأربع، ولا عصر من بعدهم من فضلاء الأمة وعلمائها، بل يعلمون ذلك بالضرورة والتواتر - كما يعلمون أن الزنى والخمر واللواظ والربا والفواحش لم تكن مباحة في عصر أولئك الأخيار كما هي مباحة اليوم، وهؤلاء المشايخ لا ينazuوننا في إحدى المقلمتين، ونحن نطلب إليهم ونسألهem - معلتين - أن يأتوا بدليل صحيح أو ضعيف أن أبا بكر الصديق، أو عمر أو غيرهما من الصحابة، أو الزهري أو الحسن البصري أو مجاهداً أو أحداً غيرهم من التابعين أو الإمام مالكاً أو الشافعي أو أحمد أو أبا حنيفة أو غيرهم من علماء الدين، أو البخاري أو مسلماً أو من يشاورون من المحدثين: - سأله ميتاً: نبياً أو ولياً شفاءه أو إزالة كربته أو حاجة من حوانجه، أو قبل عتبة، أو ضم ضريحها على صدره، أو سافر من بلد إلى بلد من أجل زيارة ولية، كما يفعل المتسللون المعاصرون، أو نذر لميت عجلأً أو جاموساً، إن هؤلاء لا يقدرون أن يروا لنا في ذلك سندًا، فلينتهوا، وإن أهل الحق من ورائهم؛ نحن لا نعقل أبداً أن يكون ذلك التوسل نافعاً في الدين، أو الدنيا فتجمع القرون الإسلامية الأولى ومن تبعهم من الأئمة على تركه، الله يشهد أن ذلك لا يعقل، وأن من عقله أو رضيه فقد قدح في خيار الأمة، وأزرى بصحابة رسول الله أي إزراء.

### البرهان الحادي عشر

إن التوسل الحالي قد اشتمل على أشياء محرمة بالإجماع؛ وما اشتمل على محرم فهو محرم بلا نزاع؛ فهو لاء المدافعون عن التوسل يأكلون أموال الفقراء؛

ويجمعونها من جيوبهم على حساب التوسل، وحساب المشايخ، وهذا حرام وظلم، فكم يدفع هؤلاء الفلاحون كل عام لصندوق البدوي، وقد حذر في بعض السنين فجاء تسعين ألف جنيه؛ فقال في ذلك حافظ الأبيات السالفة، وكذا لصندوق الإمام الشافعي والإمام الحسين وغيرهم، ومن يتمتع بهذه الأموال غير الأغنياء الدجالين، واللصوص على حساب الدين؛ وهم من شر اللصوص وما أحسن أن يوضع لمثل هؤلاء عقاب يردع أمثالهم عن نهب أموال الفقراء بذلك الجيلة وقد كان علماء الأمم الماضية يحذرون - كما يحذل هؤلاء؛ فقال القرآن محدراً ما صنعوا: ﴿يَتَائِبُهَا الَّذِينَ مَا سَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرَّهَبَانَ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> وكذا اشتمل هذا التوسل على البناء فرق القبور؛ وإسراجها؛ ووضع الشموع فيها، وهذا إسراف محظ بالجماع، والأحاديث النافية عنه كثيرة، وكذا اشتمل على التوجه إلى المقربين في الصلاة وفي العبادة، وعلى التمسح بالأحجار وتقبيتها، ولا خلاف بين الأئمة في أن ذلك من إرث المشركين النابي عن الذوق الصحيح؛ وكذا اشتمل على العهر والفسق: يختلط الرجال النساء وبالغلمان، ويترتب على ذلك طلاقهن، أو منازعهن لأزواجهن، وكم في ضمن ذلك من المصائب الدنيوية والدينية، ونحن نعرف كثيرين طلقوا نساءهم لكثره تعلقهن بالمقامات، وذهابهن إليها، وذلك كله منكر. وكذا اشتمل على اجتياز البلاد وتجشم الأسفار من البلاد بعيدة، لأجل الزيارة - كما يقولون، فالفلاحون يسافرون لزيارة الأولياء من بلادهم، وينفقون ثروت عيالهم في سفرهم، ويدعون من يغولون يتضاغون جوعاً؛ وكثير منهم يفترض أجرة القطار إلى البدوي وغيره ويتهتم لذلك أكثر من اهتمامه لحج بيت الله الحرام، الذي لا يتم الإسلام إلا به وهو لاء يحثونهم على السفر إلى الأولياء، ولا يشيرون عليهم أن يحجوا ولا ينهونهم إلى ذلك؛ وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجد المدينة» وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز السفر لزيارة الأولياء من وجهين: الأول: - من لفظه، فإنه يدل أنه لا يجوز السفر إلى بقعة ما، إلا إلى البقع المذكورة، والثاني: - من معناه، فإنه إذا منع

السفر إلى المساجد - خلا المساجد المذكورة - دل على منع السفر إلى القبور، ولا يتوقف عاقل - ترك الهرى - أنه إذا امتنع السفر لأجل الصلاة في بيوت الله امتنع السفر لزيارة قبر، فإن المساجد - لا شك - أفضى من القبور: قبور الأنبياء وغيرهم. وهنالك دليل آخر غير هذا الحديث، وهو إجماع السلف الصالح على ترك ذلك، فلم يؤثر عن أحد منهم أنه سافر إلى زيارة ولِي ولا نَبِي، فإن نازعنا مجلة الأزهر فعليها الإثبات. فإذا جماع السلف على ترك ذلك - وهم المتقوّن المحرزون كل خير - برهان قاطع على أن ذلك ليس هدى ولا ديناً. بل هو من أعمال الأمم الغابرة التي تغلو في صالحها وعيادها، فالت مجلة الأزهر (المجلد الرابع الجزء الثالث صفحة ١٧٧) بتتوقيع الشیخ الدجوي: «إن ابن تيمية منع من شد الرحال لزيارة قبر الرسول ﷺ وجعل السفر للزيارة سفر معصية لا يصح فيه قصر الصلاة، خارقاً بذلك إجماع المسلمين»، غير مستحب من سيد المرسلين. ودليله الذي استند إليه واستتبّط منه ما لم يستتبّطه أحد من الأوّلين والآخرين، هو منه <sup>كتاب</sup> من شد الرحال إلا لأحد المساجد الثلاثة، ففهم من ذلك النهي أن الرحال لا تشد للزيارة - بناء على خيال قام برأسه أن القصر حقيقي لا إضافي. ولو كان كما فهم ذلك المجتهد الكبير، لكان شد الرحال لصلة الرحم، أو لزيارة الإخوان، أو التجارة، أو غير ذلك محرماً. فإذاً تقدّم مصالح العالم. وتتعطل أمور الدين والدنيا، ولو تبصر قليلاً لعلم ما أراد <sup>كتاب</sup> من أن المساجد متساوية في الفضل، فكلها سواء إلا هذه المساجد الثلاثة، فإن الأصل أن الشيء يستثنى من جنسه القريب فإذا قلنا: ما مات إلا زيد كان معناه ما مات إنسان إلا زيد، وليس معناه ما مات حيوان إلا زيد؛ ومن فهم ذلك كان من الحيوان لا من الإنسان، على أننا لو جعلنا القصر حقيقياً لفسدت أمور العالم <sup>كتاب</sup> والشريعة إنما جاءت بالصلاح لا بالفساد، ونحن نغضّي بما في هذه القطعة من السخرية الشديدة، والتّهكم الشنيع بهذا العالم الكبير الذي ملا الدنيا علماً، ونصر الإسلام بقلمه وسيفه. وشهد له بذلك مخالفوه، وقد اشتمل كلامه هذا على جملة غلطات:

**الغلطة الأولى:** زعمه أن المسلمين أجمعوا على مخالفة ابن تيمية في ذلك وهذا المزعم كاذب، قال في فتح الباري الجزء الثالث طبعة الخشاب صفحة ٤٣: «وأختلف في شد الرحال إلى غيرها (أي إلى غير المساجد الثلاثة)

كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتاً. وإلى الموضع الفاضلة لقصد التبرك بها، والصلاحة فيها، فقال الشيخ أبو محمد الجوني «يحرم شد الرحال إلى غيرها عملاً بظاهر هذا الحديث» وأشار القاضي حسين إلى اختياره، وبه قال عياض وطائفه؛ ويدل عليه ما رواه أصحاب السنن من انكار نصرة الغفارى على أبي هريرة خروجه إلى الطور. وقال له: (لو أدركتك قبل أن تخرج ما خرجم) واستدل بهذا الحديث، فدل على أنه يرى حمل الحديث على عمومه ورافقه أبو هريرة» هذا ما قاله الحافظ ابن حجر، فما يرى مولانا الشيخ فيما قال ابن حجر؟ يراه كذاباً على هؤلاء العلماء، وهابياً يزول الأحاديث على حسب هواه؟ أم ماذا يرى في ذلك؟ وافضليحة العلماء!! الله يشهد أنني رحمت هذا الشيخ لكثرة ما يوقع نفسه، وقد نقل ابن تيمية في كتابه (التوسل والوسيلة) أن السفر لزيارة قبور الصالحين محرم إجماعاً، وذكر أيضاً فيه أن مالكاً سئل عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي ﷺ فقال مالك إن كان أراد القبر فلا يأته، وإن أراد المسجد فليأته وذكر قوله ﷺ: «لا تشد الرحال الخ» قال: رواه القاضي إسماعيل في كتابه (المبسوط) فهل يستطيع هذا الشيخ أن يكذب هذا النقل بالعلم؟ هذا ما نطالبه به ونرجوه منه !! وهذه الرواية تدل على أن مالكاً يفهم من الحديث العموم كما فهم ابن تيمية، وكما فهم الصحابة والعلماء الذين رووا عنهم ذلك ابن حجر، فتوجه إليهم ما ووجه هذا الشيخ إلى ابن تيمية من السخرية والعيب، فمن الطاغن في العلماء! القادر بالصحابة يا ترى؟

**الغلوطة الثانية:** «قوله غير مستحب من سيد المرسلين» قول شنيع لا يصدر من يحاسب نفسه، ويقيم للعلماء وزناً، فإن من لم يستحب من الرسول فهو فاجر أو كافر وقد رمى ابن تيمية - ذلك الإمام المفرد، الذي تزن حسنتان ساعة من ساعاته ما ألف هزلاء من حسنتان كل حياتهم - إن كانت لهم حسنتان: - بذلك؛ ونحن إذا فرضنا أنه غلط في ذلك اجتهاداً - فهل نقول: إنه لا يستحب من الرسول؟ وهل يكون كذلك لا يستحب منه؟ وهل إذا أخطأ عالم في قول - ومن لا يخطئ خلا رسول الله ﷺ - يقول: إن هذا العالم لا يستحب من الله ولا من رسوله؟ نعوذ بالله من البغي في الخصومة؛ وهل نقول لهؤلاء - لأنهم قد أخطأوا ولا شك - في مسائل كثيرة باعترافهم - : إنكم لا تستحيون من رسول الله؟ وماذا

يقول مولانا الشيخ في ابن حجر وفي الصحابة والعلماء الذين سلف ذكرهم؟ أ يقول - غير مستحب - إنهم لا يستحبون من سيد المرسلين؟ روى البخاري وغيره قال: قال رسول الله ﷺ: آية المنافق ثلات إذا حدث كذب، وإذا خاصم فجر، وإذا اؤتمن خان» اللهم احفظ مولانا من ذلك.

**الغلوطة الثالثة:** زعمه أن أحداً من الأولين والآخرين لم يفهم الحديث كما فهم ابن تيمية. ولقد ذكرنا لك في فتح الباري أن الصحابة والعلماء فهموا ذلك واستدلوا بالحديث على امتناع السفر إلى غير المساجد الثلاثة، فهو لاء عند هذا الشيخ ليسوا من الأولين ولا الآخرين!!

**الغلوطة الرابعة:** قوله: «إن الاستثناء لا يكون إلا من الجنس القريب» قول مخالف لكلام العرب: إذا قلنا دخل شاعر على الملك فمدحه، مما أجازه إلا مائة جنيه فإن السامعين - ما خلا مولانا الشيخ - يفهمون أنه لم يجزه غير المائة شيئاً من الأشياء: لا نقوداً ولا غيرها، وإذا قالوا: مات فلان، مما ترك غير بنت، علموا أنه لم يترك وارثاً غيرها - من الذكور والإثاث؛ وكذلك إذا قالوا: مات مما ترك إلا ألف فدان، علموا أن الألف هو كل ما ترك. لم يترك شيئاً يورث غيره. وإذا قالوا: فلان لا يملك غير ما على جلده؛ فهموا أنه لا يملك ديناراً ولا درهماً سرى ما ليس، هذا كلام العرب، لا يمكن غيره، ولا يعدل عنه إلا بقرائن، مما زعم أن الاستثناء لا يكون إلا من الجنس القريب، محاادة لكلام العرب كما رأيت، وأما مثاله (ما مات إلا زيد) فمثال لا يجوز في عقل. كيف يقال: ما مات إنسان إلا زيد؟ وهل هذا القول صحيح؟ والعجب أن الشيخ لا يوفق ولا في الأمثال!! نعم. قد يجوز المثال المذكور إذا كان الحديث عن قوم مخصوصين فيهم زيد. فيقال: ما مات إلا زيد - أي ما مات من الجماعة إلا زيد. فإذا قامت القرينة على أن التحديث عن جماعة سقط الاستدلال بالمثال، بل يكون المستثنى منه مذكراً - تقديرأ.

**الغلوطة الخامسة:** قوله: إن حمل الحديث على ما حمله ابن تيمية يقضي على المصالح قول عجيب!! فليس يلزم حمل الحديث ضياع مصلحة ما؛ إنما ضياع المصالح، وضياع العقول والدين، في الفتنة بأهل القبور؛ حتى وقع المسلمون بالشرك الأكبر، وعبدوا الخلق ونسوا الخالق، والله المستعان. هل

الذين حملوا الحديث - وهم كثيرون - كما أرتك - ضيعوا مصلحة؟ أو أهملوا شيئاً من الواجبات؟ اللهم، لا؛ إلا في نظر مجلة الأزهر! إن ابن تيمية وسائر العلماء يحملون الحديث على أنه لا يصلح السفر لمكان ما تعبدأ إلا لأجل المساجد المذكورة. لا يسافر إلى قبر ليدعى الله عنده، أو ليدعى صاحبه، ولا ليصل إلى فيه؛ ولا يتبرك به، ولا يتمسح بحجارته وعنته؛ فهل يستبع هذا التأويل ضياع مصلحة؟ إن الذهاب لزيارة صديق أو صلة رحم، أو لجهاد ونحوه، ليس ذهاباً لمكان؛ بل لأجل الأشياء التي تقع في المكان، والمكان ليس مقصوداً أبداً، بخلاف المساجد الثلاثة؛ فإن قيل: كذلك من ذهب لقبر ولبي ولم يذهب للمكان، وإنما ذهب لنفس الولي، قلنا: ليس الأمر كما تفهم، فالذهب لنفس الميت لا يستطيع، وإنما يستطيع الذهب إلى قبره، ولهذا يقول عليه السلام في أحاديث زيارة القبور: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» وقال: «استأذنت ربِّي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذته في أن أزور قبرها فأذن لي» ويقول الصحابة: (كان الرسول يعلمنا إذا زرنا القبور أن نقول السلام عليكم) الحديث؛ وقالت السيدة عائشة: (أذن لنا في زيارة القبور) فالآحاديث تعبير بزيارة القبور لا المقابر، لأن الذهب في الحقيقة ذهاب للقبور، والحاصل أن من ذهب إلى قبر قيل: ذهب إلى قبر فلان، ولم يقل ذهب إلى فلان؛ وبيان هذا أن ابن تيمية والعلماء يقولون: قوله: «لا تشد الرجال إلا إلى المساجد الثلاثة» يمنع من السفر إلى كل مكان لأجل الطاعة فيه؛ فلا يذهب إلى غير المساجد الثلاثة لأجل صلاة، أو دعاء أو عکوف، وكذا يمنع الذهب إلى قبر لأجل دعاء القبر، أو الصلاة عنده أو التمسح به، أو العکوف عليه، فهل في ذلك ضياع مصلحة يا قومنا؟ ما فيه غير ضياع النقود والعيش الذي يحتال عليه هؤلاء بهذه الحيلة. يا أمَّةُ مُحَمَّدٍ كيف استحللتُم أن تمثلوا قبور الأولياء ببيت الله الحرام: تحججون لها من كل فج عميق، وتتفقون في ذلك ما لا تسمحون ببعضه في سبل الخير، وتمسحون بها؛ وتقبلونها كما تقبلون الحجر الأسود؛ وقد قال عمر بن الخطاب عندما قبله: (والله إنني لاعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولو لا أنني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) يقول عمر ذلك في الحجر الأسود الذي هو يعين الله، كما جاء في الحديث، ويحكم يا أمَّةُ مُحَمَّدٍ بأي برهان؟ أو بأي عقل؟ استجزتم ذلك الحج

والزحام على زيارة البدوي، حتى جعلتموه أعظم من بيت الله! أترون الإسلام يجازيكم على ذلك؟ لا والله. روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً» أي لا تجعلوا قبرى كالعيد تعظمه. وتعتادون الذهب إليه، وقد جائزتم هذا القول؛ وجعلتم كل قبور الصالحين - بل وغير الصالحين - أعياداً؛ وروى سعيد بن منصور أن عبد الله سبط علي بن أبي طالب رأى رجلاً يكثر الذهب إلى قبر الرسول ﷺ فقال له إن رسول الله قال: «لا تتخذوا قبري عيداً؛ وصلوا على حيثما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغني»؛ فما أنت ورجل بالأندلس إلا سواء؛ وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «إن من كان تبليكم كانوا يتخذون القبور مساجد، إلا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك» يعني لا تصلوا فيها، ولا حواليها، ولا تكثروا الذهب إليها، كما تفعلون في المساجد، وقد خالفتم رسول الله وأتيتم ذلك كله! فيما إذا تعذرتم في يوم يجعل الولدان شيئاً؟ وفي البخاري ومسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «العن الله اليهود والنصارى اتخاذ قبور أنبيائهم مساجد». قالت عائشة: (يحدرون ما صنعوا ولو لا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ قبره مساجداً). وروى مسلم عن أبي مرثد الغنوبي أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجلسوا على القبور. ولا تصلوا إليها». وفي الترمذى وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «العن الله زارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» انظروا يا قومنا، نحدثكم عن الله وعن رسوله ﷺ بالأسانيد الصحيحة، ولكن المخالفين إذا حدثوك - وأحسنوا - حدثوا عن حاشية بالية. أو عن منام أو رواية لا يعرف لها أصل، إنه لا حجة لكم على هذه البدع غير أن رأيتم علماءكم يمدحونها لكم، ويعلمونها، ولكن رسول الله ﷺ حذر العلماء المضللين وقال: «أخوف ما أخاف عليكم الأئمة المضللون» وقال: « يأتي زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه؛ ولا من القرآن إلا رسمه، علماؤهم شر من تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود» وقال: «اتقوا فتنة العالم الفاجر» وقال الله: ﴿وَتَأْيِدُهَا الَّذِينَ مَا مَنَّا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَغْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيُصَدِّرُنَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> وما أنتم ترون كثيراً من علمائكم الذين تدعون من أجلهم كتاب ريك

يلبسون الحرير ويتختمون بالذهب، ويحررون أنوابهم خبلاء؛ وكبراً، ويتهاونون في الحج، والزكاة؛ والصلوة؛ والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. اذكروا أيها المؤمنون قول قوم أطاعوا علماءهم فقالوا لما رأوا عذاب الله: «رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلَّنَا السَّيِّلَاتِ»<sup>(١)</sup> الآية، «وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُونَ مَوْفُوتُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ تَرْجِعُ بَعْشُهُمْ إِلَى بَعْضِهِمْ كَيْفَ يَقُولُ الظَّالِمُونَ أَتَشْفَعُونَا لِلَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُمْ مُّؤْمِنُونَ»<sup>(٢)</sup>، وقال: «وَبَرَزُوا إِلَيْهِ حَيْثُماً فَقَاتَ الْعَذَمَتُرًا لِلَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ بَعْدًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُفْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فَاللَّهُ أَكْبَرُ هَذَا اللَّهُ لَمْ يَنْكِنْكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

فإذا بان لك أن عقيدة التوسل جمعت هذا الشر والمحرمات فلا ريب في أنها ليست ديناً يرضاه الله. هذه أحد عشر برهاناً، ببطل التوسل الحالي أيها إبطال، وتتفقى على مجلة الأزهر شبهاها عليه تقضى لا يبرم، والحمد لله أولاً وأخراً.

## من هم الخوارج؟!!

ترمي مجلة الأزهر السلفيين الموسومين عندهم (بالوهابيين) بتوقيع الشيخ الدجوي بأنهم هم الخوارج الذي قال فيهم رسول الله ﷺ: «الَّذِينَ أَدْرَكْتُمْ لَا تَلْتَهُمْ قُتْلُ عَادَ» لامر ما رمتهم بذلك. وحملت عليهم أوصاف الخوارج. واجتهدت في أن تصورهم صورة الثائر على المسلمين. العطشان إلى دمائهم. ولأمر ما كررت ذلك على صفحات مجلتها عدة مرات، ونحن الآن نبين أنهم أحق بأوصاف الخوارج التي ذكروها بالبراهين، وأن الوهابيين هم أبعد الناس عنها. ذكروا من صفاتهم أشياء:

الأول: (يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم) يعني بذلك قلة فهمهم للقرآن وقلة عملهم به.

الثاني: (يعرقون من الإسلام كما يعرق السهم من الرمية) يعني أنهم يكفرون بعد إيمان.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٧.

(٢) سورة سباء، الآية: ٣١.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢١.

الثالث: (يقاتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان).

الرابع: (يحسنون المقال ويسيئون الفعال).

الخامس: (يدعون إلى القرآن وليسوا منه في شيء).

ال السادس: (أنهم شرار الخلق).

السابع: (حدباء الأسنان سفهاء الأحلام).

الثامن: (يخرجون في آخر الزمان).

التاسع: (باتون بما لم يعرف الأولون من المسلمين).

العاشر: (دجالون كذابون).

الحادي عشر: (أنهم أصحاب أهواء).

هذا جملة ما كتبوه من أوصاف الخارج وحملوها على السعوديين . ولو كان للحق أو القراء لديهم حرمة لما ذكروا هذه الصفات وجعلوها من نصيب أمة تقييدت بكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ حينما قيد الناس - إلا ما شاء الله - أنفسهم بقيود القوانين الوضعية البشرية.

اما الأولى: - وهو أنهم يقرأون القرآن ولا يجاوز حناجرهم، فالمراد من ذلك أنهم يكثرون تلاوته وهم لا يفهمونه ولا يعملون به . والناس يعلمون بأن الأزهر أكثر العالم الإسلامي قراءة للقرآن وأعمله بقواعد اللغة، وأضبطه لخارجه وأحفظه للفاظه؛ والمثل يضرب بمصر وبالأزهر إذا أريد حفظ القرآن، وتجويد مخارجيه؛ وطلاب الأزهر ملزمون بحفظ القرآن؛ ولا كذلك المعاهد في الأقطار الأخرى، وأما من جهة العمل به، فالناس يعلمون أيضاً أنه لا يوجد اليوم تحت الشمس أعمل من الوهابيين بالقرآن، ولا أتقى الله منهم، ويعلمون أيضاً أن الحكومة العربية تستضيء بنور القرآن في جميع ما تأتي وما تذر، في حين أن مصر - وأكثر البلاد الإسلامية - تتخبط بظلمات القوانين الأوروبية، ويعلمون أيضاً أن الوهابيين - من ملوكهم إلى مملوكيهم - إذا تكلموا قالوا: قال الله، وقال رسوله وقال أبو بكر وعمر، وأن رؤساء من يدافعون عنهم هذا الطعن إذا تكلموا قالوا: قالت (أوروبا) قال المستر فلان (واللورد فلان) فمن العامل

بالقرآن إذا؟ وأما من جهة الفهم له فالشيخ يعرف - بعد الناس - أنه هو وإن ورواه وإن مقلدون لما كتب الأسلاف في الحواشى، مكتفون بفهم من سبق عن أن يكلفو أنفسهم فهم آية من كتاب الله، أو حديث عن رسوله، والمقلد لا يمكن أن يفهم؛ ولا يريد أن يفهم، بل يرى أن الأخذ في الفهم جريمة. بل يقولون: إن الذين يريدون أن يفهموا من القرآن والسنّة ملحدون. وإذاً كيف تجاوز معانٍي القرآن حناجر المقلدين؟ وقد ذكرنا لك فهم مولانا الدجوي - وهو من أشهر علمائهم - وأربناك كيف يفسر القرآن. وأما الوهابيون فانظروا فيما شاء من كتبهم تلق العجب العجاب: تلق الفهم والعلم؛ انظر في منهاج السنة لابن تيمية أو كتاب العقل والنقل له؛ أو ما شئت، أليس قد بان لمولانا الشيخ أن الوهابيين أبعد الناس عن هذه الخصلة، وأنه هو وإن ورواه أقرب الناس إليها.

**وأما الثانية:** وهي أنهم يمرقون من الإسلام - فيقال: إن أمرق الناس من دين الله هم الذين ضيعوا أركانه وتجاوزوا حدوده. هم الذين ضيعوا الحجج، والصلوة، والزكاة، والأمر بالمعروف؛ والنهي عن المنكر. وهم الذين يرثون أعداء الدين؛ ويولونهم عليهم، وعلى دين الله. وهم الذين يحتفلون بمناوي، الإسلام؛ ويكبرونهم. وهم الذين يحاربون الحركات الإسلامية - كالمؤتمر القدسي وجماعة الدفاع عن الإسلام. وهم الذين لا يغضبون لغضب الإسلام ولا يرضون لرضاه؛ رهم الذين يخونون ما اتمنوا عليه ويبثون بأموال الخيانات لهم بيوتاً، وهم الذين يكذبون على الله وعلى دينه، وعلى علماء الإسلام، وهم الذين يدعون إلى دعاء الأولياء والسجود والركوع لهم؛ والحج إلى قبورهم، وهم الذين يعادون العاملين بالكتاب والسنّة، وهم الذين يقولون لا يصح النظر في القرآن؛ فمن هؤلاء غير هذا الطاعن وإن ورواه؟!

**واما الثالثة:** وهي أنهم يقاتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان، فالشيخ يعلم - كما الناس - أنه ما كان هو - ولا أحد من يدافع عنه - صاحب وثن، ولا قاتل مشركاً بلسان ولا سنان، بل يعرفون أنه هو وهم ما زالوا يقاتلون أهل الإيمان؛ ويقدحون في علماء المسلمين، ويسبونهم، كابن تيمية وابن حزم وابن القيم والشوكياني؛ والمشركون والملحدون يختالون بين أيديهم، ولم يسُرُّوهم يوماً أليس الشيخ يعرف أنه منذ صدرت مجلته وهي تقدح في الحكومة

العربية، وتحضن الناس على عدائهم - واليهود والنصارى يعيشون فساداً في مصر وفي فلسطين وفي كل بلد إسلامي، فلم تستطع أن تكتب ضدتهم مقالة؛ أليس في مجلة الأزهر ما زالت تكفر العلماء الماضين في حين أنها لا تستطيع أن تكتب في ملحد مقالة واحدة، أليس هذا عين مقاتلة أهل الإسلام، وترك أهل الأولان، وأما (الوهابيون) فقد قاتلوا دسائس الاستعمار؛ وطهروا الجزيرة العربية منها، وقضوا على البغي والعدوان والخرافات والشرك؛ وليت الشيخ يقرأ شيئاً من التواريخ الخاصة أو العامة ليعرف ماذا قاتل الوهابيون، وماذا فعلوا. إن الجزيرة العربية قبل الدعوة الوهابية كانت غاصة بالفسق والعدوان؛ لا يقام فيها حد، ولا يحافظ على فرض، يعبدون الأشجار والأحجار والموتى والشياطين ١١ فجاء السيف الوهابي، ولسان الوهابي، فأبدلا ذلك توحيداً، وعدلاً، وصلاحاً؛ أما بان لهذا الشيخ أنه هو ومن يدافع عنه أخلق الناس بهذه الخصلة ١٢

وأما الرابعة: وهي أنهم يحسنون القول ويسيئون الفعل - فلا أظن عاقلاً ينزع أن هذه الصفة هي الصدق بالأزهريين منها. بالوهابيين، والأزهريون يعترفون بذلك أنفسهم. إنك إذا سمعت واعظاً أزهرياً ظنته يشتم على أبيه بكر، أو عمر؛ وإذا نظرت إلى فعله ظنت أنك ينطوي على الشيطان الرجيم.

وأما الخامسة: وهي أنهم يدعون إلى القرآن وليسوا منه شيء - فالمراد أنهم لا يعملون به، فيقال الذين ليسوا منه شيء هم الذين لم يرضوه حكماً. بل حكموا (أوروبا) في دينهم؛ وأخلاقهم؛ ومعاملاتهم، وشؤونهم الاقتصادية والسياسية، وقلدوهم في شرب الخمور، وإباحة الزنى، والرiba، واللواء؛ والفواحش الظاهرة والباطنة، وأكلوا أموال الناس بالباطل. وما هؤلاء غير من تداعع عنهم وتفضلهم على الوهابيين. الذين رضوا بكتاب الله فانوناً، ويرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ هادياً؛ وبصحابته وأئمته الهدى أئمة ومؤذبين، والذين ليسوا من كتاب الله في شيء هم الذين ينهون عنه وعن العمل به. ويعادون العامل به. وهم الذين يدعون إلى عبادة الأموات، والحج إلى قبورهم، بدل الحج إلى بيت الله، إن هذا الطعن لا يمكنه أن يقدح في الوهابيين إلا لأجل التوصل والوسيلة؛ فهبهم مخطئين في ذلك. فكيف يقال: إنهم ليسوا من كتاب الله في شيء لأجل هذه المسألة؛ وقد قاموا بالشرع كله، وكيف لا يكونون أحسن الناس

اليوم؟ وإن كانوا مخطئين فيما يدعى !! وكيف لا تكفر حسناتهم الكثيرة هذه السنة الواحدة - إن كانت سبعة - بل هي من أكبر حسناتهم في نظر العاقلين. ولأي أمر أغضبته هذه السنة منهم، ولم تغصبه سباتات غيرهم التي لا تحصى؟! إنه لا يوجد عاقل في الشرق أو الغرب لا يسلم أن هؤلاء الذين يطعن عليهم هذا الشيخ. هم أعمل المسلمين بكتاب الله، وأتبعهم لرسوله ﷺ.

**وأما الخصلة السابعة:** - وهي أنهم شرار الخلق والخلقة - فيقال: شرار الخلق هم أكثرهم شرًا، وأقلهم خيراً. وقد بينا من هم أولئك.

**واما الخصلة السابعة:** - وهي أنهم سفهاء الأحلام - فيقال السفيه هو الذي أوغل في السفاهات، وقد أریناك في كتابنا هذا. وفي كتاب البروق والشيخ - من هؤلاء، أليس السفة - الذي ليس فوقه سفة - الادعاء بأن البشر على كل شيء مقتدون! وبأن الأموات أقدر من الأحياء، وبأنهم يوجدون في كل مكان. والادعاء بأن السجود لهم قرب يثاب عليها.

**واما الخصلة الثامنة:** - وهي أنهم يخرجون في آخر الزمان، فيقال هؤلاء هم أهل البدع؛ وأهل القبور؛ فإنه لم يكن في زمان الإسلام أهل شيء من ذلك.

**واما الخصلة التاسعة:** وهي أنهم يحدثون بما لم يعرف المسلمون - فنقول ليس هؤلاء سوى المبتدعين الذين طمسوا معالم الإسلام. والذين جاؤوا بما لم يعرفه خير القرون الإسلامية، وهل يعرف الصحابة والتبعون التفاني في أهل القبور وعبادتهم؟!

**واما الخصلة العاشرة:** - وهي أنهم كذابون - فنقول قد بينا في كتابنا هذا وفي الكتابين الآخرين من هم الكذابون، ومن الذين يعزون إلى رسول الله وإلى أئمة الإسلام ما هم منه بريئون.

**واما الخصلة الحادية عشرة:** - وهي أنهم أصحاب أهواء - فنقول: أصحاب الأهواء هم الذين يفترون على الله وعلى رسوله ﷺ لنصرة خطأ قالوه، وهم الذين لا يتورعون أن يأتون إذا لاحت لهم وظيفة أو منصب حتى الاحتفال بأضداد الإسلام ومولانا الشيخ يعرف من هؤلاء؛ أنحن أم هم، وهم

الذين لا يقيدون أحکامهم وأقوالهم بالقسط والعدل، حتى أنهم ليسقطون أذکى الطلاب، وأورعهم في امتحانه إذا لم يرضهم بدعوه أو نحوها، وينجحون أغباهم وأنأهم عن ورع إذا دعاهم لأكلة أو نحوها. والطلبة يعرفون ذلك فيتحدثون به.

وفضيلة مولانا الشيخ يعرف من هؤلاء!! ويعرف أنهم ليسوا منا، وحدثني طالب في رواق الحرمين أنه كان منذ أعوام يدعو مولانا الشيخ الدجوي إلى حجرته في الرواق ليحتفل به ويروضيه بكوب شاي ثم يقرأ عليه كلام ابن حزم؛ وقوله في الاجتهد، وفي تخطئة الأئمة بلهجته المعروفة. وكذا يسمعه كلام ابن تيمية وتلمسيده في الوسيلة وفي علو الله، فيسمع مولانا ذلك ويظهر قبوله والمدح له، ولو شئت لسميت لمولانا هذا الطالب. وحدثني عالم من علماء الأزهر: أنه ذهب إلى مولانا أيضاً وألبسه من أثواب التعظيم وألقاب الفلسفة ما يشاءه، ثم سأله عن التوسل وأظهر له العيل إلى ألا توسل، فأظهر مولانا الشيخ لذلك العالم الشك في التوسل الحالى، وفي صحته ولو شاء الشيخ لسميت له ذلك العالم، ولا تسألني لماذا أظهر هنا الشك في التوسل وهو هنا يناصره، فإنك تعرف السر في ذلك. ونحن والله نحب أن الشيخ ومجلته لم يرميا خير شعب بشيء لعله أصدق بهم؛ ولعلهم أولى به بالإجماع. وما كنا - علم الله - لنتعرض لذلك لولا أنهم أجاونا إليه، وأما الوهابيون فقد اتفقت الكلمة على وفرة دينهم وتغاليهم في التمسك بآداب الإسلام؛ وأحكام القرآن، والذين ينقمون منهم لا ينقمون غير الوسيلة أظن أنه قد بان للقاريء الكريم من هم الخوارج الذين حضُّ رسول الله ﷺ على قتلهم !! ومن أقرب الناس إليهم؟ وإذا سوف يقول القاريء ما أطيب قلب الشيخ !! ولو لا طيبة الكثير، وتجافيه عن الدهاء؛ لما رمى هؤلاء المسلمين بهذه الأخلاق! ولو لا التطويل لذكرت لك شيئاً من سيرة الوهابيين الذين اتخذوا الشيخ الوقيعة في أعراضهم ديناً لهم !!

# علو الله على خلقه ومناظرتنا الشيخ

فيه

بقي مما ينقم من الوهابيين، ويکفرهم من جرائه مسألة (علو الله على خلقه)، وقد كتب في ذلك مقالات كثيرة؛ في نور الإسلام وفي مجلة الإسلام وفي بعض الجرائد اليومية، وكل هذه المقالات تعبّر عن معنى واحد. عن شبّهات اختطفها من كتب الشيخ الرazi. وقد أفت رسالة في هذا، وبيّنت ما في شبّهاته وشبّهات الرazi وغيرهما، وجمعت البراهين العقلية والنقلية على أن الله فوق العالمين، فحال بيني وبين طبع هذه الرسالة حائل، ونسأله أن يوفق لطبعها. ولنحن هنا نذكر مناظرة بيننا وبين الشيخ الدجوي في هذه المسألة؛ تأتي على جميع معارضاتهم وتزيفها - إن شاء الله - وإذا أبطلت المعارضات التي يدعونها ثبت علو الله، لأنهم لا ينزعونا في أن ظواهر النصوص مجتمعة على أن الله فوق، ويقولون: إنه لم يمنعهم من الإيمان بعلوه إلا الشبهات التي سوف تراها هنا، وسوف ترى الجواب عنها. قلنا للشيخ الدجوي: لا نعلم أن الأخبار متظافرة على علو الله؟ فقال: بلى، قلنا له: ألا تعلم أنه لا يجوز ترك الظواهر الدينية إلا إذا استحال ظاهرها، قال: بلى، قلنا: فما المعال في أن تؤمن بها؟ وتصدق أن الله على عرشه؟ قال: إن العقل يصادم ذلك، قلنا: فما العقل الذي يصادمه؟ قال: لو كان في السماء لكان حادثاً، قلنا: ولم قلت إذا كان في السماء كان حادثاً؟ وما هذا التلازم؟ قال: لأن العلو قد اتصف به المخلوق؛ والله لا يتصف بصفة مخلوق؛ قلنا له: فإذا يجب ألا يكون له علو معنوي. ولا يكون له وجود ولا حياة ولا حقيقة ولا إرادة ولا علم ولا رحمة ولا أمر ثبوتي فإن المخلوق قد وصف بذلك كله، فحق عليك أن تطرد قولك، فلا تصف الله بصفة. ولزم أيضاً أن تنكر الذات، فإن المخلوقات لها ذات، قال: إن الأشياء

التي ذكرت لا يوصف بها مخلوق. وإنما هي فيه مجازات، وليس حقيقة إلا في الله. فليس لحدث - في الحقيقة - حياة - بلا رحمة ولا قدرة إلى آخره، قلنا له: - مع أن هذا القول مخالف كلام المسلمين جميعاً، وكلام العقلاء، ومخالف الحس والمشاهدة - يمكن أن يقال في صفة العلو كذلك إنه حقيقة لله؛ وفي غيره مجاز، وحيثئذ يجب عليك أن تسوى بين العلو وما ذكرت من الصفات نفياً وإثباتاً. وبالبابان سواء؛ فقال: لو كان الله في السماء لكان جسماً لأن كل ما هو في جهة فهو جسم؛ والأجسام حادثة، قلنا: قولك هذا كقول القائل: لو كان موجوداً لكان جوهرأً أو عرضاً، والجواهر والأعراض حادثة: أو لو كان له حياة وعلم وصفة لكان جسماً محلاً للأعراض، والأجسام مخلوقة، ومن قامت به الأعراض فهو حادث؛ ولن تجد فرقاً يقبل بين قولك هذا، وبين هذا القول؛ وهو لا يقبل فقولك مثله، وليس في يدك دليل على أنه يلزم علوه أن يكون جسماً إلا قياسك إياه تعالى على المخلوقات، والله المثل الأعلى. فإنك ما رأيت عالياً قائماً بنفسه إلا جسماً؛ فقلت: كل ما هو عالٍ فهو جسم؛ فنقول لك وأنت ما رأيت موجوداً إلا جوهرأً أو عرضاً، ولا ذا صفة إلا حادثاً مؤلفاً ولا موجوداً إلا في جهة فقل إنه كذلك، ثم ليس معك برهان على أن جميع الأجسام مخلوقة - ولتعلم أننا لا نقول إن الله جسم لأننا سلفيون، لا نزيد على الوارد، ولكن نخاطبك على قواعده - ودليلك على أن الأجسام حادثة، هو من قياس الغائب على الشاهد، فإنك رأيت الأجسام قدامت مخلوقة فقلت: إن الأجسام كلها كذلك، ولو سألك البرهان لكان عزيزاً عليك بل مفقوداً، فدع القياس الذي يرمي في التهافت والتناقض، ولا تقس الله على ما أمامك لستريح وتريح مناظرك، فقال: لا ريب أن من هو في جهة خاصة فهو محدود - أي له مقاطع - ومن كان كذلك فلا ريب في أنه حادث فإن المحدود اسم مفعول فلا بد أن يكون له قابل، ولا ريب أن ما له مقاطع يجوز العقل أن تكون حدوده على خلاف ما كانت، وأن تزيد وتنقص، فلا يكون ذلك واجب الوجود، قلنا: كلامك شامل بحثين: الأول، لو كان في جهة لكان محدوداً، والثاني، والمحدود مخلوق، أما البحث الأول فلم تذكر له دليلاً، وأظنك تحسب ذلك ضرورياً لا يحتاج إلى الاستدلال؛ ولكن قال كثير من المتقدمين والمتاخرين: إن الله تعالى فوق العرش وليس محدوداً، وقلتم

أنتم: موجود وليس في جهة يشار إليها، وليس قولهم أكثر تجافياً عن المنطق الصحيح من قولكم، وقلتم: لا جوهر ولا عرض؛ ومتكلم بغير حرف وصوت، وليس صغير الذات ولا كبيرها، وعندك أنكم لا تقدرون أن تحكموا على قولهم هذا بمخالفة النظر الصائب؛ وأنتم قائلون هذه الأقوال، وزاعمون موافقتها العقل الصحيح، ولا يستطيع عاقل منصف أن ينكر قولهم ويقبل قولكم، بل هما سواء إن لم يكن قولكم أكثر بعدها، وأما الثاني فذكرت له دليلين: الأول: أن المحدود اسم مفعول وهو ما أوقع عليه الفعل غيره، والثاني أنه يجوز عقلاً أن يزيد على الحد المفروض أو ينقص عنه ومثل ذلك لا يكون رباً قدیماً، والجواب عن الأول، أن لفظة محدود يراد منها معنيان: أحدهما: أن أحداً أوجده له بعد أن لم يكن موجوداً وسواء له. وثانيهما أن يراد أنه وجد كذلك - أي وجد له حد - لا أزيد ولا أنقص؛ إن أردت الأول فلا نسلم أنه إذا كان في جهة كان محدوداً بهذا التفسير؛ وإن أردت الثاني فلا يضرنا، وليس الشأن في الألفاظ رأي عقل يقول: من كان له حد فلا بد أن يكون أوجده له غيره، وأنه كان بلا حد فأوجد بعد عدم، وهذا مثل أن يقال: الموجود هو من حدث له الوجود. والكافئ هو من حدث له الكون. والراحم والحي القادر والعادل والفاعل هو من حدثت له تلك الصفات وهذا باطل قطعاً كالأول، ولا فرق بينهما. فقال: محدود اسم مفعول يقيناً، واسم المفعول هو من أوجد فيه المصدر المشتق منه بعد وجوده هو - أي بعد وجود ذاته - كال مضروب مثلاً، قلنا له هذا باطل ولا شك، لأننا نقول: الله موجود فهو معناه أن أحداً أوجد فيه الوجود بعد أن لم يكن، ولئن كان اسم المفعول في اللغة كما ذكرت فلن نسلم أن الله محدود؛ ولا نجوز عليه هذا الإطلاق، وإنما نسلم ذلك إذا وافقتنا على تفسيرنا، بل نقول: أنت تقول إن اسم المفعول هو من أوجد له المصدر المشتق منه بعد وجود ذاته، فإذاً لا يجوز أن نقول: إن الله محدود حتى نعلم أن الله كان معدوم الحد فأوجد له الحد، وأما الألفاظ فلا تثبت بها المعقولات، وليس عندك نص شرعي على أن الله محدود، والثاني - أي قولك يلزم أن نجوز زيادة حله ونقشه - فنقول: إن أردت أن كل ما له حد - سواء أكان قدیماً أم حادثاً - تجوز عليه الزيادة والنقصان وتغيير حده مانعاك، ومن قال إن كل من له حد فليس بلازم له؟! وهذا كان نقول: كل من

له صفة وحالة فهي جائزة التبدل والتغير، وجائزة الزيادة والنقصان، وجائزة الفنى والاحتلال؛ وما الحد إلا حالة من الحالات؛ وصفة من الصفات، فلئن صع قوله: كل حد يجوز زيادته ونقصه ليصحن قوله: كل ذات وكل حقيقة وكل صفة وكل حى يجوز عليها التبدل والتغير والفناء، وأنت لا ترضى ذلك ولا غيرك، وإن أردت أن من المحدودات ما هو كذلك؛ فلا يضرنا ولا ننزعك عليه؛ وهو كأن يقال من الموصوفات ما يجوز أن يفقد صفاته وجوده؛ فهل يقضى أن تنفي عن الله تعالى الصفات والوجود، قال نعلم - بالضرورة - أن كل ذي حد يصح أن يكون حده خلاف ما هو من الكم والكيف؛ قلنا له لن تظفر بفرق بين قوله هذا وبين أن نقول نعلم - ضرورة - إذ كل ذي وجود يجوز عدمه؛ وكل ذي حياة يجوز موته، وكل ذي صفة يجوز سلبها، وكل ذي علم يجوز أن يعود جاهلاً، وهكذا، وإن كنت تجد فرقاً فاذكره، فأبلس برهة، ثم قال للمستوى والمستوى عليه ثلات حالات؛ إما أن يكون المستوى أكبر، أو أصغر، وإنما أن يكون مستوى فلو كان الله مستوى على العرش لثالث أحد الفروض وهي باطلة في حقه، أما الثاني والثالث فيبالبداهة؛ فإنما لا نعلم عاقلاً يجوز على ربه أن يكون أصغر من العرش أو مساوياً له؛ وهذا لا يتطلب المحاجج، وأما الأول فباطل أيضاً فإنه لو كان الله تعالى أكبر من العرش لكان القدر الزائد على العرش غير القدر المساوي له، فكان الحق مركباً من القدرين: الزائد والمساوي، والمركب لا بد أن يكون له مركب تعالى الله، قلنا في كلامك ضعفان:

الأول: قوله إما أن يكون أصغر أو أكبر النع، ليس وارداً عليه من جهة أنه فوق العرش؛ بل يرد عليه من جهة الوجود إن صع الورود، فإنه يقال: والله والعرش موجودان؛ وال الموجودان إما متساويان أو مختلفان، فالله مساواً للعرش أو أكبر أو أصغر، وهو باطل؛ أو يقال الله والعالم موجودان، والموجودان إما متساويان، واحدهما أكبر ويعالى الله عن الفروض الثلاثة، فلما أن يكون الله غير موجود؛ أو يكون العالم غير موجود وهذا لازم كلامك لزوماً لا محيد عنه، والثاني قوله لو كان أكبر من العرش لكان مركباً ضعيف جداً، فإنه لو صع لصح أن يقال: لو كان الله علم ورحمة وحياة وحقيقة وجود لكان مركباً من أعراض وجواهر؛ أو لكان صفاتة مركبة، والله يتعالى عن التركيب، فالله ليس له صفة؛

ولا جرم أن العلم غير القدرة؛ وغير الحياة، فالصفات أمور مختلفة متعددة، فيكون في ذات الله تركيب وأظن أنه قد خفي على فضيلتكم الفرق بين التركيب المنطقي الاصطلاحي، والتركيب اللغوي المعنوي، فالتركيب في اللغة هو أن يؤتي بأشياء متفرقة تجتمع كتركيب الساعة من آلاتها مثلاً كما قال تعالى: **﴿فَوْيَ أَيْ صُورَةَ مَا شَاءَ رَكِبَكَ﴾**<sup>(١)</sup> أي جمعك من العناصر المختلفة المتفرقة، وأما التركيب المنطقي فهو تركيب اصطلاحي وليس معناه أن يكون المركب متفرقاً فجمع؛ فهم - مثلاً يقولون: الإنسان مركب من الحيوانية والناطقية، والفرس مركب من الحيوانية والصاهلية، ولا يعنون أن الحيوانية والناطقية، والحيوانية والصاهلية، كانت أموراً متفرقة فجمعت، ووضوح هذا لا يغرنـ، قال: أنت - وإن دفعتم كل ما تقدم - فلن تدفعوا أنه لو كان فوق العرش لكان العرش حاملاً له!! وهذا من أبين المحالات، قلنا: لا يدل قولنا فوق العرش على أن العرش حامل له لا لغةً ولا عقلاً ولا عرفاً. بل نقول: إنه فوق العرش وهو الحامل له، ألسنا نرى السحاب - مثلاً - فوق الجبال - والله المثل الأعلى - وليس الجبال حاملة السحاب، وكذلك الشمس والقمر والنجوم فوقنا، وليسنا حامليها؛ ومثل ذلك كثير؛ فإذا كان لا يلزم استواء مخلوق على مخلوق أن يكونا متحاملين، فإنـ يلزم علو الله على بعض خلقه أن يكون محولاً له! وما أثارك هذا الزعم إلا من تمثيل الخالق بأضعف خلقه، فإنـك لما رأيت الحيوان حاملاً من فوقه ظننت الله يكون كذلك إذا ما استوى على حوشـ! وغاب عنك قوله: **﴿فَلَا تَظْرِهُوا إِلَهًا أَلْمَشَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَآتَئُهُ لَا تَعْلَمُونَ﴾**<sup>(٢)</sup> قال: ألا تذكرون أنه لو كان في جهة لكان محتاجاً إلى تلك الجهة؛ والله غني عن العالمين؟ قلنا له: خلق الله الخلق، وطالب العباد أن يعبدوه وعاقب وأثاب، وأعطى ومنع، وضر ونفع بغير فقر إلى شيء مما صنع؛ فكذلك استوى على العرش ولم يكن فقيراً إلى عروشه؛ ولا إلى أحد من خلقه، وما أجدرك إذاً أن تقول: قد أرسل الأنبياء وطالب العباد باتفاق أموالهم ونفوسهم في سبيله، فهو فقير إلى ذلك؛ ما أضر أن يقاس الله على خلقه، قال: استقراره على العرش إما قديم، وإما حادث؛ الأول لا يمكن لأنـ

(١) سورة الانفطار، الآية: ٨٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٤.

العرش حادث والاستقرار على العرش حادث. والثاني - أيضاً - لا يصح، لأن استقراره على العرش حينئذ يكون انتقالاً وحركة، فلنا بل نقول: إن استقراره على العرش - أي علوه - حادث كما قال في الكتاب العزيز: **﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَيَّرَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾**<sup>(١)</sup> فالاستواء على العرش بعد خلق السموات والأرض؛ واعتراضك المذكور باطل من وجوه:

**الأول:** لا يلزم ذلك استواءه، إذ يجوز أن يقال: كان على حالة واحدة وفي فضاء محسن، فخلق العرش تحته، فكان متساوياً عليه استواء حادثاً بغير نقلة ولا حركة، ومثل ذلك لو فرضنا السماء قديمة في مكانها الآن، وكانت الأرض حادثة؛ كان استقرار السماء على الأرض حادثاً بلا انتقال ولا حركة، بل كانت السماء في الخلاء الذي هي فيه الآن، فخلق الأرض فكانت السماء فوقها.

**الثاني:** هب ذلك يدل على انتقاله، فما المانع من ذلك؟ وما الانتقال إلا كسائر الصفات التي تسلمونها له تعالى، له ما لها وعليه وما عليها؛ وقد صرحت النصوص بذلك في مواضع كثيرة، قال تعالى: **﴿وَجَاهَةَ رَيْكَ وَالْمَلَكُ صَنَاعَهُ﴾**<sup>(٢)</sup> إلى آخر الآيات، وفي الحديث المترواتر (إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا) وأخبار إتيانه للقضاء يوم القيمة متواترة الألفاظ، يقينية المعنى، ليس بين السلف في ذلك خلاف، وما في إثبات ذلك الله نقصان، فإن النزول والإتيان صفتان كمال و مدح وهما خير من السكون، وإذا كان عدم النزول عندك غير نقصان فالنزول أحرى إلا يكون نقصاناً، ووصف الخلق بالنزول والانتقال لا يقتضي بالاً يكون الله متصفًا به، وقد أسلفنا أن أغلب ما تعرفون به من صفات الله موصوف بها غيره؛ ولم تروا في ذلك بأمساك؛ قال: لا ينتقل ولا يتحرك غير الأجسام. فلنا: أنت تصفه بالرحمة وبالحياة، وبالسمع والبصر؛ بل وبالرؤية؛ ولم تر ذلك موجباً أن يكون جسمًا، فكذا صفة بالانتقال والحركة، ولو كلفنا العقول أن تفرق بين صفة الانتقال والحركة، وبين صفة الرحمة والإرادة من جهة جوازها على الله وامتناعها لما جادت بفرق، ثم قوله، لا ينتقل غير الأجسام غلط مبين، فإن

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

الكلام ينتقل - وكذا الأعمال - كما قال تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعُدُ الْكَلْمُ الظَّنِيبُ وَالْعَمَلُ الصَّلِيلُ يَرْفَعُهُمْ»<sup>(١)</sup> وليست الأعمال والكلام أجساماً، والأنوار تنتقل وليست عندكم أجساماً، وكذا الأمراض وغيرها؛ فالانتقال ليس من خصائص الأجسام، قال: استواوه على العرش إما على سبيل الوجوب أو الجواز، على الأول تكون الجهة قديمة وتشارك الله في القدم، وما سوى الله حادث بالإجماع، وعلى الثاني يكون في الأزل بلا جهة، فيجب أن يكون على ما كان عليه أولاً، وقد ثبت أنه في الأزل بغير جهة فهو الآن كذلك، وإذاً ليس في جهة لا وجوباً ولا جوازاً، قلنا له: قولك هذا يقضي بالا يخلق الله العالم، وألا يفعل شيئاً، إذ يقال - كما قلت - خلق العالم إما على سبيل الوجوب، أو الجواز، على الأول يجب أن يكون العالم قديماً، وأن يكون الله موجباً بالذات، وألا يكون مختاراً، وعلى الثاني يجب أن يكون على ما كان عليه أولاً، وقد كان في الأزل بلا خلق فهو الآن كذلك، فالعالم ليس مخلوقاً لله، ولن يخلق - بعد - شيئاً، وهذا باطل بالاتفاق؛ وأيضاً قولك: لو كان في الأزل في جهة وجب أن يكون معه قدماء ضعيف للغاية، لأن المراد من أنه - أولاً - في جهة أنه كان في فضاء م虚空، والفضاء الم虚空 ليس مخلوقاً، لأنه أمر عدلي، فهو قديم، كما يقال عدم العالم قديم، وعدم الشريك لله قديم، وهلم جرا، فهل تقول في مثل هذا: إن مع الله قدماء؟! ولا يقول أحد من العقلاة إن الفضاء مخلوق، وإذا لم يكن مخلوقاً فهو قديم، قال: وأين كان قبل استوانه على العرش، قلنا: ليس من حقنا أن نجاوب هذا السؤال لأننا لا نقول: إننا نعلم كل شيء، ولكن نقول: إن الله الآن على العرش، وإنه استوى عليه بعد خلقه السموات والأرض، على أنها تتبرع ونجيب السؤال، جاء في الحديث أن الصحابة قالوا للرسول: (أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟) قال: كان في عماء، ما فوقه هواء وما تحته هواء) قال: وأين كان قبل أن يخلق العماء والهواء؟ قلنا: كان حيث شاء ولا تظن أننا نريد من قولنا حيث شاء أنه كان في شيء مخلوق مظروف فيه فيتوجه إلينا الاعتراض، بل نريد أنه كان في فضاء قبل أن يخلق شيئاً، والفضاء ليس شيئاً مخلوقاً، بل هو

قديم كما سلف، وسؤالك المذكور شبيه بمن يعترض على خلق السموات والأرض؛ فيقول: وماذا كان يخلق قبل خلقه السموات والأرض؟ فيقال خلق العرش، والماء الذي تحت العرش، فيقول: وماذا كان يخلق قبل ذلك؟ فسؤالك مثل هذا سؤال، وليس هذا سؤال علماء، وأنت على تفسيرك: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿١﴾» باستولى يوجه إليك السؤال المذكور، فيقال: وعلى ماذا كان مستولياً قبل استيلائه على العرش؟ فالسؤال - إن كان صحيحاً - ورد على الجميع، وإن كان فاسداً انفرد به، قال: من قال إن ربنا في السماء فقد جعل له ظرفاً يحويه، ومن جعله كذلك فقد شبهه بخليقه ومن شبهه بخليقه فقد كفر، قلنا له: في كلامك مغامز:

الأول: كأنك تفهم من قولنا: هو في السماء إنه مظروف في الجسم المركبي لنا الذي نسميه سماء، وأن بعضه فوقه تعالى، وهذا خطأ، فالله فوق السموات، وفرق كل شيء، وليس تحت شيء، ولا تخدعنى لفظة السماء، فالسماء في اللغة هو كل ما علاك - كما تقول كتب اللغة، فقولنا: إنه في السماء نريد أنه في الجهة العليا، ولا تحسين الجهة التي تقول هو فيها شيئاً مخلوقاً، بل هي فضاء محيض، فإن المخلوقات لها نهايات بالضرورة والإجماع، وهو تعالى حيث انتهت الخلائق - أي فوقها، قال: الجهة مكان، وكل مكان مخلوق، قلنا: أنت ترى أن كل مخلوق لا بد أن يكون في مكان؟ قال: بلى، قلنا: فالجهات على - قوله - مخلوقات، فلا بد أن تكون في مكان والمكان في مكان، إلى غير نهاية، وهذا يصادم المعقول، بل المكان الذي يعني به الفضاء غني عن أن يكون في فضاء، قال: في هذا خفاء، قلنا له: نسألك سؤالاً يقرب المسألة: أنت ترى العالم - أي الخلق متهياً - أي له حدود من جميع نواحيه - قال: بلى، قلنا: فالخلق مته من جهة العلو، قال: نعم، قلنا: فالله تعالى فوق هذا المخلوق المتهي فوجم عند ذلك وهو رأسه.

الثاني: قولك فقد شبهه بخلقه، ومن شبهه بخلقه فقد كفر، هو إكفار بلازم المذهب على فهم المكفر، وهو غلط، فلو كان المرء يكفر بلازم مذهبة - وإن لم

يُكن قائلًا باللازم، ولا فاعلًا أنه لازم ما قال - للزم إكفار أغلب الأمة، فمثلاً إذا اطلع مسلم على حديث عن الرسول بسند ضعيف أو موضوع عنده فاعتذر أنه موضوع، وكان في الواقع صحيحًا؛ من كلامه عليه السلام، فقال هذا الحديث كذب يجب أن نكفر به، ولا يصح أن يقوله الرسول لأن معناه جهل لزم أن يكون هذا القائل كافرًا بلازم قوله، لأن لازم هذا القول أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ يقول جهلاً وكفراً، إذا اختلف العلماء في مسألة فقال كل فريق يجب المصير إلى قوله؛ وقول الفريق المخالف ضلال؛ لزم تكفير أحد الفريقين، لأنه قد جعل الحق الذي هو حكم الله ضلالاً، وضلل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ لزوماً، وهكذا يلزم تكفير كل من أخطأ في مسألة اجتهادية أ لأنها يتضمن اختيار مخالفة الحق واختيار مخالفة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ فالتكفير باللازم اطراداً شنيع.

الثالث: أكثر العوام - بل كلهم - مؤمنون بأن الله في السماء؛ ولا سيما النساء، ولعلني متذل الشیخ من هو كذلك، إن لم يكن صدقهم عنه، لأن علو الله عقيدة فطرية، ومن نازع في ذلك فليسأل العوام المخلص، فإنه واجد ما أقول، فقولك هذا يقضى بكفر أغلب المسلمين أ

الرابع: قضيت بأن من آمن أن ربه في السماء فقد شببه بخلقه، وهذا مبني على أن من وصف الله بصفة ثبتت لخلق فقدم شببه بخلقه؛ فمن قال: الله في السماء فقد وصفه بالعلو الحسي وللخلق علو كذلك فهو تشبيه، ولو كان هذا القول صحيحاً كان كل الناس مشبهاً؛ وكنت أنت أولهم أو آخرهم، لأنهم يصفون الله جميعاً بصفات وصف بها المخلوقون، فهم مشبرون على قولك هذا فما ترى؟

الخامس: قولك هذا ليس أصح من أن يقال من قال: الله لا في السماء ولا في غيرها فقد شببه بالمعدوم، أو فقد جعله معدوماً، ومن جعله كذلك فهو جاحد رب، وهل تقدر على ترجيح قولك على هذا، قال: إن العلو من لوازم الأجسام، ومتى ثبت لازم من لوازمه لشيء ثبت له كلها، فصار جسمًا، ونحن لا نعلم جسمًا غير مخلوق، قلنا في ذلك أمور:

الأول: لم يقل عاقل: إن العلو لا يكون إلا للأجسام، فإن الأعراض جميعها

تعلو تبعاً لما قامت به، وقد أسلفنا أن الكلام والأعمال ترفع إلى الله، وفي الأخبار الكثيرة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الصلاة، والدعاء، والصيام ترجمة إلى الله، وفي الحديث الصحيح: (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء) وإذا أنزل جاز ارتفاعه، والأرواح تصعد إلى السماء بالاتفاق - وهي عند طوائف من أهل العلم أعراض وهذا كثير.

**الثاني:** قد جعلت العلو من لوازم الأجسام ولم يجعل العلم والحياة وسائر الصفات من لوازمهما، ولا فرق بينهما، فلما أن تبطلها جميعاً، أو تقرها جميعاً، وإنما ارتفعت في التناقض؛ والتفريق بين صفة العلو والصفات التي تسلمونها لله من جهة جوازها على الله ومنعها غلط لا حيلة فيه، وليس بقدر أحدق الناس أن يرينا فرقاً.

**الثالث:** قلت: ونحن لا نعرف جسماً إلا مخلوقاً، فالاجسام كلها مخلوقة إذاً، وهذا غير حيد، لأنه يقال لك وكذا لم تعرف موجوداً إلا جوهراً أو عرضاً، فقل: إن الله أحدهما ولا تعرف موجوداً إلا في جهة فقل: إن الله في جهة، ومقاتلك هذه من قياس الله الغائب على خلقه الشاهد، وإذا اتبعت ذلك القياس لم يستقيم لك عقيدة ولا دين، فهل تعلم فاعلاً إلا يرجو فائدة في فعله، أو دفع مضره إلا أن يكون سفيهاً! والله فاعل، فهل هو كذلك؟ ولو شئت لأكثرت لك الأمثال، قال: لو كان فوق العرش لكان الجانب الذي يلي جانب العرش الأيمن غير الجانب الذي يلي جانبه الأيسر، وكذلك جانباً الخلف والأمام، وإذا كان كذلك كان مركباً قلنا ليس هذا أصح من أن نقول: لو لم يكن في السماء ولا غيرها لكان معذوماً، ولو كان فاعلاً كان محلاً للأعراض، ولكان مركباً من الفاعل - أي الذات، ومن الفعل - أي المصلحة، ولو كان له رحمة وصفة لكان مركباً من تلك الصفة ومن الذات، فالاعتراض الذي ذكرت ليس وارداً على علوه فحسب، بل على الصفات كلها، بل على الإيمان بوجوده تعالى. إذ يقال: لو كان موجوداً لكان يعين نفسه غير شماليها، فهو مركب، أو يقال هو موجود، فاما صغير وإنما كبير، وفي البداهة هو كبير، وإذا هو مركب من الأجزاء التي تتحقق بها الكبر، فاتق الله ودع الاعتراضات التي تؤدي بالبيتين، ولعمر الله لو صدق ما ذكرت لبطل الدين، وقولك إنه يمكن مركباً إذا كان له جوانب إما أن تريد أنه

يكون هنالك من وكيه بعد أن كان مفرقاً، وإنما أن تريده أنه يكون له جوانب فقط إن أردت.

الأول: كان باطلأ ولا شك؛ ومن أين وصل إليك أنه إذا كان له يمين ويسار فلا بد أن تكون قد جمعت بعد أن كانت مفرقة؟ لا فرق بين هذا الزعم وبين أن تزعم أن الموجود لا بد أن يكون بعد أن كان معدوماً، فأنتم تقولون لا بد أن تكون اليسار واليمين معدومتين فأوجدتا، وصاحب هذا المزعم يقول: لا بد أن يكون الموجود معدوماً فأوجده، والقولان فاسدان، وإن أردت.

الثاني: كانت المقدمة هي النتيجة، ورجع تعلييل الكلام إلى: إذا كان الله جوانب فله جوانب؛ وهو كلام لافائدة فيه، ومع هذا وما سبق كله لا عليك أن تزعم لنفسك السبق في المنطق وفن الجدل، ثم قال: إنه لم يقل أحد من المسلمين: إن الله على العرش أو في السماء غير ابن تيمية وتلميذه ابن القاسم والوهابيين، وإن المسلمين قبل خروج هؤلاء مجتمعون على تنزيه الله عن الجهة، قلت له: لقد جرت جوراً علينا؛ وكان فضيلتكم ليس لكم إمام بما كتب الأولون، ولم تقرأ غير كتب الأزهر وحواشيها، وإنما لم تصادر هذه الحقيقة الجليلة، إن المسلمين كانوا مجتمعين على أن الله في السماء قبل ظهور أهل البدع من المعتزلة والأشعرية، وهناك شهادات علماء المسلمين الذين سبقوا ابن تيمية بأزمان، قال ابن رشد في كتابه الموسوم: (بفلسفة ابن رشد) وهو كتاب مشهور مطبوع «القول في الجهة»؛ وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله حتى نفتها المعتزلة، ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية، وظواهر الشرع كلها تقضي بإثبات الجهة، فذكر بعض النصوص في ذلك ثم قال: «إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولاً، وإن قيل فيها إنها من المتشابهات عاد الشرع كلها متشابهاً، لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منه تنزل الملائكة بالوحى إلى النبي ﷺ وجميع الحكماء قد اتفقوا أن الله والملائكة الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ وجميع الشرائع على ذلك، والشبهة التي قادت نفاة الجهة في السماء، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك، والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها أنهم اعتقادوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان

يوجب إثبات الجسمية، ونحن نقول إن هذا كله غير لازم، فنقض الشبهة وذكر كلاماً قال بعده: «ففقد ظهر لك من هذا إن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل، وأنه الذي جاء به الشرع وانبني عليه، وإن إبطال هذه القاعدة إبطال للشريعة» هذا بعض ما ذكره عالم المغرب قاضي القضاة في عصره، الإمام المالكي محمد بن رشد، وهو متوفى قبل أن يولد ابن تيمية وتلميذه وقبل أن يُعرف الوهابيون، وقال أبو الحسن الأشعري الذي تزعم أنت وإخوانك أتباعه في العقيدة، في كتابه المعروف (بمقالات الإسلاميين) «ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث جملة» ذكر شيئاً من أقوالهم إلى أن قال: «وإن الله على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى» وقال في نفس الكتاب المذكور تحت عنوان: (هل الباري في مكان) «قال أهل السنة وأصحاب الحديث: إنه ليس بجسم ولا يشبه الأشياء، وإنه على العرش كما قال: ﴿أَرْجَحَنَّ عَلَى الْمَرْشِ أَسْتَرَى﴾ ﴿ولا تتقدم بين يدي الله بالقول بل تقول استوى بلا كيف»، وقالت المعتزلة استوى على العرش بمعنى استولى «وقد بين هذه المسألة تمام البيان ورد على المنكرين ذلك في كتابه المعروف (بالإبانة - في أصول الديانة) وهذا الكتاب مطبوع. قال في باب الاستواء منه: «فإن قال قائل ما تقولون في الاستواء فقل لهم: إن الله مستو على عرشه» وذكر الآيات في ذلك، قال: «ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات؛ فلو لا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، وقال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى استوى استولى وملك وقهر؛ ووجهوا أن يكون على عرشه؛ كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان كما قالوا لكان لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة، لأنه قادر على كل شيء، فالله قادر عليها وعلى الحشوش، وكذا لو كان الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال: هو مستو على الأشياء كلها؛ ولم يجز عند أي أحد من المسلمين أن يقول: إن الله مستو على الأخلاق والحسوشي؛ فبطل أن يكون الاستواء الاستيلاء»، فما رأى مولانا في الإمام الأشعري؟ وفيما قال؟! وكيف يجسر بعد هذا أن يدعى أنه أشعري؟! وكيف يقول: إنه لم يعتقد هذه العقيدة أحد قبل ابن تيمية؟! وقال الإمام القرطبي المفسر المشهور في تفسيره عند قوله

تعالى : ﴿تُمْ أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ﴾<sup>(١)</sup> «قد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون ببني الجهة، بل نطقوا هم والكافة بياتاتها لله كما نطق كتابه، وأخبرت رسالته، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه على العرش حقيقة» قال أبو عيسى الترمذى في سنته المشهورة عند حديث لو أدليتم بحبل إلى الأرض السفلی لهبط على الله - والحديث ضعيف «قال أهل العلم أراد لهبط على علم الله، وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه» وروى الإمام البیهقی في كتاب الصفات له وهو كتاب مطبوع «أن الإمام أبا حنيفة سئل أين إلهك الذي تعبد فوضع كتاباً قال فيه: إن الله عز وجل في السماء دون الأرض؟ فقال له رجل أرأيت قول الله ﴿وَهُوَ مَعْلُومٌ﴾ قال هو كما تكتب إلى الرجل إني معك وأنت غائب عنه» قال البیهقی بعد أن روى ذلك «القد أصحاب أبو حنيفة وتابع مطلق السمع بأن الله في السماء» وروى الإمام الذهبی أن أبا حنيفة قال: من قال لا أعرف ربی في السماء أو في الأرض فقد كفر لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي﴾<sup>(٢)</sup> قال الذهبی روى هذا عنه صاحب الفاروق؛ وروى أيضاً الذهبی في كتاب العلو له عن أبي حنيفة: (أنه قال من انكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر)، وقال ابن عبد البر إمام الأندلس في عصره في شرحه لموطأ الإمام مالك لما ذكر حديث النزول «وفي دليل أن الله في السماء على العرش، فوق سبع سموات؛ كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة وهذا أعرف من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد، ولا انكره عليهم مسلم»؛ وقال أيضاً: «أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ يَجْوَى ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَأَيْهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتاج بقوله» وقال الإمام ابن جریر في تفسير قوله: ﴿تُمْ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاوَاتِ﴾<sup>(٤)</sup> من سورة البقرة « والاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه، منها العلو والارتفاع، كقول القائل: استوى فلان

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٥.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

على سريره، يعني به علوه عليه، وأولى المعانى بقوله الله ﴿وَتَمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ علا عليهن وارتفع، قد برهن بقدرته، والعجب من أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله ﴿أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ الذي هو بمعنى العلو والارتفاع، هرياً من عند نفسه من أن يلزم بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهوم» الخ ما قال؛ وقد روي في تفسير الآية عن الربيع بن أنس أنها بمعنى ارتفاع، وذكر في آية: ﴿وَتَمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ في جميع الموارض أنها بمعنى علا وارتفع، وقال الإمام البغوي في تفسيره عند قوله: ﴿وَتَمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ «قال الكلبي ومقاتل استقر؛ وقال أبو عبيدة صعد؛ وأول المعتزلة الاستواء بالاستيلاء وأما أهل السنة فيقولون صفة الله بلا تكييف يجحب الإيمان به» وقال في قوله ثم ﴿أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ «قال ابن عباس وغيره ارتفع إلى السماء» هذا ما قاله بعض أئمة الإسلام، وكل هؤلاء قبل ابن تيمية ولو شئت لذكرت لك الشيء الكثير، وقد ألف في ذلك الذهبي كتاباً خاصاً سماه «العلو للعلي الغفار» وكذلك ابن القيم كتاباً سماه (اجتماع الجيوش الإسلامية) نقلأً عن جميع الأئمة المتبعين وأكثر علماء الإسلام الذين اجتمعوا الكلمة على مدحهم أن هؤلاء كلهم مؤمنون بأن الله فوق عرشه؛ فكيف صح لك أن تدعى أنه لم يسبق ابن تيمية أحد من المسلمين بذلك؟ قال أنت إما أن تعتمدوا كل النصوص فتؤمنوا بأن الله في كل مكان كما تواردت على ذلك النصوص، مثل قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءَ إِلَهٌ وَّفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ بِرَبِّكُمْ وَجَهَرَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا قُلُوبَهُمْ وَجْهَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وأما ألا تعتمدوا من ذلك شيئاً، فلا تأخذوا من قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾<sup>(٤)</sup> وأمثالها أن الله في السماء، وإلا وفعم في التناقض، قلنا له جواب هذا من وجوه:

الأول: إما أن تدل الأخبار التي ذكرت على أنه في كل مكان أم لا تدل، فإن لم تدل بطلت الشبهة رأساً، وإن دلت، فلما أن يأتي برهان عقلي أو نقلي

(١) سورة الزخرف، الآية: ٨٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٤) سورة طه، الآية: ٥.

يدل على فساد ظاهرها أم لا يأتى، إن كان الأول: - فهذا البرهان هو الذي صرفا عن أن نؤمن أنه تعالى في كل مكان، ونحن نتبع البرهان؛ وأما إن كان الثاني: - بـألا برهان يمنع من ذلك، قلنا وجوب عليكم أن تؤمنوا بمقتضى ذلك، فتؤمنوا أنه في كل الأماكن، وإن لم تفعلوا كتم مخطئين، ونحن إذا لم نؤمن بذلك لم يبرر عدم إيمانكم؛ ونحن أقل منكم خطأ ومخالفة حيث إننا قد غلطنا في مسألة واحدة وهو أنه في الجهات غير السماء بل قلنا: إنه في السماء فقط؛ والواقع أنه في السماء وغيرها، وأنتم غلطتم في مسائلتين، أو نقول: نحن سلمنا أخبار العلو وأولنا غيرها - والواجب ألا يقول شيئاً، وأنتم أولتم الجميع فأنتم أكثر خطأ، ولا يحل أن تنكروا علينا فيما آمنا به من الحق، بل أنكرروا علينا ما رددناه منه، وهذا برهان آتى على الشبهة من أساسها وقد خاطبت به كثيراً فنفع.

الثاني: يقال هذا غير نافع في المطلوب الذي هو إبطال علوه؛ وإنما غايته أن تكون مخطئين إذ لم نقل: إنه في كل الأماكن وهو لا يدل على خطئنا إن قلنا: إنه على عرشه؛ ومن أخطأ في مسألة وأصاب في أخرى، لم يقل له أخطأت في الذي أصاب فيه، وإنما يقال له أخطأت حيث أخطأ، وأصبت حيث أصاب.

الثالث: قام الإجماع بيننا على أنه ليس في كل الأماكن، وأن الأخبار في ذلك مزولة فاتبعنا الإجماع، واحتلتنا في أخبار علوه على عرشه ولم نجد برهاناً يدفعنا على تأويلها فاتبعناها وقلنا: إنه في السماء.

الرابع: أجمع السلف والخلف على أن الله متره عن الاستقرار في الأحياز جميعها إلا شرذم من اتباع الجهم بن صفوان، وقد أجمع السلف على تضليله، فوجب تأويل النصوص احتراماً للإجماع المسلمين، فهم لا يجمعون على ضلاله، وأما أخبار علوه فليس ما يدفع إلى ترك ظاهرها، بل قد أجمع السلف - قاطبة - على الإيمان بظاهرها وتغليط من لم يؤمن بها كما أسلفنا.

الخامس: بالضرورة من الدين والعقل أنه لا يمكن أن يكون الله في جميع الأماكن من المآخير وبيوت الفساد والدناءة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

ونقدس ، فإن كان ثم نصوص يومئ ظاهرها إلى ذلك وجب تأويلها ، ولا شك .  
السائب : غاية الأمر أن هذه الأخبار معارضة أخبار علوه فتحتم الترجيح ،  
فنظرنا فوجدنا الأقوى الأحق بـألا يزول أخبار العلو لعدة أسباب : كثرتها  
وظهورها في ذلك ، وموافقتها الإجماع ، وموافقتها العقل ، وموافقتها رفعة  
الرب .

**السابع:** الإنجيل على أنه في جميع الأماكن غير بينة فيما ادعتم، وخذ مثلاً قوله: **﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾** فإله - على وزن فعال - بمعنى مالوه على وزن مفعول، ككتاب أي مكتوب، والمالوه هو المعبد فيعود معنى الآية إلى أنه معبد في السماء وفي الأرض، ومثل هذا لا يدل على أن الله موجود في السماء وفي الأرض، وغايته أن يفيد أنه معبد فيهما - كما إذا قيل مطاع في كل مكان؛ أو محظوظ في كل مكان؛ مثل قوله: الأمير مطاع في كل بلاده، ومعظم في أنحاء مملكته، وسره أن فعالاً - أي مفعولاً - دال على ثلاثة أشياء: فعل وفاعل ومفعول، والمكان يكون ظرفاً للثلاثة - سواء أكان بالنظر إلى تعلقه بالفاعل، كقولنا رأينا الشمس في الغرفة؛ أم بالنظر إلى تعلقه بالمفعول كقولنا رأينا الشمس في السماء، أم بالنظر إلى الاثنين، كقوله عليه السلام دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً أي رأيت وأنا في الجنة قصراً في الجنة . وخذ مثلاً آخر قوله: **﴿وَلَهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ لَأَيْنَمَا تُولِّوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾** يقول المخالفون ظاهر الآية استقراره في كل مكان، وليس كذلك فإنه على تسليم أن الوجه هو وجه الله لا قبلته - كما قاله بعض السلف والخلف - لا تدل على ما قالوا؛ وأنهم ذلك من قول القائل أينما تلتفت تبصر السماء أمامك، فمثل هذا لا يدل على أن السماء في كل مكان وإنما يدل على أنها محبيطة بالرأي وليس الإحاطة استقراراً في كل حيز؛ وأقصى ما يؤخذ من الآية أن يكون محبيطاً بال الخليقة؛ هو لا يلزم الحلول؛ فالسماء والعرش والكرسي محبيطات بالأرض وليس في كل حيز، وليس معالاً أن يكون الرب محبيطاً بالعالمين كما قال **﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكْلِمُ شَوَّوْ ثَجِيطاً﴾**<sup>(١)</sup> وانظر إلى قوله: **﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ بِمَا كُنْتُمْ وَجْهَرْكُمْ﴾** لا تدل دلالة

ظاهرة على أن الله مستقر في السماء والأرض؛ لأنه يجوز أن يكون الطرف - أي في السموات وفي الأرض - معمولاً لقوله - يعلم - وتكون الجملة خبراً عن (هو) أو عن (الله) أو استثنافاً، والمعنى أنه يعلم سركم وجهركم في كل مكان لا إنه في كل مكان، وحيثند يعود الكلام إلى الكلام في الآية الأولى، هذا نموذج تقيس عليه ما لم تسمع، ثم أي عربي يفهم من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ آتَقْرَأُوا وَالَّذِينَ هُمْ تُحْسِنُونَ﴾<sup>(١)</sup> قوله: ﴿إِنَّمَا مَعَكُمْ أَنْسَعُ وَارَى﴾<sup>(٢)</sup> رامثال ذلك أنه في جميع الجهات؟! اللهم أنه لا يفهم أحد ذلك أبداً، بل هو كما جرت عادة العرب في مخاطباتها يقول الرجل لرجل يزيد مناصرته وهو عنه ناء بعيد: أنا معك؛ نظير قوله: ﴿بِكَائِنَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَقْرَأُوا اللَّهُ وَكُوِنُوا مَعَ الصَّلَدِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup> قوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَيْنَا شَيْطَانُهُمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ بِهِ﴾<sup>(٤)</sup> ولا قيمة لمن يلهم ويقول: حقيقة ومجاز، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز، فذلك كلام باطل في الدين وفي أساليب الكلام؛ والذي يلزم مراعاته في الخطاب هو ما يصدر إلى أذهان المخاطبين به.

**الثامن:** هب هذه الأخبار تدل على ما قلت، وهبنا وافقنا ظاهرها، وقد قال ذلك الجهمية من قبل؛ فليس بالإمكان في الخطأ من قولكم لا فوق ولا تحت، ولكن كان هذا القول فاسداً لا يمكنن قولكم أعظم فساداً، ولن تستطعوا أن تفسدوه بدليل صحيح وأنتم على عقیدتكم إنه لا يشار إليه في جهة فتبين أن نفي علوه بالقرآن الكريم واهن جداً. قال: قد أخبر القرآن في غير ما آية أنه تعالى لا يشبهه شيء كما قال: ﴿فَلَا يَنْجَلُوا فِيمْ أَنْدَادُهُ﴾<sup>(٥)</sup> وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٦)</sup> فلو كان فوق العرش لكان مثل المخلوقات في صفة الاستواء والكون في العجز، قلنا له هذه الشبهة فاسدة لأوجه:

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٦.

(٣) سورة التوبه، الآية: ١١٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢.

(٦) سورة الشورى، الآية: ١١.

الأول: تنتهي ألا يوصف الله بصفة ما: لا علم ولا حياة ولا وجود ولا غيرها، لأن هذه الصفات قد وصف بها المخلوق؛ فلو وصف الله بها لكان مثلها، وإذا الشبهة باطلة لانتاجها هذه الأباطيل.

الثاني: ولو كان يلزم اجتماع الموجودين في وصف تساويهما بحيث لا يصح أن نقول: ليس هذا كذلك، للزم استواء المخلوقات كلها، وكذب أن يقال: ليس هذا المخلوق كذلك المخلوق. فيكذب قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الَّذِي كَانَ لِأَنْفُق﴾<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّا يَسْتَبِدُّ فَوْمًا عَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْتَلَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ولما صح أن نقول: ليست الثملة كالجبل، ولنست البعوضة كالأسد؛ والفيل؛ بل صح أن نقولوا: إن الذرة الصغيرة المريضة مثل جميع المخلوقات وأن أبو بكر الصديق كأبي جهل وأبي لهب، وأن موسى كفرعون وقارون، لأن هذه الأشياء قد اجتمعت في وصف ما: ولا أظن عاقلاً يصح قولًا يصح هذه الأكاذيب.

الثالث: قول القائل هذا الشيء ليس كذلك الشيء لا يلزمه إنهم لا يجتمعان على صفة، وبيننا وبينكم لسان العرب؛ قال النابغة يمدح النعمان:

وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاسِ يُشَبِّهُ  
وَقَالَ أَمْرِيَّ الْقَيْسِ يُمَدِّحُ نَفْسَهُ:

عَلَيْهَا فَنِي لَمْ تَحْمِلِ الْأَرْضَ مِثْلَهُ  
وَقَالَتِ الْخَنْسَاءُ:

وَمَا يَبْكِيُونَ مِثْلَ أَخْيِي وَلَكِنْ  
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ:

وَمَا مِثْلَهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَسْلِكًا  
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، فَهَلْ هُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْ يَمْدُحُونَ لَا يَجْتَمِعُ هُوَ  
رِبُّ الْعَالَمِ فِي صَفَةٍ مَا!

الرابع: إذا رجع بكم الاستدلال إلى القرآن فقد قرب بعدهم؛ فإن الأخبار

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٨.

التي ظاهرها علوه تعالى أكثر وأبين من الأخبار التي جعلتموها دليلاً على سلبه هذه الصفة، ووجب المصير إلى الأكبر الأبين.

الخامس: لئن لزم علوه مماثلته لمخلوق ليلزم من نفيه أشنع من ذلك. وهو أن يماثل المعدوم الذي لا يكون، وليلزم من مشابهته الحقائق الكلية كالإنسانية والحيوانية، فهي لديكم موجودة في الأذهان لا في الأعيان، ولا يمكن أن يشار إليها في جهة، فقد فررت من شنيع - بزعمكم - إلى أشنع.

السادس: زلت أقدامكم حينما جعلتم نفي التماثل ينفي التوافق في أصل المعاني، أو في بعض المعاني؛ وهذا خطأ بلا مرية فتماثل الأشياء - في اللغة - هو تساويها - في الأصل - من جميع الوجوه، ولا يكون التماثل موجوداً - حقيقة - بدون ذلك، فإذا كان زيد موجوداً وعمر كذلك، لم يكنوا متساوين؛ بل يصح أن يقال زيد ليس كمثل عمرو؛ هذا شيء لا يعلق به خلاف، كما أنه لم يلزم من وجود الله مع وجود خلقه أن يكون مثلاً له.

السابع: لو صح ما قالوا ويظل كل ما قلنا لوجب تخصيص علوه تعالى من نفي المماثلة بالأخبار في ذلك، وبإجماع السلف، فهم أعلم بما يجب لله وبما يجوز له منا، وقد ذكرنا إجماعهم، قال: قد ثبت بالبراهين أن الأرض كروية؛ بل العالم كله كروي، وإذا كان كذلك لم يكن هناك علو مطلق، بل يكون العلو والسفل والجهات كلها إضافية - مما كان عالياً - بالنسبة إلى شيء - كان سافلاً - أو في جهة أخرى - بالنسبة إلى شيء آخر، فلا يمكن أن يكون الله فوق كل شيء إذا، بل لا بد أن يكون تحت بعض خلقه، وإذا كان سبحانه فوقنا كان تحت الذين تحتنا من الجهة الأرضية الأخرى المقابلة لنا، وأنتم لا تقولون - ولا غيركم - إن الله تحت شيء، أو أنه فوق شيء دون شيء؛ وإذا لا يمكن أن يكون فوق للزوم هذا الباطل، قلنا له هذه شبهة ضعيفة، وأظن أنكم قلدتم الرازى فيها فقد ذكرها في بعض كتبه، وجوابها من وجوه:

الأول: علمنا أن الموجود لا بد أن يكون في جهة من الموجود الآخر أقوى وأظهر من علمنا بما تقول - من أن الجهات إضافية - وأن العالم كروي، وأن ما كان أعلى بالنسبة إلى شيء فهو أسفل بالنسبة إلى شيء آخر مع ما يلزم من

الفساد؛ والأمر لا يبطل بأضعف منه؛ فالعقلاء يعرفون معرفة ضرورية أن من لا يشار إليه في إحدى الجهات ليس موجوداً وإن كل موجود لا ينفك عن أن يكون في إحداها، وأما كروية العالم وما يستتبعه من الباطل الذي ذكرتم فعلمهم إيه علم نظري اكتسابي؟ ومن ينقض العلم الضروري بالنظري؟!

**الثاني:** أن يكون فوق، ويمين، وشمال - على الصفة المذكورة - أقرب إلى المعقول والمنقول من أن لا يكون في جهة، فإنه ليس في ذلك نقص ولا مخالفة نص، وقد أخبر القرآن الكريم أنه تعالى محبط بكل شيء قال: ﴿وَحَكَانَ اللَّهُ يَكْلُلُ شَوْءَ وَمُحِيطًا﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿فَإِنَّمَا تُؤْلَوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> وأما قولكم فليس عليه إثارة من نقل أو عقل، ولا تقولن: كيف يجوز أن يكون محيطاً بخلقه ذاهباً خيالك في ذلك مذاهب، مقدراً أنه يلزمك أن يكون كذا وكذا فالله ليس كمثله شيء، وما أضل الناس مثل تمثيلهم الخالق بالمخلوق وإنك - إن جررت خلف الوساوس - لم يبق معك علم ولا دين، وقال لك خيالك: لو كان الله موجوداً لكان كيت وكيت، ولو كان له صفة لكان جسماً ولو كان جسماً، لكان ذا حدوده ولكان مؤلفاً من الجواهر، وقد قال الله ﴿فَلَا تَضَرُّوا لِلَّهِ الْأَمْتَالُ﴾<sup>(٣)</sup>.

**الثالث:** ليس التزاع على الألفاظ؛ والذي نزعمه أن الله فوق عرشه كما قال؛ فإن كان يلزمك أن يكون تحت بعض خلقه؛ أو ألا يكون فوق كل الخليقة فلا يضرنا ذلك، ولا ينفي أن يكون مستوياً على العرش كما صرحت به كتاب الله وما لزم الحق فهو حق مرضي.

**الرابع:** الإلزامات في حق الله باطلة - على مذهبك ومذهب إخوانك؛ فكيف تلزمها بها لندع النصوص؛ أنتم تقولون: إن الله ليس بجوهر ولا عرض، ولا يخلو موجود من أحد الأمرين - ما خلا الله؛ وتقولون: العلم والرحمة وسائر صفات الله ليست أعراضاً - ولا تكون في غيره إلا أعراضاً باعترافكم؛ وتقولون: ليس بمتصل ولا بمنفصل من العالم؛ ولا مركب ولا بسيط، ولم تروا هذا محالاً، ولا دالاً على نفيه، فكذا يمكن أن نقول إن الله فوق العالمين؛ وليس فوقه منهم شيء، وإن كان

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٧٤.

العالم كروياً، ولو كان ذلك لا يتأتى لغيره، وتدبر هذا جيداً.

**الخامس:** العلو ما ضد الجذب؛ والسفل هو ما وافقه، فما كان حيث يكون الجذب فهو أسفل؛ وما كان عكسه فهو أعلى، فإذا كان شيء ضد الجذب - بالإضافة للعالم كله - فهو فوق العالم كله؛ وليس تحت شيء من العالم؛ واعتبر ذلك بطبقات البيت. فالطبقة الأخيرة من جانب السماء فوق جميع الطبقات وليس فوقها شيء منه؛ والسماء فوقنا، والأرض تحتنا، لأجل السبب الذي ذكرت؛ ولو أن شيئاً نزل من جانبي الأرض المتقابلين، والتقيا في المركز الأرضي لم يكن أحدهما فوق الآخر ولا تحته لفقد التجاذب أو لتعادله؛ فالارض تحتنا إلى حيث ينقطع الجذب، وما بعد الجذب من الجانب الآخر فوقنا، أي إن طبقات الأرض تحتنا إلى المركز الأرضي، وما بعد المركز من الطبقات هو فوقنا، فالسماء والشمس والقمر والكواكب كلها فوقنا لهذا السبب، وهذا لا خفاء عليه، فقولك: كل ما هو فوق فهو تحت غلط؛ فإذاً لا يتوجه الاعتراض الذي ذكرت على علوه.

**ال السادس:** هذا معارض بالأجرام العلوية؛ فإن هذه كلها فوقنا بإطلاقات الشارع؛ وإطلاقات العرب وال فلاسفة، وجميع الناطقين، ولم يقل أحد منهم إن شيئاً منها تحتنا - مع أن الاعتراض المذكور جار عليها، فالذين يعلمون أن السماء محيطة بالأرض يقولون إن السماء فوق الأرض، ولا يقول أحد منهم خلافه، وهذا يدل على أن مثل ذلك لا يقضي بأن يكون تحت؛ بل هو فوق وإن كان القول المذكور وارداً عليه بدليل كلام العرب، وخطاب من برهنوا على أن العالم كروي.

**السابع:** أخبر القرآن والحديث وجميع كتب الله بأن الله فوق عباده، والله ورسله يعلمون ما تقولون من صفة العالم وما يلزمها، ولم تخبر أنه تعالى تحت شيء من ذلك، وكلام الله ورسله حجة على كلامكم وكلام العرب.

**الثامن:** هذا الاعتراض المذكور وارد على الموجود من حيث هو، فإنه يقال: الله موجود، والعالم موجود، فاما أن يكون في كل جهة أو في بعض الجهات إلى آخر الاعتراض فما قلت إن كان صحيحاً ورد على الجميع والله أعلم، وهنا انتهت المنازرة بيننا وبين الشيخ المحترم.



## البراهين على علوه تعالى

البرهان الأول: الأقوال في هذا المقالة أربعة، أو القسمة العقلية رباعية: إما أن يقال إنه تعالى في كل مكان، أو ليس في مكان، أو في جهة العلو فقط، أو في جهة غير العلو، والأقسام - ما عدا الثالث - باطلة - كما ترى. أما الأول - وهو أن يكون في كل مكان - فبطلانه من وجوه:

الأول: المتنازع مسلم أنه ليس كذلك. فلا خلاف بيننا وبينه أنه ليس في كل مكان.

الثاني: هذا خلاف إجماع العلماء المحدثين، واجماع الرعيل الأول، بل خلاف إجماع المسلمين قاطبة، لم يقله إلا الجهم بن صفوان وأتباعه<sup>(١)</sup> وقد اتفق المعاصرون لهم - من محدثين وفقهاء - على أنهم زانغون. نقل هذا الحكم عليهم أئمة المحدثين مثل البخاري كما في كتابه: (خلق أفعال العباد) وأبن الإمام أحمد في كتاب (الستة) والبيهقي في كتاب (الصفات) له والإمام أحمد في رده على الجهمية، وأبن حزيمة وغير هؤلاء من أئمة الحديث والسنّة، واجماع المسلمين لا تصح مخالفته بحال ما؛ فإن الأمة الإسلامية لا تجتمع على ضلاله، ولا يجوز أبداً أن تتفق الصحابة والأئمة الأربع وغيرهم على الضلال، ولقد نقلوا عن الجهم بن صفوان أنه سمع مرة ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْمَرْءِ أَسْتَوْى﴾<sup>(٢)</sup> فأخذ المصحف فطرحه أرضاً وداسه برجله وقال لو وجدت سبيلاً إلى حك الآية لحكمكها من المصحف، وحدثوا عنه أنه كان يشخص إلى المجلومين والمصابين فيقول الرحمن الرحيم يفعل كذلك؟! ينكر أن يكون الله رحيماً، وكان من مذهبة أن العباد مجبرون كالجمادات لا فعل لهم ولا كسب، وكان لا يرى الله حكمة،

(١) سورة طه، الآية: ٥.

ويقول إن الله ليس بشيء يجوز أن يعذب الأنبياء والمرسلين ويدخلهم النار، وينعم الكافرین والمتبیئن وبخلهم في الجنة، وعنه من عيون الضلال شيء، كثير، ومثل هذا لا يلتفت إلى خلافه بل خلافه زيادة في ضلاله.

**الثالث:** يعرف كل عاقل - ضرورة - أنه - عز سلطانه - ليس في جميع الأماكن من المآخير وحوائط الخمر وسائر المعاوضة التي يتقدس عنها أمثال الخلق؛ ومن زعم ربه كذلك فقد اجترم جرمًا كبيراً.

**الرابع:** لو كان الأمر كذلك لكان معروجاً بال الخليقة، حالاً فيها حالة فيه وأي عاقل يرضى لربه ذلك؟

**الخامس:** لو كان كذلك لكان تحت الخلق أسفل من أسفلهم تحت أقدامهم، وكان يجوز لنا أن نقول: إنه تعتنا، وهذا من الوحشة ومخالفة الدين والإجماع كما ترون.

**السادس:** لو كان كذلك لكان يزيد وينقص: يزيد بنقص المخلوقات المalleة للقضاء ينقص بزيادتها، تقدس عن الزيادة والنقصان.

**السابع:** لو كان كذلك لكان متقدماً مفصولاً بعضه من بعض بتدخل الخليقة في ذاته وملابستها له.

**الثامن:** لو كان كذلك لكان غير متناهي الأطراف، بل كان يكون امتداده من جميع النواحي ليس متهيأ، وهذا باطل، ولو جاز في المعقول لجاز أن يكون العالم غير منه وجاز أن تكون السماء أو الأرض أو القمر والشمس أو مخلوق آخر ليس متهيأ، وهذا لا يرضاه المنازعون.

**التاسع:** لو كان كذلك لكان لا معنى للأخبار مثل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَّا صَفَّا﴾<sup>(١)</sup>؛ ﴿مَلَّ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي ظُلْلٍ وَمَنْ أَنْهَاكَمْ﴾<sup>(٢)</sup>؛ ﴿فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَنِّلِ جَعَلَهُ دَمَّا﴾<sup>(٣)</sup>؛ ﴿أَرْخَنْ عَلَى الْعَرْشِ﴾

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

آسْتَوْيَ) <sup>(١)</sup>; «إِنَّ مُؤْمِنَكَ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ» <sup>(٢)</sup>; «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» <sup>(٣)</sup>; «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكِبِرُونَ عَنِ الْعِبَادَةِ» <sup>(٤)</sup>; «يَمْنَاطُونَ رَبَّهُمْ بِنَ فَوْهَمَهُ» <sup>(٥)</sup> وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «يَنْزَلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ثَلَاثَ لَلَّيْلَاتِ الْآخِرَةِ» وَغَيْرُهَا مِنَ النَّصوصِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ فِي جِهَةِ نَفْقَطِ!

العاشر: كفروا النصارى لما قالوا إنَّ الربَّ حلَّ في بطن مريم وكفروا العرب لما قالوا: إنَّ الملائكةَ تحلُّ فيَهِ تَعَالَى، فَمَا الْحَالُ فِيمَنْ قَالَ إِنَّهُ تَعَالَى فِي جَمِيعِ الْبَطْوَنِ أَوْ فِيهِ جَمِيعِ الْبَطْوَنِ، هَذِهِ وُجُوهٌ عَشْرَةٌ تَنْفِي أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَالْأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يَسْتَشَهِدَ لَهُ.

وَأَمَّا الْقَسْمُ الثَّانِي: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ لَا فِي مَكَانٍ أَيْ لَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ وَلَا خَلْفَ إِلَى آخِرٍ، فَيَنْقُضُهُ وَجُوهٌ:

الْأَوَّل: هَذَا مَرْدُودٌ بِالْفَسْرَدَةِ مِنْ غَيْرِ تَفْكِيرٍ، وَمِنْ غَيْرِ مَقْدَمَاتٍ وَاسْتِنْتَاجٍ، فَالْعُقُولُ - عَلَى اخْتِلَالِهَا - لَا تَقْرُى أَنْ تَؤْمِنَ بِوْجُودِ مِثْلِ ذَلِكِ؛ وَلَا تَسْتَطِعُ أَنْ تَدْرِكَ أَنْ هُنَّاكَ مَوْجُودًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ لَهُ كُلُّ صَفَةٍ كَمَالٌ لَيْسَ فِي جِهَةٍ مِنَ الْجَهَاتِ الْمُفْرُوضَةِ وَالْمُتَوَهَّمَةِ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّهُمْ مُقْتَنِعُونَ بِذَلِكَ يَكْذِبُونَ مَحْدُثِيهِمْ: خَاطِبٌ مِنْ أَرْدَتْ مِنْ لَمْ يَلْقَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَيَكْرِهُ عَلَيْهَا إِكْرَاهًا، وَانْظُرْ هُنَّ مُمْكِنُ أَنْ يَقْبِلُهَا وَأَنْ يَصْدِقُهَا؛ لَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِمَّا اجْتَهَدَتْ فِي تَبْلِغِهَا وَتَحْسِينِهَا لَهُ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ نَجَدُ الَّذِينَ لَا يَقْرَأُونَ هَذِهِ الْكِتَابَ - مِنْ أَهْلِ الْمَدَارِسِ وَعَامَةِ النَّاسِ - عَقِيدَتُهُمْ خَلْفُ ذَلِكَ، وَالْمُخَالَفَةُ فِي الْفَسْرَدَاتِ غَيْرُ جَائزَةٍ.

الثَّانِي: مِنَ الْأَحْكَامِ الثَّابِتَةِ عَنْدَ الْعُقَلَاءِ - بَلْ عَنْدَ جَمْلَةِ النَّاسِ - أَنَّ الْأَمْرَيْنِ الْمُتَنَاقِضَيْنِ لَا يَجْتَمِعُانِ وَلَا يَرْتَفِعُانِ، فَلَا يَكُونُ الشَّيْءُ الْوَاحِدُ لَا مَتَصَلًا وَلَا مَنْفَصَلًا وَلَا قَرِيبًا وَلَا يَعِدَّا وَلَا مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا وَلَا مَتَحْرِكًا وَلَا لَيْسَ بِمَتَحْرِكٍ، لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبْدَأً؛ فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ النَّقِيَاضَيْنِ لَا يَجْتَمِعُانِ وَلَا يَرْتَفِعُانِ،

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.

(٥) سورة النحل، الآية: ٥٠.

فمن قال: إن الله ليس في جهة فقد خالف تلك الضرورة، والخلاف في الضروريات هو س.

الثالث: لو صبح ذلك لصح أن يقال إن الله تعالى لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا كبير ولا صغير ولا عالم ولا جاهل ولا عالق ولا ليس بـ<sup>يُنْتَقِلُ</sup> ولا قديم ولا حادث فراراً مما فروا منه ولا يوجد دليل عقلي أو نكتي يبطله إذ قد جوزوا ارتفاع النقيضين، وإذا جاز ارتفاع تقىضين جاز ارتفاع غيرهما، والمقالة التي تصصح أن نقول: إن الله ليس موجوداً ولا معدوماً ولا حياً ولا ميتاً ولا عالماً ولا جاهلاً ولا رحيمًا ولا قاسياً مقالة مفهمة.

الرابع: لو سلست تلك المقالة لسلم - عقلاً - أن يقال: العالم ليس موجوداً ولا معدوماً ولا فانياً ولا ليس بـ<sup>يُنْتَقِلُ</sup> ولا قديماً ولا حادثاً، ولسلم أيضاً أن يكون مخلوق لا في جهة من الجهات ولا بـ<sup>يُنْتَقِلُ</sup> ولا كبير ولا قريب ولا بعيد ولا جوهر ولا عرض، وهذا ضرب من الجنة.

الخامس: يقول أئمة هؤلاء - كالرازي والأمدي - في السبعة على كون العالم مخلوقاً: إنه في الأزل إما أن يكون متحركاً أو ساكناً لا يخاف من أحد هما؛ ويقولون: الأجسام لا تخلو من الحركة والسكن، والحركة والسكن شستان وجوديان حادثان، وما لازمه العادث فهو حادث، فالآجسام - أو فالعالم حادث؛ هذا رئيس أدلة رؤسائهم على هذه المسألة العظيمة، وقد رأيت أن دليлем لا يبقى لهم إلا إن يقى لهم أن العالم إما أن يكون متحركاً أو ساكناً، وثبتت أحد الأمرين يثبت برهانهم؛ لكن على تقدير جواز ارتفاع النقيضين كما يقولون: في القديم لقائل أن يقول: إن العالم في الأزل لا متحرك ولا ساكت؛ أو يجوز أن يكون ليس متحركاً ولا ساكتاً، وعليه يقع برهانهم على حدوث العالم والأجسام؛ وهذا أصل الدين وما بعده دين، فإذا صاحوا به وقالوا: إنه لا يجوز ارتفاع النقيضين قال لهم: قد جوزتم ارتفاعهما في الرب القديم؛ فهم منتقلون بين أن يقولوا: لا دليل على حدوث العالم؛ أو يقولوا: لا بد أن يكون الله في جهة، وهو المطلوب.

ال السادس: لم ينقل ذلك عن أحد من السلف بـ<sup>بِسْنَدٍ</sup> صحيح مع كثرة ما نقل عنهم، ومن المعال اليين أن تكون هذه المقالة صواباً ولا تؤثر عن أحد منهم.

وقد طرقوا جميع أبواب العلم وروى عنهم الروايات الصحيحة الكثيرة فيها؛ أتى وقد جاءت الرواية عنهم الثابتة التي تهدم هذه المقالة كما سيأتي؟

**السابع:** نصوص القرآن والروايات النبوية والروايات عن آئمة الإسلام كلها خلاف ذلك. فهذا القرآن مملوءاً بآيات الفرقية له تعالى. وكذلك الروايات عن الرسول عليه الصلاة والسلام وعن علماء الإسلام، وهذا باب واسع وسيأتي مزيد ذلك إن شاء الله！

**الثامن:** لو أن الأمر كذلك لجاء فيه خبر عن الله وعن رسوله يقول لنا: إن الله ليس في جهة فلا تعتقدوها، وباطل أن يكون هذا هو الحق فلا يرد له خبر يرشد الفضاليين !!

**التاسع:** الذين قالوا تلك المقالة إنما قالوها هرياً من وصفه - عز سلطانه - بصفات الحدوث، ومعلوم أنه إذا أمكن أن لا يكون في جهة مع وجوده وفياته بنفسه ورؤيته بالأبصار - كما يقوله الخصم - أمكن أن يكون فوق دون أن تلزم صفة الحدوث، بل أمكن أن يقال: إنه جالس على العرش - ولستنا نزيد على الوارد - وأنه جسم محدود له أبعاد متناهية موصوف بصفات الحدوث فلا يصلح ترك ما جاءت به الشرائع؛ وتواترت عليه كتب الله لغير حجة. فإذا ما قالوا إنه يلزم علوه أن يكون جسماً، والجسم حادث، قلنا: إذا عقلتم أن لا يكون في جهة، والتزمتم أنه يرى بالأبصار؛ ولم تروا فيه معاولاً فلا يمنع أن يكون فوق - كما جاء في الأديان - وليس جسماً.

**العاشر:** القائلون كذلك ليس معهم سلطان، والقول بلا سلطان غير مسموع، ولا سيما أنه مخالف العقل والنقل، والمعارضة التي زعموها قوية تأني في القسم الثاني إن شاء الله.

**الحادي عشر:** لا فرق بين هذه المقالة، ومقالة من يقول: إن الله ليس موجوداً وليس حياً، ولا قادراً ولا عالماً، وليس له صفة مدح؛ ولا فعل حكمة، ولا قدرة، ولا سمع ولا بصر، ولا نعمت وجودي، ومع ذلك فهو الخالق الجبار بكل جميل؛ أنه لو كلف العقل أن يفرق بين المقالتين لکع وتلبد، فإذا عافوا أحد القرولين واسترحو منه، فليعلموا أن الآخر أخوه فليعملوا بيئهما.

الثاني عشر: من سلك هذا المسلك لم يقدر أن يثبت أمراً، ولا أن يقهر خصماً، ولا أن يسلم له برهان، فإنه إذا نازع مبطلاً فلا بد أن يقف تزاعهما على ضروري غني عن الحججة والاستدلال؛ فإذا خالف المنازع في الضروري وطلب البرهان عليه، وقال له هذا ضروري غني عن البرهان قال له: أنت قد نازعت في الضروري، قلت: إن هناك موجوداً ليس في جهة، وهو من أظهر الأمور بطلاناً، قلت: إنه مرئي بالأبصار وليس قريباً من الرائي ولا بعيداً، وليس في جهة منه، وليس جوهرأ ولا عرضاً، وقد رأيت لبعض المسيحيين مؤلفاً ذكر فيه مناظرة بيته وبين عالم من المسلمين ذكر هذا المسيحي أن العالم المسلم انتقل معه إلى إبطال عقيدة النصارى في المسيح؛ وفي مريم، وفي رب تعالى، وإبطال قولهم في الأقانيم الثلاثة، فجعل النصراني كلما قال له المسلم: هذا ظاهر البطلان، ضروري السقوط، لا يعقله أحد، يقول له: وأنت مثلي أيها المسلم، قد قلت ما هو ظاهر البطلان، قلت إن هناك رياً كاملاً الوصف، مرئياً متكلماً منادياً، وليس في جهة؛ فليس قول النصارى في المسيح ومريم بأبين بطلاناً من قولكم أيها المسلمون في رب والجهة، والعقول لا حكم لها في الأديان وإن لم يبطل قول النصارى والمسلمين، فاستكان المسلم ولم يجد مخرجاً من ذلك المأزق. ودارت محاورة بين واحد من هؤلاء، وبين ملحد ينكر رب. قال الملحد: إن الطبيعة هي التي حاكت هذا العالم وبنته هذا البناء الرائع، قال مجادله: ما الطبيعة؟ أجوهر أم عرض؟ قال الملحد: ليست جوهرأ ولا عرضاً، فصاح به مجادله: لا يمكن ذلك ولا يكاد يصح ما تقول. قال الملحد: فما بالك صبح عندك أن الله ليس جوهرأ ولا عرضاً؟ ولا فوق ولا تحت إلى آخره فأفخم المسلم. وتناظر اثنان في خلق الملائكة قال أحدهما: ما هم بجواهر ولا أعراض، فقال صاحبه: لا يسلم ذلك المنطق. لأن الموجود إما جوهر وإما عرض؛ فقال مخالفه أست تقول: إن الله ليس جوهرأ ولا عرضاً؛ ولا فوق ولا تحت؟ فانقطع، وتخاصم رجالان في الأرواح قال أحدهما: لا داخل الأبدان ولا خارجة عنها. قال الآخر: إن هذا لا يعقل فقال المبطل قد عقلت أن الله لا داخل العالم ولا خارجه؛ فخصم، والقول الذي ينتصر عليه الباطل ويهزمه معه الحق ليس حقاً.

وأما القسم الرابع - وهو أن يكون في جهة غير العلو: - فجوابه من وجوه:

الأول: هو خلاف إجماع المسلمين فما قال مسلم إن الله كذلك.

الثاني: المخالفون لا ينزعوننا في أنه في جهة غير العلو؛ فلا نتجشم مؤنة الإبطال.

الثالث: هو ضد الأخبار السماوية، فهي - كما يقولون - تخبر أنه تعالى مستو على العرش وقد توجد أخبار يفهم منها بعض أنه في كل مكان، ولكن لا يوجد ما يدل على أنه في جهة غير جهة العلو.

الرابع: - بالبداهة - العلو أشرف الجهات؛ وبالبداهة أن الله أعظم الشرف وأتمه، فإذا أمكن أن يكون في جهة فلن تكون غير السماء.

الخامس: لو كان كذلك لجاز أن يقول المسلم: إن الله ورائي أو أمامي أو تحتي وبالضرورة لا يجوز؛ فإذاً لا يكون ذلك حقيقة؛ ووجب بالوجه الخامس أنه تعالى ليس في غير العلو فقط، ووجب بها أن لا يبقى من الأقسام المذكورة إلا القسم الثالث وهو: ﴿أَرَأَنَا عَلَى الْمَرْءِ أَمْتَرَى ⑥ لَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا يَنْهَا مَا تَحْتَ الْأَرْضِ ⑦﴾<sup>(١)</sup> وهذا برهان قاطع كل ريب.

## البرهان الثاني

### الأخبار السمعية السماوية

وهي أقسام أربعة: القرآن. الحديث. الكتب السالفة كالتوراة والإنجيل. الروايات عن الأنبياء السالفين. وهذه أربعة أقسام من الكلام السماوي تتجابب على أن الله فوق العالمين، ودلالتها على ما نريد من وجوه:

الأول: اتفاقها عليه بلا خوف.

الثاني: كثرتها كثرة تفوت الحصر والإحاطة.

الثالث: مجيزتها بالعبارات الواضحة الجلية.

(١) سورة طه، الآيات: ٦ - ٧.

الرابع: لم يوجد ما يخالفها منها ولا من غيرها.

الخامس: علمنا بالاستقراء أنه لا بد أن يكون في العرب من يتلقى تلك النصوص على ظاهرها ويدينها كذلك، ومعه لم يأت لفظ واحد يقول: إن الظاهر غير مراد وأنها مجازات وكتابات عن كذا وكذا.

ال السادس: الرغبة عن التعبير بما يقولون: إنه المعنى مع القدرة عليه ومع العلم أنه ما نزل كتاب من السماء إلا للهداية والتيسير، فلو كان ما يقولونه مراداً من الاحتمالات والالغاز لجاء به خير، وأما من يقول إنما جاءت النصوص كذلك - امتحاناً للعباد وفتنة، فهو قول جاهل مفتون.

السابع: لو لم يكن كذلك لكان كتب الله نعمة على الناس وشراً، ولكان خيراً لهم لو لم تنزل عليهم؛ ولو لم يأت إليهم وهي من السماء، وقد لزم قول هؤلاء أن الله - أرحم الراحمين - قد بعث إلى عباده بقانون ظاهره كفر وزيف، ولم يقم على ما يريد تربيته، وطلب منهم أن يفهموا الحق الغامض، وإلا كفروا وهلكوا، ولو فعله مخلوق مع مخلوق آخر لكان من السفهاء الظلمة. ولو أن أمير البلاد بعث بخطاب إلى قومه مملوء بالمجازات المحجوبة وطلب منهم أن يعرفوا ما يريد ولم ينصب عليه شاهداً لكان من المعتديين الجاهلين.

الثامن: اختلاف الأساليب، وتعدداتها، وهناك نموذجاً من اختلافها: ﴿وَرَأَيْنَ  
هُنَّ الْعَرْشَ أَسْتَوْى ⑥﴾<sup>(١)</sup>؛ ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ⑦﴾<sup>(٢)</sup>؛ ﴿إِنَّ مُتَوَكِّلَ  
إِلَيْهِ ⑧﴾<sup>(٣)</sup>؛ ﴿بَلْ رَفِيعُهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ⑨﴾<sup>(٤)</sup>؛ ﴿تَرَوْحُ الْمَاتِئِكَةَ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ⑩﴾<sup>(٥)</sup>؛ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْنَدُ  
رَيْنَكَ لَا يَسْتَكِنُونَ عَنِ عِبَادِيَّهِ ⑪﴾<sup>(٦)</sup>؛ ﴿إِنَّ الْتَّقِينَ فِي جَهَنَّمْ وَهَنَّ ⑫  
فِي مَقْدِيدٍ حَذِيرَ ⑬﴾<sup>(٧)</sup>؛ ﴿تَزَرِّيلُ الْكِتَابِ مِنْ أَنْهُوَ الْعَزِيزُ لِلْحَكِيمِ ⑭﴾<sup>(٨)</sup>؛  
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ⑮﴾<sup>(٩)</sup>؛ ﴿لَمْ يَنْتَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَتَحِيفَ بِكُمْ أَلْأَرْضَ ⑯﴾<sup>(١٠)</sup>؛ ﴿فَهُمْ

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٥٨.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤.

(٦) سورة طه، الآية: ٥.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

(٩) سورة النساء، الآية: ١٥٨.

(١٠) سورة العنكبوت، الآية: ٤.

**أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ<sup>(١)</sup>**؛ **﴿سَيَّجَ أَسَدَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾<sup>(٢)</sup>**؛ **﴿فَلَمَّا جَعَلَ رَبُّهُ لِلْجَنَّبِ  
جَعَلَهُ دَكَّانَهُ<sup>(٣)</sup>**؛ وشببه كثير، تعدد في المبني مع اتحاد في المعنى. ومثل هذا لا يجوز أن يكون مجازاً كاذب الظاهر.

**الحادي عشر:** لم تأت رواية عن واحد من السلف أنه قال: ظواهر الكتاب والسنة ليست مرادة، بل جاء عنهم الإيمان بها والأمر به؛ ومن الباطل أن يكون الظاهر باطلأ فلا يعرفوه، أو يعرفوه فلا يحذروا منه، أو يحذروا منه فلا يصل إلينا.

**العاشر:** لم يجيء عقل ولا نقل يرشد إلى صرف الظاهر ونبذه فلا تجوز مخالفته بغير برهان.

**الحادي عشر:** لا يمكن غير ذلك كما بناه في البرهان الأول، وكما بنا أن القول غيره جنون.

**الثاني عشر:** ما عهد في لغة من لغات العالم أن يقع في مؤلف من مؤلفاتها دنيوي أو ديني ألفاظ كثيرة على معنى واحد، وكلها مجازات لا تختلف؛ مثل ذلك لم يعهد ولن يعهد؛ وهذه الكتب أاماً.

**الثالث عشر:** لو كان كذلك لجينا على الألفاظ شر جنائية، ولعريناها من أن تكون موطنًا للثقة والإفادة، فإنه إذا صرحت أن تكون مثل هذه الألفاظ في علو الله مجازاً كافرة الظاهر؛ سقط الاعتبار بالألفاظ، ولم تعد نافعة؛ وهذا عين الهوس. هذه أمور تفيدنا أن علو الله حقيقة تمنع المجاز والتأويل، ومن نحا إلى التأويل في هذه النصوص علق به عدة أمور:

**الأول:** اتهامه وهي الله بالتلبيس وتميمية الحق.

**الثاني:** نزع الثقة من كلام الله وكلام رسوله في أشرف المسائل وهو باب الإيمان والعقيدة.

**الثالث:** تسلط الملحدين على إفساد النصوص وتمكنهم أن يحرفوا الشرائع

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأعلى، الآية: ١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

ويردوها بضرورب من التأويلات. مثل مباحث البعث والنشور والجنة والنار والصراط والميزان وعذاب القبر ونعيمه، فإذا قيل لهم هذا خلاف ما يريد الله وخلاف المعقول - يقيناً - قالوا قد قال غيرنا شرّاً من قولنا وأبعد عن المعقول في مسائل علو الله وصفاته ويوردون لأنفسهم من المعاذير والشبه أكثر مما يورد هؤلاء وهل ضلت طائفة الباطنية والنصيرية والإسماعيلية إلا بالتأويل البعيد وهتك حرمتها بالمجاز؟

الرابع: ذمهم بذلك السلف الصالح أقيح ذم؛ فقد صمتو أجمعون عن بيان الحق، وعن تأويلهم الظواهر مع أنهم يعلمون أن ظاهرها لا يراد بل كفر وغي - كما يزعم هؤلاء - وأمر كهذا لا يجوز أن يصمت عنه مسلم.

الخامس: قد فتحوا على أنفسهم وعلى الأمة الإسلامية باب المشاغبات والجدال مثيراً لاحن والعداء، وكم في كتف ذلك من عيوبها وكيف فيها من آلة باطنية وظاهرة؟ ولولا تأويلاتهم الزائفة لما وقع كل ما وقع.

ال السادس: تناقضوا ولم يجرروا على نمط سوي، بل أولوا الأمر وتركوا نظيره، وكفروا بأية رأمنا بأختها، وهو وهن في البحث: مثلاً يقولون آيات العلو رلا يقولون آيات الرؤية والسمع والبصر.

السابع: قد ظلموا اللغة العربية التي هي أشرف اللغات - كما يقولون - قالوا: إنها تأتي بمثل تلك الألغاز والإيماء، وإنها قد تورد المعنى الواحد المتتجاوز فيه بعبارات كثيرة جمعتها مجاز، ومثل هذا يحفظ اللغة وينقصها.

### البرهان الثالث

احتج القرآن الكريم في مواطن كثيرة على إبطال ربوبية كثير من الأجسام المحاطة بالجهات المتمكنة في الأحياز بغير هذه الحججة: احتج - كما حكى عن إبراهيم عليه السلام - على إبطال ربوبية النجم والشمس والقمر بأفولهن واحتاج بهن وهو يراهن سائرات في الجهات؛ فلو كان رب لا يكون في جهة لا يحتاج على مطلوبه بكونهن في الجهات: **وَكَذَلِكَ رَبِّ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوْرِقِينَ** ﴿٧٥﴾ فلما جئَهُ أَيْلُلَ رَبَّا كَوْنِكَمَا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ

قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلَاتَ ⑥ فَلَمَّا رَأَى الصَّرْ بَارِعًا قَالَ هَذَا رَقٌ فَلَمَّا أَقْلَ قَالَ لَمْ يَهْرِفْ رَقٌ لَا كُوْنَكَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ⑦ فَلَمَّا رَأَى السَّمَسَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَقٌ هَذَا أَكْبَرٌ فَلَمَّا أَقْلَ قَالَ يَنْقُوْرِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشَرِّكُونَ ⑧ )<sup>(١)</sup> واحتاج حكاية عنه أيضاً على الذي حاجه في ربه ليطول ربوبيته بأنه لا يقدر أن يعيي ولا أن يميت، ولا أن يغير مجرى شيء مما هو لازم حالة واحدة فلا يأتي بالشمس من المشرق إلى المغرب مثلاً، ولو أن الرب لا يكون في جهة لاحتاج بأنه في جهة على إبطال ربوبيته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِي حَاجَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّيْهِ أَنَّ مَائِلَةَ اللَّهِ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّيَ الَّذِي يَعْلَمُ وَيُعْلِمُ فَلَمَّا أَتَى أَنْتَيْ وَأَمْلَأَتْ فَلَمَّا إِبْرَاهِيمَ قَالَكَ اللَّهُ يَعْلَمُ يَالسَّمَسَ مِنَ الْمَشْرِقِ فَلَمَّا يَهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُوْتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْوِي النَّوْمَ الظَّالِمِيْنَ﴾<sup>(٢)</sup> واحتاج على إبطال ربوبية عيسى وأمه - عليهما السلام - بأنهما مولود ووالد، وبأنهما يأكلان الطعام؛ ولو أن الرب لا يكون في جهة لكان حلولهما في جهة هو الحجة، قال تعالى: ﴿هُنَّا الْمُسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ فَدَ خَلَّتِ مِنْ قَبْلِهِ أَرْسَلَ وَأَمْلَأَ صِدِّيقَةً كَانَتِ يَأْكُلَانِ الْقَمَامُ أَنْظَرَ حَتَّىْتَ لَهُمُ الْأَيْكَتِ نَمَّةَ أَنْظَرَ أَنَّ يُؤْنَكُونَ ⑨﴾<sup>(٣)</sup> واحتاج على إبطال ربوبية عجل بنى إسرائيل بأنه لا يرجع قوله ولا يملك نفعاً ولا ضراً، ولو أن الرب منزه عن الجهة لكان كونه في جهة هو الحجة. وكان فرعون مدعياً الربوبية وكان موسى يتحجج على إبطال دعواه، ولم يتحجج بكونه في جهة، إلى غير ذلك مما ذكره القرآن، ونظيره في السنة عن الرسول عليه الصلاة والسلام هذه قصة الدجال الكذاب الذي يطلع في آخر الزمان، ويزعم أنه رب العالمين متواترة في كتب السنة قطعية لدى علماء الحديث، يحتاج الرسول ﷺ - ويعلم أصحابه أن يحتاجوا - على أنه كاذب ليس رباً بأنه أعزور والله ليس بأعزور؛ وبأنه مكتوب بين عينيه كافر، ولم يتحجج بكونه في جهة؛ ولستنا نشك - إذا جانينا الهوى وأنصفنا الحق - أنه لو كان الرب منزهاً من الجهات لكان هذه هي الحجة؛ أو لكان أفضل حجة على إبطال ربوبية هؤلاء، ولعل هذا البرهان أنفع البراهين وأصدقها بعقول العامة وأشباههم.

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٧٥ - ٧٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٧٥.

### البرهان الرابع

لا جرم أن العقيدة أفضـل ما جاء به الإسلام؛ وأعظم ما اجتهد في تصحيحـها القرآن، حتى قال بعض العلماء ما أنزل الله كتاباً، ولا بعث ذبيباً إلا لأجلـ العقيدة، ولأجلـ تطهيرـها من الأوشـابـ القراءـةـ، والأوـهامـ الكاذـبةـ؛ ولا جرمـ أنـ ماـ تعلـقـ بـذـاتـ اللهـ مـنـهـ هوـ أـشـرـفـهاـ وـأـبـلـاـهاـ بـالـعـنـيـةـ وـالـاهـتـعـامـ، ولا جرمـ أنـ مـسـأـلةـ عـلوـهـ مـنـ ذـالـكـ فـيـ المـحـلـ الـأـرـفـعـ، ولا جرمـ أنـ اللهـ رـحـيمـ بـعـبـادـهـ مـحـبـ هـدـاـهـمـ كـارـهـ ضـلـالـلـهـمـ يـرـيدـ لـهـمـ الـخـيـرـ وـالـيـسـرـ، وـيـكـرـهـ لـهـمـ الشـرـ وـالـضـيـقـ، ولا جرمـ أنـ مـحـمـداـ رـسـولـ اللهـ لـمـ يـأـلـ فـيـ نـصـحـهـمـ وـلـمـ يـتـرـكـ وـسـعـاـ فـيـ إـصـلـاحـ فـاسـدـهـمـ، ولا جرمـ أنـ الـكـتـابـ وـالـسـنـةـ مـمـلـوـأـنـ مـنـ إـثـبـاتـ الـعـلـوـ لـهـ تـعـالـىـ، طـافـهـانـ بـنـسـبـتـهـ إـلـيـهـ تـقـدـسـ، ولا جرمـ - بـعـدـ ذـلـكـ كـلـهـ - أـنـهـ لـاـ يـوـجـدـ فـيـ الـقـرـآنـ وـلـاـ فـيـ الـحـدـيـثـ لـفـظـ وـاحـدـ يـقـولـ: أـيـهـاـ النـاسـ - أـوـ أـيـهـاـ الـمـؤـمـنـونـ: - اـعـلـمـواـ أـنـ اللهـ لـيـسـ فـيـ جـهـةـ، وـأـنـهـ لـاـ يـجـوزـ فـيـ حـقـهـ؛ وـأـنـ النـصـوصـ الـمـوـهـمـةـ بـعـلوـهـ مـؤـولـةـ مـصـرـوـفـةـ عـنـ ظـلـاـهـرـهـاـ إـلـىـ ضـرـوبـ الـمـجـازـ وـالـكـنـياـتـ وـالـاسـتـعـارـاتـ، لاـ جـيـمـ أـنـ هـذـهـ حـقـائـقـ ثـابـتـةـ لـاـ يـحـومـ حـوـلـهـاـ شـكـ وـلـاـ يـمـسـهـاـ رـيـبـ، ولاـ جـرمـ أـنـ الـمـخـالـفـينـ لـنـاـ فـيـ نـفـسـ الدـعـوىـ وـأـصـلـ الـمـوـضـوعـ لـاـ يـخـالـفـونـنـاـ فـيـ وـاحـدـةـ مـنـ الـحـقـائـقـ الـمـذـكـورـةـ، ولاـ جـرمـ أـنـ النـتـيـجـةـ الـبـارـزـةـ الـمـحـصـلـةـ مـنـ مـجـمـوعـ هـذـهـ الـأـمـورـ: أـنـ اللهـ فـوـقـ الـعـالـمـينـ وـأـنـهـ لـاـ يـجـوزـ غـيـرـهـ، وـأـنـ النـصـوصـ الـقـائـلـةـ بـعـلوـهـ باـقـيـةـ عـلـىـ بـابـهـ وـظـاهـرـهـاـ، وـأـنـ قـوـلـ غـيـرـ ذـلـكـ طـعنـ فـيـ الرـسـالـةـ وـفـيـ الرـسـولـ، طـعنـ فـيـ الـحـقـ سـبـحـانـهـ وـفـيـ رـحـمـتـهـ وـعـدـلـهـ وـحـكـمـتـهـ، رـأـنـ الـمـخـالـفـينـ الـمـؤـولـينـ طـاعـنـونـ فـيـ اللهـ وـفـيـ كـتـبـهـ وـفـيـ رـسـلـهـ حـيـثـ لـاـ يـشـعـرـونـ. فـسـلـمـ بـهـذـاـ الـبـرـهـانـ الـقـاهـرـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: ﴿هُوَ أَمِنْتُمْ مَنْ فـيـ السـمـاءـ وـأـنـ يـخـيـفـ يـكـمـ الـأـرـضـ﴾<sup>(١)</sup> وـشـبـانـهـاـ مـنـ التـكـذـيبـ وـالتـحـرـيفـ الشـائـنـ.

### البرهان الخامس

اجمـاعـ السـلـفـ، وـالـبـرـهـانـ مـؤـلـفـ مـنـ مـقـلـعـتـيـنـ:

الأولـيـ: إنـ السـلـفـ أـجـمـعـواـ عـلـىـ عـلوـهـ تـعـالـىـ.

(١) سـوـرـةـ الـمـلـكـ، الـآـيـةـ ١٦ـ.

الثانية: إن إجماعهم حجة. أما المقدمة الأخيرة فالخصم لا ينزع فيها، فلا  
تطيل القول إذا؛ والبراهين عليهما كثيرة ليس هذا مكان ذكرها. وأما المقدمة  
الأولى فرهان صدقها أمر: ١٣٧

**الأمر الأول:** نقل العلماء الصادقين عنهم ذلك بالمؤلفات الشهيرة المنتشرة بين المسلمين، الدعوة عندهم. وهم من حكمي الإجماع الأوزاعي، فروي عنه البيهقي في كتابه (الأسماء والصفات) ورواه غير البيهقي قوله: «كنا - والتابعون متوافقون - نقول: إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته تعالى» وحكاه أينما شهان بن سعيد الدارمي في كتابه: (النفح على بشر بن خياط المريسي) قال الدارمي: اتفاقت الكلمة من المسلمين أن الله فوق عرشه فوق سمواته على عرشه» وحكاه الترمذى في بحثه وقد تقدم، وقال ابن عبد البر: «أجمع علماء السجدة والتابعين أن الله على عرشه وعلمه في جميع الأماكن؛ وما في الفهم أحير يحيى به» وقال: «أجمع أهل السنة على الإقرار بأنتشار الصفات الواردة في القرآن والحديث و قالوا إنها «حقيقة لا مجاز» وحكمي الإجماع القرطبى في تفسيره وتقدم، وحكاه ابن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب السنة له، وحكاه ابن رشد في فلسنته وقد تقدم وحكاه غير هؤلاء من آئمة المحدثين والمفسرين وهو كثير جداً ومن داخله فيما نقول شيئاً، فأمامه الكتب التي ذكرناها، ومن لا يسعه ريب في صدق هؤلاء فليس عنده أحد يشك به غير (مجلة الأزهر نور الإسلام) وأبعطالها الموسومين بالورع والزهد والتضلع من علوم الحديث.

الأمر الثاني: الروايات عنهم المنشورة في كتب الحديث والتفسير وكتب الوعظ والتوحيد، وهو كثير يعز إحصاؤه، ومن أحب أن يقف على جملة من ذلك فعليه بكتاب الأسماء والصفات للبيهقي وكتاب السنة لابن الإمام أحمد وكتاب السنة للإمام الالكائي الطبرى، وكتاب الإمام البخاري (الصحيح) (وخلق أفعال العباد) وكتب الإمام الأشعري مثل (الإبانتة) وسواها، وتفسير ابن جرير وتفسير ابن كثير وتفسير البغوي وجامع الترمذى وسائر كتب الحديث لا أخص واحداً منها، فمن ودَّ أن يتبع ذلك فعليه بالكتب المشار إليها، وما العلم وما الدين إلا ما نقلته ورضيته؛ وإنني لا أحب أن يقللني أحد بل أحب أن يجهد وأن يأخذ من حيث أخذت. والكتب - والحمد لله - سهلة المنال، لا يعز على أحد قراءتها.

**الأمر الثالث:** - الدال على إجماعهم - هو سكتهم على تلك الظواهر ومحابتهم صرفها عن ظاهرها، فلو كانوا لا يدينون ظاهرها لما حل لهم أن يسكتوا عن بيانها، والتحذير منها، فإن التحذير من الصلال هدى ودين، ونصح له ولرسوله وقد جمعوا ذلك كله، وما جاء عن واحد منهم يستد بقوله قبل أنه صرف شيئاً عن ظاهره، ولا أنه قال: لا تعتقدوا **﴿أَرْجُنُ عَلَىٰ أَنْتُمْ أَنْتُمْ﴾**<sup>(١)</sup> وغيرها، ومن الحال البين أن يكونوا لا يؤمنون بالظاهر، وأن يروه كفراً ثم يسكتوا عليه من دون بيان مع قدرتهم على البيان - وقلة المانع منه، وقد تكلموا على كل أبواب العلم والدين بتوسيع وإيضاح.

**الأمر الرابع:** نعرف بالاستقراء والتواتر أن السلف لم يكونوا يخالفون ظواهر الدين وما يتبادر منه عندما يسمعونه. لم يعهد مثل ذلك عنهم بل المعلوم عنهم أنهم يلزمون ظواهر الدين وما بان منه بدون تكلف وتأنيل ولا تعمق.

هذه أوجه أربعة تفيدك أن السلف كانوا مجتمعين على علوه تعالى وعلى أن الأخبار في علوه بريئة من التأويل، ومعخالفونا لا يخالفوننا في المقدمة الثانية وإنما يخالفون في الأولى؛ وحيثئذ يرد عليهم أمور:

**الحادي:** أن يكذبوا الروايات عن السلف المتواترة، وهذا يؤدي إلى تكذيب أكثر الدين، وإلى تكذيب السنة كلها، ويفتح الباب للمكليين على مصراعيه.

**الثاني:** أن يصدقوا تلك الروايات، ويصرفوها عن ظاهرها، ويجعلوها مجازات - كما فعلوا بالقرآن والسنة، وهذا أسهل الأمرين على أنه يلزمهم أمر باطلة:

**الأول:** أن لا يعلم مذهب أحد من الناس. أكفر أم إيمان؟ لوجود هذه الاحتمالات من المجاز.

**الثاني:** أنهم لا يرضون ذلك التأويل والمجاز في كلام خصومهم ومخالفتهم، فإذا قيل لهم: قولوا في كلام المعتزلة والجبرية والكرامية والشيعة - مما ترونـه ضلالاً - إنه مجاز مصروف عن ظاهره - كما قلتم فيما نقل عن

(١) سورة طه، الآية: ٥.

السلف والأمراء شرع - أبوا ذلك. وكذلك لا يررضون أن يقال مثله فيما نقل عن ابن تيمية وابن القيم ومن ذهب مذهبهم. بل يتركون كلامهم الذي يظلونه باطلأ على ظاهره ويضليلونهم أو يكفرونهم من جرائه، وكذا لا يررضون أن يذهب هذا المذهب في كلام الكفار من يهود ونصارى ومجوس، وكان الحق من مذهبهم أن يررضوه وإلا تناقضوا.

**الثالث:** نستطيع أن نؤول مثل ما أتوا في المنقول عمن يرونهم راشدين موافقين لهم كالرازي والأمدي وابن سينا وأخراً منهم. فنقول: إن ما ينقل عنهم مما يدل على نفيهم علو الله هو مجاز معروف عن ظاهره، والحق أنهم موافقون لنا بؤمنهم بعلوه على خلقه كما تظاهرت عليه الكتب السماوية وهذا عجيب؟

**الرابع:** إن ذلك صريح لا يجوز عليه خلاف، وهو مكرر عنهم تكريراً يحسم كل شك وريب، مؤكداً بعبارات تبرأ من كل مجاز وتأويل، ولقد رأيت آخر من ألف في المسألة انتهى متاحاً غريباً: عمد إلى ما نقل عن بعض الحنابلة؛ وإلى ما ذكره ابن القيم في الصواعق، وما ذكره الذهبي في كتاب العلو، وما ذكره ابن تيمية في سائر كتبه: عمد إلى ذلك فأبقياه على ظاهره ولم يرض فيه مجازاً فضلهم من أجله وكفراً بهم حيناً، وعمد إلى ما نقل عن الأئمة الأربع وغيرهم؛ وإلى ما نقل عن المحدثين مما هو شبيه كلام الأولين صراحة فأوله ونهاه عن ظاهره فنجاهم من تكفيه وتفسيقه

وكان حالهما في الحكم واحدة لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم وليس هذا المصنف أول من جاء بالمعاجيب، ولا أول من فرق بين المتفقات وإنني أتحدى جميع المخالفين أن يدلوا بدليل واحد عن رجل واحد من السلف بنقل صحيح أنه نفى علو الله، وأول الوارد به. أتحداهم - وأنا على علم - أنهم لن يفعلوا

### البرهان السادس

«فَطَرَ اللَّهُ أَلْقَى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْقِيَمَةُ وَلَذِكْرِ أَكْثَرِ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>(١)</sup> كل مولود خلي وفطرته. يعتقد بعد تمييزه

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠

أن ربه فوق كل شيء: كل رجل وامرأة لم يتعلماً يعتقدان أن الله فوق كل شيء.. هذا أمر ثابت مشهود. وهذا البرهان قائم على مقدمتين:  
الأولى: إن فطرة الناس كما ذكرت.

الثانية: إن فطرتهم رشد يلزم الإيمان بها. أما الأولى فيدل عليها أمور:  
الأول: حكاية العلماء ذلك، فإن المؤلفين في ذلك جمِيعاً يقولون كما قلنا  
وما قالوه إلا بعد الخبرة فالعلم؛ ثم لم ينكروه مخالفوهم عليهم.  
الثاني: الاستقراء الذي فعلته أنا وغيري، فامتحنت كثيراً من الأميين  
والأطفال؛ فالفيتهم مجمعين على أن خالقهم فوقهم، والاستقراء لا يختلف ومن  
شك فليفعل، كما فعلنا.

الثالث: أفعال المذكورين - بل أفعال جميع المكلفين .. تشهد لهذه المقدمة .  
فهم يرثون أيديهم ويشخصون بأبصارهم إلى السماء عندما يطريقهم طارق؛ أو  
يرغبون إلى الخالق . هذه دلائل على إيمانهم بعلوه تعالى؛ والمقدمة الثانية  
يصدقها أمور:

الأول: الأخبار مثل قوله: ﴿فَأَفْتَرَ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فَطَرَتِ اللَّهُ أَلَّيْ فَطَرَ  
النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَتَبَدَّلُ لِخَلْقِ اللَّهِ أَلَّيْهِ فَقَدْ أَمْرَهُ بِالبقاء عَلَى الْفَطْرَةِ وَلِزُومِهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا  
الدِّينُ الْقَيِّمُ، وَأَنَّهَا دِينُ النَّاسِ، وَنَهَى عَن تَبَدِيلِهَا، وَمِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا أَخْذَ رَبِّكَ بْنَ  
بَوْحَادَمَ بْنَ ظَهُورِهِ زَرِيْتُهُمْ رَأْشَهُمْ طَمْ طَمْ أَنْشِئْتُمُ الْسَّمَاءَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا يَلْيُ شَهِيدُنَا أَنْ قَوْلُوا  
يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ ﴿أَرُّ قَوْلُوا إِنَّا أَشْرَكَ مَا أَنْشَأْنَا بْنَ قَبْلٍ وَكُنَّا  
بِنَ بَعْدِهِمْ أَفْتَرْكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبِطَلُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> فَجَعَلَ البقاء عَلَى الْفَطْرَةِ هُوَ الْحَقُّ  
وَالْإِيمَانُ؛ وَجَعَلَ تَبَدِيلَهَا - بِاتِّبَاعِ الْأَبَاءِ - هُوَ الشُّرُكَ وَالْكُفَّارُ؛ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ «كُلُّ مُولُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفَطْرَةِ فَأَبْوَاهُ يَهُودَانُهُ أَوْ يَنْصُرَانُهُ أَوْ  
يَمْجِسَانُهُ» وَالْحَدِيثُ لَهُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ كُلُّهَا تَمْدُحُ الْفَطْرَةَ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ  
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «خَلَقْتُ عَبْدِي حَنْفَاءَ فَجَاءُهُمُ الشَّيَاطِينُ  
فَاجْتَالُوهُمْ» إِلَى آخرِ الْحَدِيثِ وَفِي بَعْضِ رِوَايَاتِهِ «خَلَقْتُ عَبْدِي حَنْفَاءَ مُسْلِمِينَ».

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٢٧ - ٣٠.

الأمر الثاني: اجتماع الكلمة على مدح الفطرة؛ والثناء على ما جاء من طريقها، فالفطرة ممدودة بكل لسان، وتغيرها متعمد بكل لسان.

الثالث: مما لا يكون أن يجمع الناس غير المتعلمين - كافية - على أمر ديني عقلي وهو باطل ذلك مما لا يكون ولا يدخل في حيز الإمكان - عادة.

الرابع: كان الوحي ينزل والرسول يلقى الناس، وأصحابه يلقىهم بعضهم على بعض؛ وعندهم الأطفال والعوام الذين يعتقدون هذه العقيدة، وما قالوا لهم دعوا هذه العقيدة فإنها ضلالة.

### للبرهان السابع

وهو خاص بالذين يؤمرون برأيته تعالى بالأبصار - وهم الأشعريون المتأخرون؛ ومن وافقهم وهم أهل السنة عند الخصم - نقول إن البداهة حاكمة أن كل أمر يكُون في جهة ولا بد، وأن من ليس في جهة لا يرى البَّتَّة، فمن قال إنه يرى بالعين وليس في جهة فقد عاند الضرورة وقال ما لا يقوله عاقل حر التفكير، ولقد أشمت أصحاب هذه المقالة بأنفسهم عداهم وسلطوهم عليهم بالسخرية والاستهزاء. قال أحد الروافض المعروف بابن المطهر في كتاب صنفه في الإمامة وهو الذي نقضه شيخ الإسلام ابن تيمية بكتابه (منهاج السنة) قال الرافضي ساخراً: «وذهبت الأشاعرة إلى أن الله يرى بالعين مع أنه مجرد عن الجهات، وقد قال تعالى: ﴿لَا تُدِرِّكُهُ الْأَبْصَرُ﴾<sup>(١)</sup> وخالفوا الضرورة، لأن المدرك بالعين يكون مقابلًا أو في حكمه، وخالفوا جميع العقول في ذلك، وذهبوا إلى تجويز أن يكون بين أيدينا جبال شاهقة من الأرض إلى السماء؛ مختلفة الألوان ولا نشاهدها وأصوات هائلة لا نسمعها، وعساكر مختلفة متحاربة بأنواع الأسلحة بحيث تمس أجسامنا أجسامهم ولا نشاهد صورهم ولا حرثائهم، ولا نسمع أصواتهم الهائلة، وأن نشاهد جسمًا أصغر الأجسام كالذرة في المشرق ونحن في المغرب مع كثرة العائل يبتنا وينها، وهذا هو السقطة».

وقد استنكر هذى المقالة على الأشاعرة كثير من فضلاائهم، وقال الرازى:

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

«إنهم خالفوا بها جميع الطوائف من العقلاء، وخالفوا الضرورة والبداهة» نقول: حيثند لهؤلاء: ما لكم خالفتم الأخبار السماوية فقلتم لا يكون رب في جهة؟ فإذا قالوا فراراً مما يلزم من الحدوث والتركيب، وموافقة المخلوق في صفتة، قيل إذا أمكن أن يرى بالأبصار ولم يلزم أن يكون في جهة، ولا أن يكون محدوداً ذا اللوان وهيئة وضعية في عين الرائي، أمكن أن يكون في جهة، وليس مركباً ولا محدوداً؛ ولا موصوفاً بصفة حادث، ولا أن يكون جسماً بل أمكن أن يكون جسماً وليس مركباً؛ وأمكن أن يكون مركباً وليس مجاماً لمخلوق على صفة، وأمكن أن يوصف بصفة الحادث وليس بحادث؛ بل أمكن أن يوصف بكل شيء مع نفي ما يستتبعه، وجلبي أن قول القائل: الله جسم مركب من جواهر وأعراض له مقاطع وأطراف مع أنه رب قديم، خالق كل شيء من الجواهر والأعراض ليس أبطلاً - في نظر العقل - من قول الأشاعرة: مرئي وليس في جهة. والعجب من يفند رأي من يقول: إن الله فوق ولا يكون في جهة، أو يقول في جهة وليس جسماً ولا موصوفاً بصفة الأجسام، ولا يفند من يقول: مرئي وليس في جهة ولا محدوداً؛ والقولان سواء. وتفسير هذا البرهان: أن المخالفين في علوه، المواقفين على أنه يرى بالأبصار يدينون ما ورد بالشرع مع ترك لوازمه، ويؤمنون بالأمر مع كفرهم بمستبعه، وإذا يجب عليهم أن يؤذنوا بعلوه تعالى، ويكتفوا بما يزعمونه لازماً أو ينazuوا في لزومه. ومعناه أيضاً أنه يلزم روينه بالأبصار أن يكون في جهة لزوماً لا مناص منه، ومعناه أيضاً أنهم يلغون حكم العقول فليلغوا حكمها هنا فلا يعارضوا الأخبار الدالة على العلو بها.

## البرهان الثامن

تناقض النافون علوه ولزمه الباطل، وعجزوا عن نصرة الحق. وذلك يدل على بطلان مقالتهم هذه؛ فالحق لا ينهزم معه الحق بل الحق مع الحق يقوى وهو مع الباطل يضعف؛ قالت المعتزلة: إن الله لا يرى بالأبصار ولا تجوز رؤيته، فقالوا لهم: تظاهرت النصوص على أن المؤمنين يرون ربهم في دار السلام، واتفق السلف عليها، فقالوا: نحن أولنا نصوص الرؤية ودفعناها بضروب من التفسير هرياً من أن نقع فيما دفعته نصوص العلو بضروب من

التفسير. فعدلتكم بأخبار العلو عن وجهاها لأن إيقاعها على ما ظهر منها نقص لديكم في ذات الباري؛ ومثله فعلنا نحن في أخبار الرؤية - على أن ما فعلتم أقبح. فأخبار العلو أكثر وأصرح مما جاء في الرؤية، وحقوق الإجماع عليه أوضع؛ فلم يجدوا منهباً عن هذه المعارضة: قالت لهم الكرامية: إن الحق سبحانه جسم وليس مركباً وليس محلوداً، فقالوا: إن جميع الأجسام مركبة، وجميع المركبات حادثة، قالت الكرامية: نقول جسم ولا نقول مركب، وليس باطلأ - كما تقولون: مرئي وليس في جهة؛ وموصوف وليس ذا عرض، ولم تروه باطلأ: قالت لهم نفاة الصفات: إن الله لا يوصف بصفة، فقالوا بالبداهة لا يكون رحيم بلا رحمة، ولا عالم بلا علم؛ ولا قادر بلا قدرة، ولا خالق بلا خلق، ولا موجود بلا وجود؛ فأجابوهم. وقالوا مثل ما قلتم موجوداً راء مرئي رحيم بصير سميع وليس في جهة؛ وليس بغيرب ولا بعيد، قال لهم نفاة بعث الأجسام - من الفلاسفة وغيرهم: - بعث الأجسام غير ممكناً فلا يكون. لأنها مولفة من الدرات المتنقلة من جسم لأخر. من مؤمن لكافر؛ ومن كافر لمؤمن. ومن إنسان لحيوان ومن حيوان لإنسان. فلا يمكن تعذيب تلك الدرات ولا تعذيبها لما يلزمها من الظلم أو السفه. فنحن نصرف أخبار بعث الأجسام لأجل ما ذكرنا؛ فإذا قالوا لهم: إن تأويلاً وإنما هو تكذيب بحيلة، فإنها ظاهرة ببعث الأجسام ظهوراً يمحق كل تأويل، قالوا لهم ليست نصوص بعث بأبين فيما ادعياً من نصوص علو الله على خلقه، وقد عقوتم لأنفسكم أن تأولوها، وقال لهم منكر ووقع الوعيد في الآخرة على الكفار والفساق: إننا لا نستطيع أن نعقل أن الله تعالى يعذب أحداً في الآخرة؛ فالأخبار في ذلك متروكة الظاهر للحججة العقلية. لأن التعذيب إما أن يكون لفائدة أو لغير فائدة. أما لغير فائدة فسده وقسوة تسبح الله عنهم، وأما الفائدة فلما تكون الله أو لغيره:

**أما الأول:** فالله غني عن العالمين. فلا فائدة له في تعذيب أحد؛ وأما الثاني فاما أن تكون لنفس المعتذب أو لغيره.

**أما الثاني:** فلا فائدة لغيره في أن يعذب غيره، ولو كانت لما صع أن يعذب أحداً لإرضاء أحد.

واما الأول: فنعلم - يقيناً - أنه لا فائدة لفرعون في تخلصه في النار، لأجل ذلك أولنا نصوص الوعيد، قال لهم ليؤمنون بوقوع الوعيد الكافرون بعلوه تعالى: إن أخبار الوعيد لا يطولها التأويل لجلاء معناها، فتأويلها كفر بها. قالوا ليست بأجلٍ من أخبار علوه وقد صرحتوها فأنتم مكذبون إذا: قال لهم الروافض، إن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بَقْرَةً﴾<sup>(١)</sup> إلى آخر الآية في حق عائشة قوله تعالى: ﴿مَرَحَ الْبَعْرَقَنْ يَلْتَبِيَانْ﴾<sup>(٢)</sup> يَتَبَحَّا بِرَحْقٍ لَا يَتَغْيِيَانْ ﴿فَبِأَيِّ مَا لَدَهُ رَيْكُمَا تُكَذِّيَانْ﴾<sup>(٣)</sup> يَخْرُجُ مِنْهُمَا الْلَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاثُ ﴿فَبِأَيِّ مَا لَدَهُ رَيْكُمَا تُكَذِّيَانْ﴾<sup>(٤)</sup> البحرين هما الحسن والحسين، واللؤلؤ والمرجان ولدهما؛ قوله: ﴿تُّلَمَّ ثُلُّ مِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ فَأَسْلُكِي سُبُّلَ رَيْكِ ذَلِكَذْ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْلِفٌ الْوَنْمُ فِيهِ شَفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّةً لِفَرْمَيْتَنَكُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup> يريد آل الرسول عليه السلام، والذي يخرج من بطونهم هو الهدى والعلم، قالوا لهم هذا تفسير باطل لغة وضرورة ودينا. قالوا لهم ليس أظهر بطلاناً من تفاسيركم أخبار علوه تعالى. كذلك كل طائفة ضالة تقدر على معارضه هؤلاء بمثل كلامهم فستنصر عليهم. ولا ريب أن قولًا ينتصر عليه الباطل وينهزم معه الحق ليس حقاً.

## البرهان التاسع

الضرورة النفسية، والدعاوى القلبية. إن كل مخلوق يقر بالحق سبحانه يجد في نفسه مخاطباً كلما ذكره: إن ربى لفي السماء؛ أمر لا تنازع فيه هجسات القلوب؛ ولا تخالف عليه دقات الضمائر؛ والمخالفون يجدونه بأنفسهم وإن جحدوه بالستهم ولهذا الوجдан مظاهر وأمارات: منها رفع المواقف والمخالف يده عند الدعاء؛ ومنها رفعه بصره عند الرجاء وعند نزول البلاء، ومنها عروج القلب - إذا صدمه صادم - إلى السماء. روي عن أبي جعفر الهمданى أنه قال لبعض المنكرين علوه تعالى: إن الاستواء علم بالسمع ولو لم يرد به لم نعرفه، وأنت قد تناوله فدعنا من هذا، وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا.

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة الرحمن، الآيات: ١٩ - ٢٣.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٩.

فإنه ما قال عارف قط: يا الله إلا وقبل أن ينطق بلسانه يجد في قلبه معنى يطلب، العلو لا يلست بعمنة ولا يصرة، وهل عندك حيلة في رفع هذه الضرورة عن قلوبنا، فصاح المسؤول وقال: حَيَّنِي الْهَمْدَانِي . والهمدانى يريد أن معرفة علو الله ضرورية، والشبه التي تعارض علوه نظرية، والنظرى لا يقىح في الضروري، إلا لبطل الضروري والنظرى معاً، لأن كل نظري لا بد أن يقف عند ضروري لا نزاع فيه. وقد أنصف المسؤول الحججة إذ ظهرت، ولم يعند شأن أهل زماننا، فرحم الله السلف؛ ما أتقاهم لربهم، وما أقر بهم إلى الحق والنصف! وما قاله الهمدانى حق يجده في نفسه كل عارف: يجله في نفسه - وإن جحد به لسانه، فاللسان يقول ما لا يقره الجنان، ولهذا لا تجد خلافاً بين عامة الناس وسذجهم البراء من الهوى والعصبية في أن ربهم فوقهم وامتحن من شئت من البعداء عن التعليم والمدارس والمعاهد، فإنك لا تلقى بينهم خلافاً، ولقد يسهل على المعلم أن يلقن تلاميذه الإلحاد والكفر ويرسخه في أعماق نفوسهم ويصعب عليه أن يقنعهم أن هنالك ربياً عظيماً بريئاً من الجهات! ولست أقول إلا عن خبرة طويلة، وتجربة صادقة، ولا يبعد على أحد أن يجرب كما جربت، فيعلم مثل ما علمت. وقد سمعت كثيراً من طلاب الأزهر وطلاب المدارس يقولون إننا لا نعقل ما تذكره كتب الدين المدرosaة لنا من أن ربنا ليس في جهة. هذا شيء لا نعقله ولا نستطيع أن نعقله. وقد أردت أن أخبر مقدار تمكן هذه العقيدة من قلوب بعض الناس، فأخذت أقصى عليه من هذيان الرازى والأمدي ونظرائهما في تبرئة الرب من الجهة، وبعد أن أقصى ما أقصى يقول إنني لا أقوى على نقض ما تورد، إلا أن ذلك لا يمكن أن يقر في قلبي، فإيمانى ببطلانه أقوى لدى من كل برهان وأظهر من جميع المقدمات الضرورية المسلمة لدى الخاص والعام. وخطبني جملة من طلاب الأزهر ونازعوا كثيراً ثم افتعلوا بأن الرب فوق خلقه. وقالوا إننا أخذنا عقيدتنا هذه على إباء ومضض وما جازت آذاننا ولا وصلت فناء قلوبنا؛ ولكن فهمنا مدرساً أن الدين فوق العقول وفوق التفكير؛ فهما عبدان له خاضعان لأوامره وقلنا سمعنا بأذاننا وقلوبنا بها صمم وسكننا مرغمين. وسألت أيضاً طالباً أزهرياً عما يقرأه في كتب الأزهر التوحيدية أن الرب ليس في مكان، لمعنى ذلك؟ قال: إنها تريد أنه في جميع الجهات - إذ لم يفهم قصد المؤلفين أنه

لا يكون في جهة - فقلت له ليس ذلك تعني وإنما تعنى أن الرب لا فوق ولا تحت ولا في جهة ما فانقبض ، وقال: لا يمكن أن يؤمن إنسان بما تذكر ، قلت إن كثيراً من شيوخك يقولون إنهم به مؤمنون سراً وجهاً، قال: لن يكونوا كذلك. ولا أن يزعموا ذلك المزعوم ، قلت: اذهب فاسأله فتواردوا على ما أنكروه وبرأهم منه وأراد - بخلاصن - أن يناظرهم فأكفروه، وأوعدوه بالفصل من الأزهر إن لم يتبع ويدن كما يدينون! والحاصل أن علو الله فوق العالمين أمر ضروري لا يقبل فيه خلاف ولا شبه، وإلا لبطلت العلوم وفسد المنطق وفسد قولهم: «كل محدث لا بد له من محدث» وعلى تلك القاعدة بنوا دينهم وتوحيدهم؛ ولا ريب أن العلم ببطلان وجود قائم بنفسه ليس في جهة أعظم من العلم ببطلان وجود إلهين للعالم!

هذه براهين تسعة تتناصر على علوه تعالى . والأمر أوضح من ذلك ولكن الهدي هدي الله «وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ رَبِّا مُرْشِداً»<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الكهف، الآية: ١٧.

## آراء طائفة من عظماء المصريين في التوسل

نكتب لك هنا أقوال طائفة من رجال مصر المعدودين في التوسل الذي تدافع عنه مجلة الأزهر . ولتعاقبهم - بعد ذلك - مشيخة الأزهر - إن شاءت - بالتكفير والحرمان من جنة الله وغفرانه، فذلك شيء لا يعنينا؛ وإنما يعني المصريين أنفسهم، فهم الذين لهم أن يغاروا على أدبائهم وشعرائهم ويحاموا دونهم.

### رأي الأستاذ فريد وجدي مدير مجلة الأزهر ورئيس تحريرها

قال حضرته (في كتابه صفة العرفان مقدمة لتفسير القرآن) تحت عنوان «الولاية والكرامة»، «أما ما وراء ذلك من دفن الصالحين في مدافن خاصة، ورفع القباب عليهم، وإيقاد السرج بجذب أضرحتهم، وترتيب الخدم لهم، ونذر النذور باسمائهم، وتقريب القرابين إليهم، والاستغاثة في الملمات بهم، والتسمح بمقاصيرهم؛ وإعلاء قبورهم، ووضع العمامات والبراقع فوقهم، فمن أشد مناهي الشرع، وهي مما لم يحدث في الإسلام إلا بعد الصدر الأول بقرون عديدة، وهي من أفعى البدع التي بذل المسلمون بها أكرم أصول هذا الدين المحفوظ في الكتاب والسنّة: وقد بدأت هذه البدعة في التقلص عن المسلمين شيئاً فشيئاً. بتأثير الكتابات التي كتبت في هذا الشأن من أصحاب البصر في الدين، ونرجو أنه لا يمضي كثير من الزمان حتى لا يكون لهذه البدعة أثر في نفوس المؤمنين» هذا ما قاله الأستاذ وما رجاه، ونحن نشاطره الرجاء ونرجو - كما يرجو - أن يُقضى على هذه البدع المقبوحة شرعاً وعقلاً، وأن لا ينساً لها في عمرها؛ فطالما وضعت نفوس أهل التوحيد ووضعت رؤوسهم تحت الأقدام، وسلبتهم الانفة والعزة؛ ونقول للأستاذ: قد مكنت الله من محاربة هذه البدع والقضاء

عليها؛ أو على أكثرها بعد أن ولأك رئاسة مجلة الأزهر التي طالما لونها أهلها بمناصرة هذه البدع بقلم الشيخ الدجوي البنيس ونحن لا نرى للأستاذ عذراً في أن يسكت عن محاربة ما اعترف هو بأنه من أعظم ما نهى الشرع عنه، وأملنا فيه وطيد. ونقيد له هنا الشكران الجزيلاً على أن حمى المجلة من مقالات الشيخ الدجوي بعد توليه رئاستها فهذه خطوة من خطواته الإصلاحية التي تضمن له شكر الناس وأجر الله.

### رأي الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

قال في تفسير جزء عم من تفسير: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكُفَّارُ﴾ (١) «الكافر هو المعاند العاجد. الذي إذا رأى ضياء الحق أغمض عينيه، وإذا سمع الحرف من كلامه سد أذنيه؛ ذلك الذي لا يبحث في دليل بعد عرضه عليه، ولا يذعن للحججة إذا اخترقت فؤاده؛ بل يدفع جميع ذلك حباً فيما وجد نفسه فيه مع الكثير من حوله، واستند في التمسك به إلى تقليد من سلفه، فهذا الصنف هو الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدُّرَّاَتِ يَعْنَى اللَّهُ أَمْثُمُ الْبَشَّرِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢) الآية بعض هذا الصنف بل الغالب من أفراده يقول للداعي إلى الحق - أو يحدث نفسه ليلهيها عن فهمه إلام يدعونا؟ إلى الله؟ فنحن نعتقد به إلى توحيده؟ فنحن نوحده! وغاية ما في الأمر تتخذ شفعاء إليه نسأله بحقهم عنده، أو بمكانتهم لديه، إلى عبادته؟ فنحن نركع ونسجد له! وغاية ما عندنا زيادة على ذلك أنها نعظم أولياءه وأهل الشفاعة عنده. ونتوسل إليهم ليتوسلوا إليه؛ هذه وساوسهم، وهذه أماناتهم، فأراد الله أن يقطع العلاقة بينهم وبين ما عليه الداعي إلى الحق ﷺ بأصرح ما يمكن أن يصرح به فقال له: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكُفَّارُ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (٣) أي إن الإله الذي تزعمون أنكم تعبدونه ليس هو الذي أعبد، لأنكم إنما تعبدون ذلك الذي يتخذ الشفعاء أو نحو ذلك مما تزعمون، وإنما أعبد إلهًا متزهاً عن جميع ما تصفون به إلهكم: ﴿وَلَا أَنْتُ عَنِّيَّدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ (٤) أي إنكم لستم بعابدين إلهي الذي أدعوه إليه كما تزعمون، فإنكم زعمتم أن الذي تعبدونه يتقرب

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الكافرون، الآيات: ١ - ٢.

إليه بتعظيم الوسائل لديه، فتوسلتم بها إليه؛ وتعتقدون أنه يقبل توسطها عنده، فهذا الذي تعبدونه ليس الذي أعبد، فلهذا لا تعبدون ما أعبد، ثم لما كانوا يظنون أن عبادتهم التي يؤدونها أمام شفيعائهم، أو في المعابد التي أقاموها لهم وباسمائهم، أو يؤدونها الله في المعابد الخاصة به؛ أو في خلواتهم - وهم على اعتقادهم بالشفاعة - عبادة الله خالصة، وأن النبي لا يفضلهم في شيء نفي أن تكون عبادته مماثلة لعبادتهم، وأن تكون عبادتهم مماثلة لعبادته فقال: ﴿وَلَا أَنْشُرُ عَيْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ <sup>﴿١﴾</sup>.

### رأي السيد المنقولطي للكاتب الطائر الصيت

قال في كتاب النظرات الجزء الثاني بعنوان دعوة على الإسلام لكتاب إلى أحد علماء الهند كتاباً. يقول: إنه اطلع على مؤلف جديد بلغة «التاميل» وهي لغة الهنود الساكنين (بناقور) بجنوب مدارس. موضوع الكتاب حياة السيد الجيلاني ومناقبه وكراماته؛ فرأى فيه من بين الصفات والألقاب التي وصف بها الكاتب الجيلاني؛ ولقبه بها صفات وألقاباً هي بمقام الألوهة أليق منها بمقام النبوة فضلاً عن مقام الولاية كقوله: «سيد السموات والأرض»؛ «النفاع الفرار»، «المتصرف في الأكون»، «المطلع على أسرار الخلقة»، «ومحبي الموتى»، «مبرئ الأعمى والأبرص والأكماء»، «وأمره من أمر الله»، «وماحي الذنوب: وداعم البلاء»؛ والرافع الرافع: وصاحب الشريعة: وصاحب الوجود التام» إلى كثير من هذه النعوت والألقاب: ويقول الكاتب إنه رأى في الكتاب فصلاً يشرح فيه المؤلف الكيفية التي يجب أن يتکيف بها الزائر لقبر الجيلاني يقول: من أول ما يجب على الزائر أن يتوضأ وضوءاً سابغاً، ثم يصلی ركعتين - بخشوع واستحضار؛ ثم يتوجه إلى تلك الكعبة المشرفة، وبعد السلام على صاحب الفريح المعظم يقول: يا صاحب الثقلين أغثني! وأمدني بقضاء حاجتي وتغريح كربتي! أغثني يا محبي الدين: أغثني يا ولی عبد القادر! أغثني يا سلطان عبد القادر أغثني يا باد شاه عبد القادر أغثني يا خوجة عبد القادر يا حضرة الغوث الصمداني؛ يا سيد عبد القادر؛ عبدك ومريلك مظلوم محتاج إليك في جميع الأمور في الدين والدنيا والآخرة! . ويقول الكاتب: إن في بلدة ناقور قبراً يسمى شاء الحميد. وهو من

أولاد عبد القادر كما يزعمونا وأن الهند يسجدون بين يدي ذلك القبر سجودهم بين يدي الله وأن في كل بلدة وقرية من بلاد الهند مزاراً يمثل مزار الجيلاني فيكون القبلة التي يتوجه إليها المسلمون في تلك البلاد؛ والملجأ الذي يلتجأون في حاجاتهم وشدائدتهم إليه، وينفقون من الأموال في خدمته وسلنته وفي موالده وحضراته ما لو أنفق على فقراء الأرض جمِيعاً لصاروا أغنياء. هذا ما كتبه إلى ذلك الكاتب. ويعلم الله أني ما أتممت قراءة رسالته حتى دارت بي الأرض الفضاء، وأظلمت الدنيا في عيني؛ فما أبصر مما حولي شيئاً.. أسفًا على ما أكتبه حاله الإسلام بين أقوام أنكروه بعدهما عرفوه؛ ووضعوه بعدهما رفعوه وذهبوا به مذهب لا يعرفها ولا شأن له بها، أي عين يجعل بها أن تستبقي في محاجرها قطرة واحدة من الدمع فلا تريقها أمام هذا المنظر المؤسف. منظر أولئك المسلمين - وهم ركع سجد على اعتاب قبر ربما كان بينهم من هو خير من ساكنه في حياته فآخرى أن يكون كذلك بعد مماته: أي قلب يستطيع أن يستقر بين جنبي صاحبه ساعة واحدة فلا يطير جزعاً حينما يرى المسلمين أصحاب دين التوحيد أكثر من المشركين إشراكاً بالله، وأوسع منهم دائرة في تعدد الآلهة وكثرة العبوديات «اليتأمل الأزهريون» لم ينقم المسلمين الثلاثيّة من المسيحيين؟ ولم يحملون لهم في صدورهم تلك الموجدة وذلك الضغف وعلام يحاربونهم؟ وفيم يقاتلونهم؟ وهم لم يبلغوا من الشرك بالله مبلغهم! ولم يغروا فيه إغراقهم «اليتأمل الديجوي والفلواهري».

يدين المسيحيون بالآلهة ثلاثة، ولكن يشعرون بغراية هذا التعدد؛ وبعده عن المعقول؛ فيتناولون فيه؛ ويقولون: إن الثلاثة في حكم الواحد، وأما المسلمون فيدينون بآلاف الآلهة أكثرها جذوع أشجار، وجثث أموات، وقطع أحجار من حيث لا يشعرون «اليس مع صاحب المقعد».

كثيراً ما يضرم الإنسان في نفسه أمراً وهو لا يشعر به. وكثيراً ما تشتمل نفسه على عقيدة خفية لا يحس باشتمال نفسه عليها، ولا أرى مثلاً لذلك أقرب من المسلمين الذين يلتجأون في حاجاتهم ومطالبهم إلى سكان القبور، ويتضارعون إليهم تضرعهم للإله العبود، فإذا عتب عليهم في ذلك عاتب قالوا: إننا لا نعبدهم وإنما نتوسل بهم إلى الله، لأنهم لا يشعرون أن العبادة ما هم فيه؛ وأن أعظم مظاهر

لألوهية الإله المعبد أن يقف عباده بين يديه - ضارعين خاشعين يتلمسون إمداده ومعونته فهم في الحقيقة عابدون لأولئك الأموات من حيث لا يشعرون. جاء الإسلام بعقيدة التوحيد ليرفع نفوس المسلمين، وليغرس في نفوسهم الشرف والعزّة والأنفة والحمىة، ويعتق رقابهم من رق العبودية، فلا يذل صغيرهم ل الكبيرهم، ولا يهاب ضعيفهم قويهم، ولا يكون الذي سلطان بينهم سلطان إلا بالحق والعدل، وقد ترك الإسلام - بفضل عقيدة التوحيد - ذلك الأثر الصالح في نفوس المسلمين في العصور الأولى. فكانوا ذوي أنفة وعزّة وإباء وغيرها: يضربون على يد الظالم إذا ظلم، ويقولون للسلطان - إذا جاوز حده في سلطانه: - قف مكانك، ولا تغل في تقدير مقدار نفسك، فإنما أنت عبد مخلوق، لا رب معبد، واعلم أنه لا إله إلا الله؛ هذه صورة من صور نفوس المسلمين في عصر التوحيد؛ أما اليوم وقد داخل عقيدتهم ما دخلها من الشرك الباطن تارة والظاهر أخرى، فقد ذلت رقابهم؛ وخفت رؤوسهم، وضررت نفوسهم وفترت حميّتهم فرضوا بخطبة الخسف؛ واستناموا إلى المنزلة الدنيا، فوجد أعداؤهم السبيل إليهم، فغلبوا عليهم، وملکوا عليهم نفوسهم وأموالهم وديارهم فأصبحوا خاسرين، والله لن يسترجع المسلمون مجدهم، ولن يبلغوا ما يريدون من سعادة الحياة إلا إذا استرجعوا ما أضاعوه من عقيدة التوحيد، وأن طلوع الشمس من مغربها، وانصباب ماء النهر في منبعه أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده ما دام المسلمون يقفون بين يدي الجيلاني كما يقفون بين يدي الله. إن الله أغير على نفسه من أن يسعد قوماً يزدرونـه ويتحذرونـه وراءـهم ظهرياً، فإذا نزلـت بهم جائحةـ، أو ألمـت بهم ملةـ ذكرـوا الحجرـ قبلـ أن يذكـروهـ؛ ونادـوا الجـذعـ قبلـ أن ينـادـوهـ، فـبـمـ أـسـتـفـيـثـ؟ـ وـبـمـ أـسـتـجـدـ؟ـ وـمـنـ الـذـيـ أـدـعـ إـلـىـ هـذـهـ الـمـلـمـةـ الـفـادـحـةـ؟ـ «ادع ملك العروبة وصغر الجزيرة العربية» أدعـوـ علمـاءـ مصرـ وـهـمـ الـذـينـ يـتـهـافـتوـنـ عـلـىـ يـوـمـ الـكـنـسـةـ «وـيـوـمـ الـكـنـسـةـ هوـ يـوـمـ يـجـتـمـعـ فـيـهـ عـلـمـاءـ الأـزـهـرـ وـيـذـهـبـوـنـ إـلـىـ ضـرـيـعـ الـإـمـامـ الشـافـعـيـ فـيـكـنـسـوـنـ تـرـابـهـ وـرـسـخـهـ فـيـقـسـمـوـهـ لـيـتـبـرـكـوـ بـهـ»ـ تـهـافـتـ الذـبـابـ عـلـىـ الشـرابـ.

يا قادة الأمة ورؤساؤها عذرنا العامة في إشراكهم، وفساد عقائدهم، وقلنا العامي أقصر نظراً؛ وأضعف بصيرة من أن يتصور الألوهية إلا إذا رأها مائة في النصب والتمايل والأضرة والقبور، فما عذركم أنتم وأنتم تتلون كتاب الله؛

وتقرأون صفاته ونعته، وتفهمون معنى قوله تعالى: «لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(١)</sup> وقوله: «قُلْ لَا أَمْلِكُ لِتَقْبِي ضَرًّا وَلَا نَقْعَدُ»<sup>(٢)</sup> وقوله: «وَمَا زَيْنَتَ إِذْ رَمَيْتَ»<sup>(٣)</sup>، إنكم تقولون في صباحكم ومسائكم؛ وغدوكم ورواحكم: كل خير في اتباع من سلف؛ وكل شر في ابتداع من خلف، فهل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يجصصون قبراً أو يتولون بضریع؟ وهل تعلمون أن واحداً منهم وقف عند قبر النبي أو قبر أحد من أصحابه وأل بيته يسأله حاجة وتفرج كربة؟ وهل تعلمون أن الرفاعي والدسوقي والبدوي أكرم عند الله وأعظم وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين؟ وهل تعلمون أن النبي حينما نهى عن إقامة الصور والتماثيل نهى عنها عيناً ولعباً أم مخافة أن تعبد للمسلمين جاهليتها الأولى؟ وأي فرق بين الصور والتماثيل والأضرحة والقبور، ما دام كل منها يجر إلى الشرك، ويفسد عقيدة التوحيد، والله ما جهلت شيئاً من هذا ولكنكم أثترتم الحياة الدنيا على الآخرة فتعاقبكم الله على ذلك بسلب نعمتكم وانتهاص أمركم وسلط عليكم أعداءكم يسلبون أوطانكم ويستعبدون رقابكم ويخربون دياركم والله شديد العقاب» انتهى من كتاب النظارات.

### رأي أمير الشعراء شوقي بك في ذلك

لما ذهب إلى بعض المقامات في مصر، ورأى ما يفعله هؤلاء لديهم من التقديس والضراءات جاش صدره بهذه الآيات - تحسراً على دين الله الحق قال:

وجباههم نسلس إلى الأعناب  
بصحيحة مرفوعة وكتاب  
يا أيها البدوي فرج ما بسي  
تبلي الشفاعة بها حلين الباب  
يدعى لمظلمة ونصل خطاب  
يا رب لا نأخذهم بمعذاب

لما رأيت شفاء قسم في الشري  
ورأيت لي الحنفي من يسمع له  
وسمعت لي طنطا ضراعة فائل  
رأيت في روما كنيسة بطرس  
وعلمت أن من العباد مولها  
أيقنت أن الخلق خلوا بهم

(١) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

وكنت أحفظ لحافظ بك إبراهيم قطعة في هذا المعنى ولكنها طارت من صدري، وهي أشد تهكمًا بهؤلاء المتسللين وتوسلهم من كل ما كتبنا.

### رأي جريدة السياسة الأسبوعية

في ملحق ٣٠٣٩ من جريدة السياسة الأسبوعية بعنوان: (الفكر المصري القديم) من جملة كلام «وبحاجب العقيدة في هذه الآلهة المتعددة كانت هناك عقيدة ثابتة عند الكهنة وال المتعلمين بوحدانية الله. فهناك نصوص مقدسة كان يعلمها هؤلاء منها ما يقول:

(إنه خالق كل شيء في السماء والأرض، لم يخلق أحداً أبداً ما وجد غير ذلك من آلهة فالاعتقاد أنهم كانوا مظهراً من مظاهره المختلفة. فهو لا إله إلا الله عند المصريين الأقدمين كالأولياء عند المصريين العاليين (ليتأمل الدجوي وشيخه ذلك جيداً ولإصدارها مجلة السياسة إن قدراً) مع فرق بسيط، فهناك كانوا مظهراً من مظاهر الله، وهنا يتسطرون بهم حتى يعجب الله دعاءهم؛ وكان عامة الشعب قلدوا المصري القديم تماماً، أنسنا نرى الفرد منهم يتهلل إلى الولي والسيد لقضاء حاجته؟ حتى في قسمه يقسم بحياة السيدة زينب وحياة الحسين والبدوي، والغريب في الأمر أن كل فرد يقسم بالولي القريب منه، وإذا ألمت به مصيبة أو أصابه مرض، نذر النذور للأولياء؛ إذا فرج الله من كربته أو شفاء من مرضه وذهب إلى ضريح الولي وقدم الشمع والعيش وال Gould وما إلى ذلك من نقود تتوضع في صندوق النذر».

هذا نموذج من آراء الشعراء والكتاب والعلماء وال فلاسفة العصرىين، ولو شئنا لجمعنا لك شيئاً كثيراً، ولا شك أنك مقدم هؤلاء على مشيخة الأزهر إن كنت مقلداً ليس فيك قوة على معرفة البرهان.

هذا ما نريد أن نثبته في هذا الكتاب، وهذا جملة ما يخالف به الأزهريون الوهابيين - أي المسلمين - عموماً، وقد حققنا أن الحق في يد الوهابيين؛ وأن المشيخة مخطئة في ذلك فهل يسوغ - بعد - أن تتكلم في الوهابيين أو تنازعهم، وهلا يجب عليها حينئذ أن تعتذر بالرجوع إليهم، وأن تناصرهم بعدما خذلتهم وتمدحهم بدل ما هاجتهم.



# خطاب إلى الشيختين الطواهري والنجوي

سلام الله ورحمته؛ أما بعد فاذكر كما بقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّنَاهَا مَوْقِفٌ إِلَيْهِمْ أَتَعْمَلُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُؤْخُذُونَ﴾ (١) أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الشَّارُورُ وَحَسِيقٌ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَيَنْطَلِقُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢) ويفوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَدْلَةَ عَجَلَنَا لَهُ فِيهَا مَا شَاءَ لِمَنْ تُرِيدُ ثُرَّةً جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَهَا مَذْمُومًا مَتَّهُورًا﴾ (٣) ومن أراد الآخرة وسعن لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم شكوراً﴾ (٤) وقد أربناكم بالبراهين القاهرة من المعقول والمنقول أن ما ندعوكم إليه هو دين الله الذي لا يرضى سواه؛ وأن ما ندعوننا إليه ليس من دين الله ولا مما يؤيده البرهان؛ أو مما يقبله الذوق السليم؛ فالذي نرجوه الأن منكم ونطلب - بالحاج والحاف - أن ترجعوا إلينا، وأن تعلموا البراءة مما دعوتم إليه، وأن لا تتمادوا على أغلاطكم وجموحكم عن سبيل الرشاد، وأنتم تعرفون أن الرجوع عن الخطأ - بعد الاعتراف بأنه خطأ - خير للمؤمن من أن يصر عليه ويدافع عنه عند الله وعند عباده، هذا ما نرجوه منكم ونظنه فيكم، فعسى أن تكونوا عند حسن ظننا بكم، فلا تشمتوا بكم أعداءكم ومن يتهمونكم. وبعد فقد كتبتم في مجلتكم وغيرها كثيراً، وقلتم في دروسكم العامة ومجالسكم الخاصة «إن التوسل دين يرضاه الله وكتابه» مطلقين المدح غير مبينين ما قریدون من هذا التوسل، ولا خاصين قسماً دون قسم، وهو أقسام، وليس يخفى عليكم أنكم تخاطبون الخاصة والعامة، والعامة أكثر، بل لا يسمع منكم غير العامة؛ وهي

(١) سورة هود، الآيات: ١٥ - ١٦.

(٢) سورة الإسراء، الآيات: ١٨ - ١٩.

يفهمون من الكلمة التوسل جميع المنكرات التي يأتونها عند قبور الأولياء من استغاثتهم ودعائهم واستقبالهم في الصلاة وفي العبادة؛ وتقبيل أعتابهم، والركوع عليها، والقسم بها والتزامها؛ والذبح عندها، وتقريب القرابين، ونذر النذور، وإهداه الأموال إليها، والبناء على قبورهم، وزخرفتها وتشييدها، وإسراجها، ووضع الشموع فيها؛ رشد الرجال إليها، والحلف بهم والخضوع والتذلل لهم، ورجائهم وتعظيمهم والخوف منهم؛ إلى غير ذلك من لباب العبادة: نعم هم يفهمون هذه الأشياء كلها تدخل تحت الفاظ التوسل الذي تدعون إليه، وتدعون لهم أن الله أمر به، وحضر المسلمين على أن يفعلوه! فهل تريدون أن الأمور المذكورة كلها مما يتقرب به إلى الله؟! ألا تعلمون أنها محرمة كلها بإجماع المسلمين الأولين، وقد جاءت في تحريمها النصوص الكثيرة.

قال رسول الله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك»، وقال: «العن الله زارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»، وقال: «العن الله من ذبح لغير الله»، وقال: «لا تصلوا إلى القبور»، وقال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، وقال: «إذا سألت فاسأله وإذا استعنت فاستعن بالله»، وقال: «إنما لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله» وإن كنتم ترون ذلك محرباً، وإنما تعنون بالتوسل نوعاً خاصاً في أدمنتكم، فقد لبستم ودلستم ووقعتم في الغش، وهذا لا يجوز على علماء الإسلام أنتم تكتبون وتقولون: «إن من يمنع التوسل فهو ضال من الخوارج يكفر المسلمين ولا يحترم رسول الله ولا أولياءه»، فما تقولون في رجالات مصر الذين قدعنا لكم أنهم ينكرون توصلكم، ويهجونه ويواجهوننا على حكمنا فيه، وقد كتبنا مقالاتهم بالفاظهم فيما تقولون في الشيخ محمد عبده؟ أقولون إنه رهابي كافر؟ إذن يغضب المصريون عليكم جميعاً، لأن الشيخ محمد عبده عندهم هو الإمام المقدم؟ وما تقولون في السيد المنفلوطي الكاتب المحبوب للمصريين جميعاً؟ وقد ذكرنا لكم قوله فهل ترونـه مارقاً وهـل تـكـفـرـونـه كما تـكـفـرـونـ الـوهـابـيـنـ؟ إذن يـقـومـ الـمـصـرـيـوـنـ جـمـيـعـاـ فيـ وـجـوهـهـكمـ، بلـ ماـ تـحـسـبـونـ شـعـراءـ مصرـ كـشـوـقـيـ وـحـافظـ وـقـدـ أـثـبـتـنـاـ لـكـمـ أـنـهـمـ يـزـدـرـوـنـ توـسـلـكـمـ وـيـذـمـونـهـ أـقـبـعـ الذـمـ، بلـ ماـ تـعـدـونـ الـأـسـتـاذـ الـمـحـقـقـ فـرـيدـ وـجـدـيـ مدـيرـ مجلـتـكـمـ وـرـئـيـسـ تـحـرـيرـهـ؟ وقد تـقـدـمـ قولـهـ فـيـ التـوـسـلـ، أـتـعـدـونـهـ وـهـابـيـ مـكـفـرـاـ لـالـمـسـلـمـيـنـ؟ـ فـمـاـ بـقـىـ معـكـ

حيثذا؟ ولا تقولوا حيثذا إن المسلمين - ما خلا الوهابيين - يوافقونا على توسنا، بل قولوا إن المسلمين كافة وهايرون ما عدا جملة من أشياخ الأزهر القدماء وبعض الدهماء: يتساءل كثيرون: لماذا أعلنت مشيخة الأزهر ومجلتها العداء للوهابيين دون غيرهم؟ يقولون أترأتم أضل الناس؟ أهي لا ترى أجرد منهم بتلك الحرب الشعواء؟ أليس في بلدنا الملحدون واليهود والنصارى وسائر الفرق المسرفة في الابتداع، أليس في بلدنا بل في أزهرها طائفة الزيدية. الذين يسبون فريقاً من صحابة رسول الله ويکفرون فريقاً، وقد سمعت بأذني وإنما زيدياً يقول إن عائشة فاسقة، ويقول إن أبا بكر وعمر وعثمان بغاة ظالمون فاسقون، وسمعت زيدياً آخر يقول إن عمرو بن العاص - الصحابي الجليل - كان زانياً كان يزني بالمصريات وسمعت زيدياً آخر يقول: إن عمرو بن العاص كان قواداً لمعاوية «أي معرضاً في لغة المصريين» وسمعت آخرين يکفرون معاوية ويرمونه بالتفاق ويکل عظيمة، ومؤلاء الزيديون - أصحاب هذه الفظائع - منسوبون في الأزهر؛ وهم من أحباب الدجوي ومن تلامذته ومن جلسائه الملازمين؛ وهو يعرفهم ويعرف عقيدتهم الشيعية، بل أخبرني بعض هؤلاء أن الشيخ الدجوي زيدي مثلهم، ونحن لا نصدقه في هذا؛ بل نقول لعل الشيخ الدجوي أظهر لهم الموافقة والطعن في بعض الصحابة إرضاء لهم وتقريراً. فهم محبوبيون له جداً، لأنهم يكرهون الوهابيين، وقد أخبرني جماعة من الزيديين أنفسهم المتصلين بمولانا الدجوي أن مولانا الدجوي منذ ثلاث سنوات - أي منذ أن خرج كتاب البروق النجدية - وهو يستغيث بواحد من هؤلاء: يطلب إليه أن يرد على هذا الكتاب، وأنه دائماً يسأل عنه ويسأله هل انتهى من الكتاب؛ ولكنه استعاده بغير معبد - أهي ترى الوهابيين - لإنكارهم الوسيلة - أبعد عن الله وعن دينه من هؤلاء كلهم؟ هذا ما نبرئه مشيخة الأزهر من أن تراه، فلا بد أن يكون الأمر غير ذلك، ولا بد أن يكون وراء الأكمة شيئاً. قد كتبتم في الطعن على الوهابيين مقالات لا أحصي عددها، ولكنني لا أحفظ أنكم كتبتم في النهي عن الزنى والربا والخمر وسائر الفواحش المحللة قانوناً، وكذلك لا أحفظ لكم مقالة في مجلتكم أو غيرها تحت على الصلاة أو الصوم أو الحج أو فريضة من فرائض الإسلام، فما هذا؟ وما تريدون؟ ذلك مما يكثر التساؤل ويخلق الريب والشكوك حول

مشيخة الأزهر ومجلتها، وهنا أخبرني جماعة ثقات أن عالماً من مدرسي التخصص في الأزهر يذهب كل سنة إلى فلسطين لينشر الدعاية العدائية ضد الحكومة العربية، وقد قام مرة في جامع الخليل عليه السلام، وقال: إن الهجرة الآن تجب من الحجاز؛ فقالوا له إلى أين؟ قال إلى الهند ومصر وتركيا وغيرها، فقامت عليه العامة وأخرجته من الجامع وكتبت عليه المجرائد الفلسطينية وأظهرت للناس غرضه السيني الخبيث؛ وهذا الشيخ محظوظ عند المشيخة جداً وهي التي تبعه لهذه المهمة، ولو لا حقارته لسميته، وأخبرني صديق أن الشيخ الدجوي كتب في مجلة تونسية خرافية في هذه الأيام عن الشيخ محمد بن عبد الرهاب والوهابيين يكفرهم فيها؛ ويدرس في جامع الإمام الحسين عليه السلام شيخ من مشايخ الأزهر الكبار فوق رأسه عمامة خضراء لا يفتأ يلعن الوهابيين ويکفرهم، وقد ياتي الآية التي لا تمت إلى التوسل بسبب فيقوم مغضباً، ويقول هذه تقطع دابر الوهابيين أعداء الله وأعداء رسle، هذه ترغم أنوفهم، وهذه تعمل وتعمل، وقد انقض من درسه كثيرون من العوام لأجل ذلك. ودرس الشيخ الدجوي في الرواق العباسى مملوءاً من الطعن في الوهابيين والسب لهم. وقد دخل على الآن بعض الأصحاب؛ فأخبرني أن شيخاً من مشايخ الأزهر القدماء قال البارحة في الدرس: «إن الحجاز كان في الزمن السابق مأوى لقطاع الطريق ولسفاك الدماء»؛ ويقال الآن إن هذا الرجل (يعني جلال الملك عبد العزيز) قد قضى على ذلك كله، ولكني لا أصدق هذا القول، وإنما أحكيمه فقط» فانظر هذا الشيخ كيف يقول عن ملك العرب (الرجل) لا يزيده شيئاً، وهو لو حدث عن شيخه الظواهري لملا فمه تعظيماً له، ثم من تمرده وتمرد مشيخة الأزهر أن يشك فيما اتفق عليه الناس، من أمن الجزيرة العربية في عهد هذا الملك العادل فماذا تريدون من هذا العداء وهذه الحملة ضد هذه الحكومة العربية الإسلامية التي طالما تمناها المسلمون، وأية غاية تقصدونها؟ قد حكمتم أن من قال ربى في السماء فهو كافر، وقد نقلنا لكم عن أئمة الإسلام: الإمام أبي حنيفة والإمام الأشعري، وعن طوائف أئمة الإسلام أنهم يقولون كذلك بلا شذوذ، فهل هم عندكم كفار؟ هذا ما نرجو الجواب منكم عليه؛ وما تقولون في كتاب العلو للذهبي، وكتاب اجتماع الجيوش الإسلامية وما نقلاه عن حفاظ الإسلام؛ وعن الأئمة الأربع، وعن

طوائف الصحابة والمحدثين والمفسرين؟ وما تقولون في كتاب الإبانة للإمام الأشعري، وفي كتاب خلق أفعال العباد للبخاري؟ هذا ما نرجوكم أن تجيبوا عليه أيضاً؟ أيها المشايخ إن المسلمين الأولين قد وقفوا على الأزهر الأموال الضخمة الكثيرة، لتكون عدة للعلماء الذين يحفظون دين الله ويدفعونه عنه، فاستوليتم أنتم على هذه الأموال، فبماذا كافأتموها؟ وهل قمتم بشيء من الغرض الذي أراده أولئك المسلمين الأبرار الذين أرصدوا هذه الأموال لحفظ كيان الدين؟ أم قد عادت حرباً على الإسلام وأهله، وعدة لمن يريد إفناه وإفناه من يحافظ عليه، أيها العلماء: ما كان هذا جزاء هذه الحكومة الإسلامية التي أحببت الشرع الإسلامي بعد أن مات، وما كان هذا اللائق بعلماء الدين نحو هذه الحكومة، بل كان الواجب عليكم أن تتفانوا في نصرتها، وأن تكونوا أول من يقطع لساناً يسيء إليها: أيها المشايخ قد كتبتم فرددنا عليكم كتابة، فلم تستطعوا أن تردوا ما رددناه عليكم، ثم دعوناكم إلى المناورة شفاماً فايتم المناورة؛ فقد عجزتم عن مشافهة وكتابة، فهل يحل لكم بعد هذا أن تتكلموا وتكتبوا ضدنا، على أننا بعد هذا كله نسأل الله أن يصلحكم والسلام.

# واجب المصريين الديني والوطني نحو الأزهر والأزهريين

قبل أن أودع القلم وداع لقاء لا أنسى أن أذكر المصريين بواجبهم الوطني  
الديني للأزهر وأهله.

أيها المصريون الغير: لقد أريناكم في هذا الكتاب أمثالاً عديدة، تنبئ عن التاجر الفكري في الأزهر، وتنبئ عن المرض العنيف الذي استحوذ على عقول شيوخه الأجلاء، حتى أضر كثيراً - وكثيراً أضر - بتفكيرهم، وعقائدهم وإيمانهم، ومباحثهم، ولا أدل على ذلك من أن يجهر جاهرهم؛ ويقول قائلهم - في صحيفتهم المعبرة عن عقولهم؛ وعن دينهم؛ وعن كل ما إليهم: - «إن الأموات أوفر قدرة من الأحياء» و«إن كل شيء مقدر للبشر» و«إن الأولياء يوجدون في كل مكان يسمعون أصوات الداعين»، ويجيبون طلبات الطالبين - على اختلافها وكثرتها» ويقول: «إن السجود لهم دين يرضاه الله وكتابه» و«إن كل ما يأتيه أغتاب الفلاحين والحملين والنسوة الجاهلات لدى الأضরحة - من العكوف عليها، والنذور لها؛ والاستنجاد بها - من دين التوحيد ودين الإسلام» ويقول غير ذلك مما ذكرناه في كتابنا هذا وغيره: قوله في مجلتهم وعلى رؤوسهم فلا نجد منهم ثورة عنيفة تعدل بهذه الرؤوس المائلة إلى صوابها. أية قيمة للعقل والعلم والتفكير في الأزهر وعند الأزهريين إذا جاز عليهم أمثال هذه الفضائح، وأي انحراف عن الصراط المستقيم يمكن أن يكون؟ أو يخشى أن يقعوا فيه بعد ذلك؟ وكيف ترجون أن يدخل العالم المتمدن في دين الإسلام؟ وهذا مبلغ تفكير أهله وعلمائه في جامعته الوحيدة الكبرى - كما يقولون وكما يتمنون؟ كيف لا يطغى الغرب على الشرق، وعلى الإسلام ويتمرد عليه وهذه عقليات رؤسائه الدينيين الرسميين؟ وكيف لا تدل هذه الرقاب للنار والحديد وقد ذلت للرفات المرجوم

الحجارة وللأموات تحت الرغام؟ كيف تنكرون على شبانكم ومتعلميكم إذا أخذوا، وإذا جروا في أعقاب اللذات والشهوات، وهم يحسبون الدين الإسلامي ما يقوله هؤلاء المشايخ. هو النلة للأموات والعكوف على قبورهم؟ وأنا أشهد بالله أن جعل هذه العقائد من دين الله لأشد هجواً له مما يكتبه الملحدون والمعبرون؛ وما يوجهون إليه من تهم كاذبة أو صادقة. إنكم تسألون كثيراً عن السر في كثرة الإلحاد في الأعوام الأخيرة؛ وعن سبب اتساع دولته وتحسبون عامل ذلك هو المدنية الغربية المتورطة الفاتنة، ولكنني لا أرى هذا الرأي لأن دين الإسلام يساير كل صالح جديد - كان - أو قديم. فتعالوا أركم السبب الحقيقي لذلك! إنه علماؤكم وأراوئهم المعتلة، لا أكون مغالباً ولا آثماً إذا قلت: إن هؤلاء العلماء لا ينفكوا عن الإسلام أهله وبنيه. ولا أكون مغالباً إذا قلت: إن سبب الأزمة الدينية العامة في شباب اليوم هو هذه العقائد والصاقها بالدين زوراً. كيف يقبل أناس يسمعون بالعزة والأنفة أن يخشعوا للأموات! وأن يقروا بين أيديهم أدلة، وأن يرجعوا إليهم راغبين وراهبين! ذلك مما لا يكون. قد علمت كثيرين أخذوا وأسرفوا في الإلحاد واللذات، وهم من بيوت عريقة في الدين والصلاح والورع، وقد وجدت سبب ذلك هو اشتراكهم من العقيدة في الأموات وخرافات هؤلاء المبتدعين! وهم لا يعودون الدين إلا ما يصدره هؤلاء، وما يلفظونه لأنهم هم الرسميون، أو لأنهم هم العلماء في عرف العامة وأشباء العامة. إن الأزهر يؤمه الكثيرون من طلاب العلم من سائر الأقطار الإسلامية، وبعدما يأخذون منه ما يأخذون - قل أو كثـر - وفائد الشيء - كما يقول الأزهريون - لا يعطيه غيره - يرجعون إلى أوطانهم، وإلى قومهم فينشرون لديهم وينشرون عليهم ما أخذوه من الأزهر ومن أشياخه. فهل ترضون أن يذيعوا عنكم وأن يتحملوا عن علمائكم هذه البدع؟ وهذه الضلالات المخزية المطاطنة للرؤوس؟ إنكم لا ترضون ذلك، ولا ترضون أن ينسب إليكم. إن التاريخ حفيظ فاحفظوه. وانظروا ماذا يكتب لكم وماذا يكتب عليكم، واحذرؤا أن تكون هذه العقائد يوماً من الأيام ضحكة للأجيال الآتية في تاريخكم ولا بد، إنكم في القرن العشرين قرن الإنكار والنقد. قرن التفكير والتمييز. فانظروا ماذا يصدره معهدكم وأهله واحذرؤا أن لا يكون رافعاً لرؤوسكم يوم ترتفع الرؤوس، إنتي أخشى كثيراً - وما

خشيته قد وقع - أن يكون أعداء الدين وأعداء الشرق من المبشرين والسياسيين يحاربوننا بعقائد علمائنا وأراء مشايخنا.

أيها المصريون الكرام: يجب أن تلتفتوا إلى الأزهر وأهله فتصلحوه أو تقضوا عليه. التفتوا إليهم وقولوا لهم: إما أن تعتدلوا وإما أن تعزلوا، قولوا: لم يمت الأزهر أو ليحيى حياة صالحة حياة جيدة. قولوا: إما الحياة وإما الممات.

أَمْل

من أن ترافق حكمة الحكماء  
ترضى من الرفقاء والنظراء  
من صاحب لي القبة الخضراء  
إن الحقيقة ضاية العفلاء  
با طالما خفيت على العلماء  
لم يقبلوه، ومنهج السعداء  
والناس أكثرهم من السفهاء  
حسباً على الأشباح والقدماء  
ببل أكباد الكباراء  
من جنب الشهوات والأهواه  
ناري بدر زائن الحسناء  
بالشمس لم تشرف على إبحاره  
وردي شيري سعجر الشعراه  
والشمس لم تفخر على الظلماء  
ممایشيسن؛ وعزّة الأمراء  
وطني ونومي قاتدو الأدباء  
النبل بجري فائضاً بالماء  
إن الأدب لم يطرح الباساء  
ت ذوب نحت منابر الجهلاء  
ثبن بامل العي والبغلاء  
وسميه بالعي والخطاء  
وفصاحة ضاعت لدى الفقيراء

لَا تَمْسِكْ قَلْةَ الرُّفَقاءِ  
نَعْمَ الرَّفِيقُ الْحَقُّ إِنْ لَمْ تَلْقَ مِنْ  
مَا عَبَبَ مَصْبَاحَ النَّهَارِ وَمَا لَهُ  
فَابْدَرَ إِلَى صَيْدِ الْحَقِيقَةِ إِنْ بَدَتْ  
إِنَّ الْحَقِيقَةَ فِي الْأَنَامِ خَفِيَّةٌ  
لَا تُنْكِرُ الْحَقُّ الْمُبَيِّنُ إِذَا الْوَرَى  
إِنَّ الْمَوْفَقَ - إِنْ فَطَنْتَ - لَنَادَرَ  
لَا تَحْسِنَ الْحَقَّ وَقَنَاً لَازِمًا  
فَلَرِبَّا رَشَدَ الصَّغِيرَ وَضَلَّ مِنْهَاجَ السَّرِّ  
فَالْحَقُّ نَسُورُ اللَّهِ بِبَصَرِهِ أَمْرُهُ  
هَلْبَيْ مَهْوَفَةٌ صَائِغٌ وَثَاءٌ  
لَوْ نَظَّمْتَ زَهْرَ النَّجَومِ وَعَلَبْتَ  
نَثْرَيْ شَفَاءَ لِلنَّفُوسِ وَلِلْحَجاَّ  
لَوْ شَئْتَ أَنْ أَمْبَجُو الْهَلَالَ فَضَحَّتْ  
مَا عَبَبَهُ إِلَّا سَلَامَةٌ طَبِيعَهُ  
لَهُنَّى عَلَى أَدْبَى الْمَضْبُعِ بَيْنَمَا  
عَجَباً لِتَوْمَ بَظَماَونَ وَبِيَنْهِمْ  
رَيْلَ الْأَدِيبُ مِنْ الزَّمَانِ وَأَهْلَهُ  
وَلَقَدْ قَلَبَتِ الْعُلَمَ لِمَا أَنْ رَأَيَ  
وَالْفَقْرَ شَيْنَ بِالْأَدِيبِ كَمَا الْفَنِيَّ  
وَالْفَقْرَ يَسْتَرِقُ الْمُبَيِّنَ بِبَيَانِهِ  
بِاَرِسَمَا أَدَبَ أَضَيَّمَ وَحِكْمَةَ

شرف الزمان ورفعة الأناء  
مجففة الماء والبصاء  
مجففة العلماء والشعراء  
هز العجهول وذلة العلماء  
لبناً ويسراً بعده ذي الضراء  
انهي (النجد) منبت الكرماء  
وأحل منه نسلعة النجاء  
عند الهجاج وشدة اللزباء  
وأدوس عفسراً هامة الجوزاء  
وصبة الأجداد والأباء  
جزر الخطوب ومطعم الللاء  
فلا يضيئون مهاب الآباء  
من بعد ما وضحت لهم انبيائي  
وأديب كل الناس في النساء  
حسب زماني لأنماً رقفاي  
بأمثالني وشجاعتي وذكائي  
بسخا لاي تهدفع وثناء

رادي بقى قوم لسو رعوه أفادهم  
ان عيب قوم يتركون بلادهم  
نانا اعيب - ولا ازئم - امة  
دائم بقى موي لا اطريق ببقاءه  
إني لأهل في الزمان وان - قسا -  
كبيث الفنوط من الرجاء وانني  
حسبى وجاء إنسى انمى له  
وي فهو رباه ذخيرتى ومهنى  
أفري بهم قلب الشدائى والتروى  
تأسى خلائصهم رأسى دينهم  
ان يتركون بناتهم رادي بهم  
ما ضيروا ضيفا ولا جارا نكب  
حاشا لهم ان يعدلوا بي واحدا  
واعيشهم من ان يعميل ادبهم  
رفق العذول فما اطوق لومه  
عابوا على تحدى وتمدخى  
ان لم يجعل سمع النوى اخلاق

عبد الله القصيبي

## عبد الله القصيمي

ولد عبد الله القصيمي سنة ١٩٠٧ تقريباً في قرية تدعى «خب الحلوة» إلى الغرب من مدينة بريدة النجدية السعودية. وكان والده الشيخ على الصعيدي - المولود في إمارة حائل بشمال نجد - المعروف بشدّه الديني الصارم قد سافر إلى الشارقة بعد طلاقه تاركاً ولده عبد الله بعهدة والدته وهو لم يتجاوز الرابعة من عمره.

وبعد زواج الأم وانتقالها إلى مدينة أخرى عاش عبد الله مع جده لأمه: «كل ما أعبه من الأيام الأولى لهذه الطفولة أني وجدت مع جدي لأمي.. الذي كان القحط الإنساني والقحط الطبيعي وكوارث أخرى قد امتصت منه كل شيء». وقد اضطر عبد الله إلى العمل - بلا أجر - في سن الخامسة:

«كان من العذاب على البشر ومن التحقيق لهم أن يسمى القرم الذين كنت أعمل لهم وعندهم بلا أجر - أن يسموا بشراً مع أن كل حديثهم كان عن الجنة والنار والدين والإيمان والتقوى، وعن الخوف من الله العادل المستقم الرحمن الرحيم الرؤوف الجبار».

وفي سن العاشرة ضاقت الظروف المعيشية بالأسرة فانتقل عبد الله إلى الرياض حيث درس على الشيخ سعد بن عتيق ومنها إلى الشارقة ليتعرف على أبيه: «ولقد وجدته متدينًا متعصباً بلا حدود. لقد حَوَّل الدين والتدين إلى فظاظة.... أو حاول أن يدو كذلك لأن المجتمع بريء من الداعي إلى الله والفضيلة أن يكون فظاً عابساً، ولا يراه رجل دين وداعية صادقاً إلا يقدر ما وجد فيه من العبر والفظاظة...». وتتابع تعليمه بمدرسة الشيخ علي المحمود حتى توفي والده عام 1922، فالتحق بالتجرب عبد العزيز الرشيد الذي أخذه معه إلى الزبير بالعراق والهند وسوريا ثم القاهرة حيث التحق بالجامعة الأمريكية 1927 الذي كان يواجه حملة واسعة من عدد من المفكرين المصريين وعلى رأسهم الشيخ رشيد رضا ومجلته «المنار». وشارك القصيمي في هذه الحملة عندما رد بعنف على مقالات نشرها الشيخ يوسف الدجوي عام 1931 في مجلة «نور الإسلام» وفيها هجوم عنيف على الآراء الوهابية مثل مقالته «التوسل وجهة الوهابيين» فأصدر القصيمي كتابه الأول وهو «البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية» وفيه نقض شامل

لحجج الشیخ الدجوری مما استدعاى علماء الأزهـر إلى فصل القصیمی من الأزهـر فأصدر على أثر ذلك كتابین بهما الأزهـر بعنف واضح هما «شیوخ الأزهـر والزيادة في الإسلام» وكتاب «الفصل الحاسم بين الوهابیین ومخالـفـیـهـمـ» مما أکسبـهـ شعبـیـةـ واسـعـةـ في أوسـاطـ حـرـکـةـ التـجـددـ الإسلامـیـ.

وفي عام 1936، جدد القصیمی التزامه بالدفاع عن الدعـوةـ الوهـابـیـةـ في كتابه «الثـورـةـ الوهـابـیـةـ»، ثم تابـعـ حـمـلـتـهـ بالـردـ عـلـىـ كـتـابـ أـصـدـرـهـ فـيـ سـوـرـيـاـ العـلـامـةـ السـيـدـ مـحـسـنـ الـأـمـيـنـ بـعـنـوانـ «كـشـفـ الـأـرـتـيـابـ فـيـ اـتـبـاعـ مـحـمـدـ اـبـنـ وـهـابـ»، وـذـلـكـ فـيـ مـجـلـدـيـنـ مـنـ ۱۶۰۰ـ صـفـحةـ بـعـنـوانـ «الـصـرـاعـ بـيـنـ الرـوـثـيـةـ وـالـإـسـلـامـ».

وفي عام 1946 كانت تجربـةـ عبدـ اللـهـ القـصـيـمـيـ قدـ نـضـجـتـ وـانـتـقـلـ إـلـىـ مرـحـلـةـ التـحرـرـ والـشكـ فـيـ المـوـرـوـنـاتـ فأـصـدـرـ كـتـابـ الشـهـيرـ «هـذـهـ هـيـ الـأـغـلـالـ»، رـأـهـاءـ إـلـىـ الـمـلـكـ عبدـ العـزـيزـ وـفيـ الـكـتـابـ حـمـلـةـ وـاسـعـةـ عـلـىـ الـاتـجـاهـاتـ السـلـفـيـةـ مـاـ لـقـيـ تـرـحـيـباـ وـرـوـاجـاـ كـبـيرـاـ فـيـ أـوـسـاطـ الـمـتـقـفـينـ وـرـدـودـ سـاخـطـةـ مـنـ السـلـفـيـنـ كـانـ أـبـرـزـهـاـ كـتـابـ الـعـلـامـةـ الشـیـخـ عبدـ الرـحـمـنـ بنـ سـعـدـيـ «تـنـزـيـهـ الـدـینـ وـرـجـالـهـ مـاـ اـنـتـرـاهـ القـصـيـمـيـ فـيـ إـعـلـانـهـ» وـكتـابـ «الـرـدـ الـقـرـيمـ عـلـىـ مـلـحـدـ القـصـيـمـ» الـذـيـ كـتـبـهـ صـدـيقـهـ السـابـقـ عبدـ اللـهـ بنـ يـاسـيـنـ. وـقدـ كـسـبـ القـصـيـمـيـ دـعـوةـ قـضـائـيـةـ فـيـ مـحاـكـمـ مـصـرـ ضـدـ مـنـ اـتـهـمـوـهـ بـالـكـفـرـ. وـكـانـ مـنـ الـأـسـابـ الرـئـيـسـيـةـ فـيـ كـسـبـهـ الـقـضـيـةـ هـوـ دـفـاعـ عـدـدـ مـنـ كـبارـ الـمـفـكـرـينـ الـإـسـلـامـيـنـ عـنـ كـابـ «هـذـهـ هـيـ الـأـغـلـالـ» وـمـنـ أـبـرـزـهـمـ الـكـاتـبـ الـكـبـيرـ عـبـاسـ الـعـقادـ.

سنة 1950 انتقل من القاهرة إلى مدينة حلوان حيث التقى هناك بعدد من الطلبة اليمنيين كان منهم اللواء عبد الله جزيلان مجرـر ثورة اليمن عام 1962 وغيره من الشخصيات الذين أصبحوا فيما بعد من القيادات البارزة في اليمن مما دفع الإمام أحمد إلى الضغط على صلاح سالم بطرد القصيـمـيـ من مصر بسبب تأثيرـهـ عـلـىـ الـطـلـبـةـ الـيـمـنـيـنـ فـاعـتـقـلـتـهـ الـسـلـطـاتـ الـمـصـرـيةـ ثـمـ تـقـرـرـ تـفـيهـ إـلـىـ لـبـانـ حيثـ التقـىـ عـدـدـاـ مـنـ الـمـفـكـرـينـ وـالـناـشـرـينـ.

وـقدـ عـادـ القـصـيـمـيـ إـلـىـ القـاهـرـةـ فـيـ عـامـ 1956ـ لـيـواـصـلـ الـكـتـابـةـ فـيـ الصـحـفـ وـالـمـجـلـاتـ الـلـبـانـيـةـ. وـفـيـ عـامـ 1963ـ نـشـرـ فـيـ بـيـروـتـ أـولـ كـتـبـهـ فـيـ الـعـرـحـلـةـ الثـالـثـةـ مـنـ فـكـرـهـ، وـالـكـتـابـ وـهـوـ «الـعـالـمـ لـيـسـ عـقـلاـ» الـذـيـ أـثـارـ ضـجـةـ كـبـيرـةـ فـيـ لـبـانـ الـبـلـدـ الـعـرـبـيـ الـوـحـيدـ الـذـيـ سـعـحـ فـيـ بـيـعـهـ. وـأـعـقـبـهـ بـأـحـدـ عـشـرـ كـتـابـاـ بـلـغـتـ حـدـاـ مـنـ الـجـرـأـةـ وـالـانـفـاتـ الـفـكـرـيـ لـمـ يـعـهـدـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ مـثـلـهـ مـاـ زـادـ النـقـمةـ عـلـيـهـ. وـنـمـاـ إـلـىـ عـلـمـ الـسـلـطـاتـ الـلـبـانـيـةـ بـوـجـودـ خـطـةـ لـاـغـيـالـهـ فـطـلـبـ مـنـهـ مـقـادـرـةـ لـبـانـ، فـاقـامـ بـالـقـاهـرـةـ حـتـىـ وـفـاتهـ سـنـةـ 1997ـ.

وكان القصيمي «مريضاً بالتحديق بالأشياء وقراءتها...».

وتميزت كتاباته بشفافية إنسانية فريدة:

«دعوني أبكي، فما أكثر الضاحكين في مواقف البكاء...».

«دعوني أنقد، فما أكثر المعججين بكل التفاهات...».

«أنا احتجاج، أنا رفض دائم...»

«أنا لست مذهبأً، لست معلماً، لست صانع قيود، لست حامل قيود...»

«أنا أرفض الطغيان والقيود... أنا أنقدها... أنا أعدد ذنوبها...»

لهذا أرفض التعاليم والمناهب، لهذا أنقدها، أعدد ذنوبها، عيوبها... لهذا أنا لست مذهبأً.

«لماذا يمرت الصباح... وتتحر الشموع... وتكتسب الزهر؟»

إن كل ما في الكون من شموس وأقمار، وأزهار ومحبيطات، لا يساوي دمعة واحدة تندحر من قلب يصره الحزن...».

وقد قال عنه أدونيس: «إن عبد الله القصيمي، في الفكر العربي، حدث ومجيء».

# **ببأوغرافيا مؤلفات وأهم مقالات عبد الله القصيمي**

- 1 - البروق النجدي في اكتساح الظلمات الدجوية، القاهرة، مطبعة المنار، 1931، عدد الصفحات: 203 صفحات، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.
- 2 - شيوخ الأزهر والزيادة في الإسلام، القاهرة، مطبعة المنار، 1931، عدد الصفحات: 76 صفحة، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.
- 3 - الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفיהם، القاهرة، مطبعة التضامن الأخرى، 1934، عدد الصفحات: 184 صفحة، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.
- 4 - مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، القاهرة، المطبعة الرحمانية، 1934، عدد الصفحات: 210 صفحات. طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2006.
- 5 - نقد كتاب حياة محمد لمحمد حسين هيكل، القاهرة، 1935، عدد الصفحات: 70 صفحة، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.
- 6 - الثورة الوهابية، القاهرة، مطبعة مصر، 1936، عدد الصفحات: 196 صفحة طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.
- 7 - الصراع بين الإسلام والوثنية، مجلدان (المجلد الأول، المطبعة السلفية، عدد الصفحات: 715 صفحة، المجلد الثاني مطبعة السعادة، عدد الصفحات: 895 صفحة) 1937-1939. طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.
- 8 - كيف ذل المسلمون، القاهرة، مطبعة أنصار السنة المحمدية، 1940، عدد الصفحات: 143 صفحة. طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي.
- 9 - هذى هي الأغلال، القاهرة، مطبعة مصر، 1946، عدد الصفحات: 329 صفحة.
- 10 - العالم ليس عقلًا، (المجلد الأول، بيروت، دار الغد، 1963)، عدد الصفحات: 570

صفحة، المجلد الثاني 3 أجزاء بأسماء: عاشق لعار التاريخ، وعدد صفحاته: 262 طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2005. صحراء بلا أبعاد، وعدد صفحاته: 423 طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2003. أيها العقل من رأك، وعدد صفحاته: 477، دار الغد، 1967). طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2002.

- 11 - كبرىء التاريخ في مأزق، بيروت، مطبعة الأخوان معتوق، 1966، عدد الصفحات: 560 صفحة. طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2001.
- 12 - هذا الكون ما ضميره، بيروت مطبعة الأخوان معتوق، 1966، عدد الصفحات: 560 صفحة طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2001.
- 13 - أيها العار إن المجد لك، بيروت، 1971، عدد الصفحات: 600 صفحة، طبعة ثانية، مؤسسة الانتشار العربي 2001.
- 14 - فرعون يكتب سفر الخروج، بيروت، 1971، عدد الصفحات: 663 صفحة طبعة ثانية 2001. مؤسسة الانتشار العربي
- 15 - الإنسان يعصي.. لهذا يصنع العحضارات، بيروت، 1972، عدد الصفحات: 431 صفحة، طبعة ثانية مؤسسة الانتشار العربي.
- 16 - العرب ظاهرة صوتية، باريس، مطبعة مستمارير، 1977، عدد الصفحات: 799 صفحة.
- 17 - الكون يحاكم الإله، باريس، 1981، عدد الصفحات: 719 صفحة.
- 18 - يا كل العالم لماذا أتيت؟ باريس، مطبعة تيب، 1986، عدد الصفحات: 600 صفحة، طبعة ثانية مؤسسة الانتشار العربي.

أما المقالات التي نشرها المفكر القصبي، سواء في الصحف المصرية أو اللبنانية والتي أشغلت الساحة ردحاً من الزمن، فإن أهمها ما يلي:

- إلى نفأة وجود الله، من كتاب مجلة الإسلام، مجلة أنصار السنة، السنة الثالثة، العدد 26، 1939، ص 27.
- الانتحار بعد الانتظار، مجلة أنصار السنة، السنة الثالثة، العدد 28، 1939، ص 26 وما بعدها.
- اقباسات من إنجيل لم تعرفه المجامع، مجلة الآداب البيرورية، السنة الثالثة، العدد 7، 1955، ص 9 وما بعدها.

لا تشتموا الأعداء، مجلة الحرية، بيروت، العدد الأول، يناير/كانون الأول 1956، ص 19.

الصدق خيانة وهزيمة، الحرية، بيروت، العدد الثالث، فبراير/شباط 1956، ص 19.  
الكاتب لا يغير المجتمع، مجلة الآداب الـ بيروتـية، السنة الخامسة، العدد 10، أكتوبر/  
تشرين الأول 1957، ص 18 وما بعدها.

مصارعة الشيران في السياسة الدولية، الآداب، بيروت، السنة السابعة، العدد 12،  
ديسمبر/كانون الأول 1959، ص 1.

هل يموت الكرون؟ مجلة العلوم، بيروت، السنة 11، العدد 6، يونيو/حزيران 1966،  
ص 75 وما بعدها.

لبنان أيها الكائن الجميل، ملحق صحيفة النهار، بيروت، في 23/7/1967، ص 5.  
حين يجهن السادة ويدفع الأتباع تكاليف الجنون، ملحق النهار، بيروت، 23/7/1967،  
ص 5.

أيها النفط كم أنت مفسد، ملحق النهار، بيروت في 24/3/1968، ص 15.  
إلى لبنان الذي أتمنى له مزيداً من الحضارة ونقصاناً في العروبة، ملحق النهار،  
بيروت، في 19/10/1969، ص 5.

عربي يريد أن يتعلم الصدق، ملحق النهار، بيروت 20/6/1971، ص 3.

إسرائيل ليست موجودة، ملحق النهار، بيروت، 20/6/1971، ص 3.

أممية العيون العربية هي هي أبدية؟ ملحق النهار، في 15/8/1971، ص 5.  
شعبي شجاع جداً، ملحق النهار، في 10/10/1971، ص 3.

أنا القصيمي ساحر سكريبي، ملحق النهار، 7/1/1973، ص 11.







قال بعض الحكماء: لا يزال الناس بخير ما قالوا للمنخطيء  
أخطاء وللمصيب أصبت، وكان أكثر ما دفعني إلى هذا النقد  
القارص هو تهجمهم على خلاصة المسلمين اليوم، ورميهم  
إياهم بالعظائم وتهبيج المسلمين عليهم.

أرجوكم أيها القارئ أن تقرأ الكتاب متجرداً من الهوى والعصبية  
مؤثراً البرهان على المشايخ والأباء والعادات. غير ناظر إلا إلى  
الحق، وقد قال أرسطو: أستاذي صديقي والحق صديقي فإن  
تزاعوا فالحق أولى بالصداقة، وعليك بالإنصاف فإن خلق  
الإنصاف من أفضل ما وهب الإنسان، وقلة الإنصاف تحدث في  
العلم فساداً كبيراً.

ISBN 9953-476-88-8



9 789953 47689